فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

الطَّبْعَةُ الأُولَى
مِن إِصْدَارَاتِ
وِزَارَةِ الأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ
دَوْلَةِ قَطَر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة
مِن إِصْدَارَاتِ
دَارِ النَّوَادِر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٨ - ١٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ ISBN:

9789933418168

سورية - لبنان - الكويت

مُؤسَسَة دار النَّوادِر م.ف - سُورية * شَرِكَة دار النَّوادِر اللُّبنانيَّة ش.م.م - لُبنان * شَرِكَة دار النَّوادِر الكُويتيَّة - ذ.م.م - الكويت

سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أَسَّسَهَا سَنَة: ٢٠٠٦م
نُور الدِّين طَالِب
المُدِير العَام وَالرَّئِيس التَّنفِيذِي

فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧ هـ)

رحمه الله تعالى

المجلد الخامس

اعتنى به

تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب

دار النوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفرقان

مكية، وآيها: سبع وسبعون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف، وسبع مئة وثلاثة وثمانون حرفاً، وكلمها: ثماني مئة واثنتان وتسعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾.

[١] ﴿ تَبَارَكَ ﴾ وزنه تفاعَلَ، ومعناه: تَعَظَّم وتقدَّس، وقيل: معناه: جاء بالبركة، فعل مختص بالله تعالى، لم يستعمل في غيره ﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ القرآن، سمي فرقاناً؛ لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر.

﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ محمد ﷺ.

﴿ لِيَكُونَ ﴾ العبد، أو الفرقان ﴿ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: الجن والإنس ممن عاصره، أو جاء بعده ﴿ نَذِيرًا ﴾ محذراً.

***

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بدل من ﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾.

﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ ردٌّ على النصارى.

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ ﴾ ردٌّ على قريش في قولهم: إن لله شريكاً.

﴿ وَخَلَقَ ﴾ أحدث ﴿ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ من المخلوقات.

﴿ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ هيأه لما أراد منه.

***

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَٱتَّخَذُواْ ﴾ يعني: عبدة الأوثان.

﴿ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ تعالى ﴿ ءَالِهَةً ﴾ يعني: الأصنام.

﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ لأن عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم.

﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ ﴾ لا يستطيعون.

﴿ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ أي: دفع ضر، ولا جلب نفع.

﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً ﴾ أي: إماتة وإحياء ﴿ وَلَا نُشُورًا ﴾ بعثاً بعد الموت، ومن كان كذلك، فكيف يعبد؟! لأن الإله يجب أن يكون قادراً على البعث والجزاء.

***

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ يعني: النضر بن الحارث وأصحابه:

﴿ إِنْ هَٰذَآ ﴾ ما هذا القرآن ﴿ إِلَّآ إِفْكٌ ﴾ كذب ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ اختلقه محمد.

﴿ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ ﴾ يعني: اليهود؛ فإنهم يلقون إليه أخبار

الأمم، وهو يعبر عنه بعبارته، وقال ابن عباس: «أشاروا إلى عبيد كانوا للعرب من الفرس، أحدهم أبو فكيهة مولى الحضرميين، وجبر ويسار وعداس وغيرهم، كانوا بمكة، زعم الكفار أن محمداً اختلق القرآن، وأعانوه على اختلاقه»(١).

﴿فَقَدْ جَآءُو﴾ فعلوا؛ يعني: قائلي هذه المقالة.

﴿ظُلْمًا﴾ كفراً ﴿وَزُورًا﴾ كذباً؛ لنسبتهم القرآن إلى غير قائله.

* * *

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ المشركون: القرآنُ ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ما سطره المتقدمون ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ انتسخها محمد؛ أي: طلب أن تُكتب له؛ لأنه كان لا يكتب.

﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ﴾ أي: تقرأ ﴿عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ غدوةً وعشياً.

* * *

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾.

[٦] فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ﴾ الله(٢).

﴿ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ الغيب.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٢)، و«تفسير القرطبي» (١٠/ ١٧٨).

(٢) لفظ الجلالة «الله» لم يرد في «ت».

﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ لأنه أعجزكم بفصاحته.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ فلذلك لم يعجِّل عقوبتكم مع كمال قدرته.

* * *

﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ أي: الكافرون إنكاراً وسخرية منهم به: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾ بزعمه ﴿ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾ كما نأكل ﴿ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ لطلب المعاش كما نمشي، فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة. وتقدم اختلاف القراء في قوله: (مَالِ هَذَا الرَّسُولِ) في سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [الكهف: ٤٩]، وكتبت اللام في المصحف مفردة من قوله: (مَالِ هَذَا) واتباعه سنة، أما أكله الطعام، فلأنه بشر، ومشيه في الأسواق، فلقضاء حوائجه تواضعاً، ولا ينافيان الرسالة، ثم جاؤوا بحرف التحضيض فقالوا:

﴿ لَوۡلَآ ﴾ هلاَّ ﴿ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ ﴾ نصب جواب التحضيض.

﴿ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ يصدقه.

* * *

﴿ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ ﴾ أي: ينزل عليه ﴿ كَنزٌ ﴾ من السماء ينفقه، فيستغني عن تحصيل المعاش.

﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (نَأْكُلُ) بالنون؛ أي: نأكل نحن منها، وقرأ الباقون: بالياء[1]؛ أي: يأكل هو، المعنى: ليس مَلَكاً ولا مَلِكاً ولا غنياً، فلا نتبعه؛ لأنه دوننا.

﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الذين أشير إليهم:

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ قد سُحر، فغُلب على عقله.

* * *

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ يعني: الأشباه بالمسحور والكاهن والشاعر وغيره ﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الحق.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقاً إليه.

* * *

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾ في الدنيا.

﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ أي: مما قالوا، ثم بين ذلك الخير، فقال:

﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ بيوتاً مشيدة. قرأ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٥).

ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (وَيَجْعَلُ) برفع اللام استئنافاً، وقرأ الباقون: بجزمها عطفاً على محل (جَعَلَ) لأنه جواب الشرط[1]؛ لأن التقدير: تبارك الذي إن يَشَأْ يجعلْ، وقرأ أبو عمرو: (لَك قُّصوراً)، و(رَبُّك قَّدِيراً) بإدغام الكاف في القاف فيهما[2].

قال ﷺ: «عَرَضَ عليَّ ربي ليجعلَ لي بطحاءَ مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، ولكن أشبعُ يوماً، وأجوع يوماً، أو قال: ثلاثاً فإذا جُعت، تضرعت إليك، وذكرتك، وإذا شبعتُ، حَمِدْتُك وشكرتك»[3].

* * *

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾.

[١١] ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟﴾ بل أتوا أعجب من ذلك كله، وهو تكذيب.

﴿بِٱلسَّاعَةِ﴾ بالقيامة، فكيف يصدقونك.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ناراً ملتهبة. قرأ أبو عمرو: (بِالسَّاعَة سَّعِيراً) بإدغام التاء في السين[4].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٧٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٧٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٤٧)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الكفاف والصبر عليه، وقال: حديث حسن، وعلي بن يزيد ضعيف الحديث، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٤)، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٦).

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: إذا قابلتهم، وصاروا بإزائها.

﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ هو الصوت الذي يهمهم به المغتاظ ﴿وَزَفِيرًا﴾ هو الصوت من الصدر، روي أن جهنم تزفر يوم القيامة، فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه[١].

* * *

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ أي: تضيق عليهم إذا ألقوا فيها، فيكون أشدَّ لعذابهم؛ فإن الكربَ مع الضيق، والرَّوْحَ مع السَّعة، فلذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض. قرأ ابن كثير: (ضَيْقاً) بإسكان الياء مخففة، والباقون: بكسرها مشددة[٢].

﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ مُصَفَّدين، قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل.

﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ ويلاً.

* * *

﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] في الحديث: «أول من يُكسى حُلَّةً من النار إبليسُ، فيضعها على

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣١٢)، عن عبيد بن عمير.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٦).

حاجبيه، ويسحبها من خلفه، وذريته من خلفه، وهو يقول: واثبوره، وهم ينادون ثبورهم، حتى يقفوا على النار، فينادي: يا ثبوره، وينادون: يا ثبورهم» فيقال لهم: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾[1] لأن عذابكم كثير لا يفنى.

﴿وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ كعذابكم.

***

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار.

﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ﴾ أي: وُعِدَها ﴿ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ﴾ معدةً في علمه تعالى ﴿جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾ ثواباً ومقراً.

***

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ من النعيم.

﴿خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ مطلوباً يطلبه المؤمنون بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

***

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٥٥-٢٥٦)، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ أي: واذكر يوم نحشرهم. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (يَحْشُرُهُمْ) بالياء، والباقون: بالنون(١).

﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الملائكة، وعيسى، وعزير، والجن، وقيل: الأصنام.

﴿ فَيَقُولُ ﴾ تعالى للمعبودين إثباتاً للحجة على العابدين. قرأ ابن عامر: (فَنَقُولُ) بالنون، والباقون: بالياء(٢).

﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ أخطؤوا الطريق. واختلاف القراء في الهمزتين من (أَأَنْتُمْ) كاختلافهم فيهما من ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾، واختلافهم في الهمزتين من ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ ﴾ كاختلافهم فيهما من ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ ﴾، وكلاهما في سورة الأنبياء.

***

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ ﴾ نزهوا الله من أن يكون معه آلهة ﴿ مَا كَانَ يَنۢبَغِى ﴾

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٨).

ما يجوز ولا يستقيم ﴿لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ قرأ أبو جعفر: (نُتَّخَذَ) بضم النون وفتح الخاء، فيكون (مِنْ أَوْلِيَاءَ) حالاً، و(مِنْ) زائدة لمكان النفي المتقدم؛ كما تقول: ما اتخذتُ زيداً من وكيل، والمعنى: ما كان لنا أن نُعبد من دونك، ولا نستحق الولاء ولا العبادة، وقرأ الباقون: بفتح النون وكسر الخاء[1]؛ أي: ما جاز أن نواليهم ليعبدونا.

﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ في الدنيا بأنواع النعم.

﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ تركوا ذكر الله ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ هَلْكى، وأصله من البور، وهو الفساد، ومنه: بوار السلعة، وهو كسادها.

* * *

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ خطاب للكفار ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ بقولكم فيهم: إنهم آلهة، وروي عن قنبل (بِمَا يَقُولُونَ) بالغيب[2]؛ أي: بقولهم: (سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا) إلى آخره ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (تَسْتَطِيعُونَ) بالخطاب؛ يعني: للعابدين، وقرأ الباقون: بالغيب[3]؛ يعني: للمعبودين.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٩).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٩).

﴿ صَرۡفٗا﴾ دفعاً للعذاب، وقيل: حيلة ﴿ وَلَا نَصۡرٗاۚ﴾ فيعينكم عليه؛ أي: أنتم وهم عجزة عن جلب نفع، أو دفع ضر.

﴿ وَمَن يَظۡلِم﴾ يشرك ﴿ مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا﴾ هي النار.

* * *

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ تقديره: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين الطعام، وماشين في الأسواق، وجاز حذفه لدلالة (مِنَ الْمُرْسَلِينَ) عليه، وهو جواب لقولهم: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾.

﴿ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً﴾ ابتلاء ومحنة، وهذا على العموم في جميع الناس، مؤمن وكافر، فالصحيح فتنة للمريض؛ بأن يقول المريض: لو شاء الله، لجعلني مثل الصحيح، والغني فتنة للفقير، والفقيرُ الشاكر فتنة للغني، والرسولُ المخصوص بكرامة النبوة فتنةٌ لأشراف الناس الكفار في عصره، وكذلك الحكماء وحكام العدل.

﴿ أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ علة للجعل، والتوقيف بتاء (تَصْبِرُونَ) خاص للمؤمنين المحققين، فهو لأمة محمد ﷺ؛ أي: جعلنا بعضكم لبعض فتنة؛ لنعلم أيكم يصبر على البلاء.

﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ فيجازي كلاً بعمله، وهو وعد للصابرين، ووعيد للعاصين.

قال ﷺ: «إذا نظر أحدُكم إلى من فُضِّلَ عليه من المال والجسم، فلينظرْ إلى مَنْ هو دونَه في المال والجسم»[1].

* * *

﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث، فلا يخافون عذابنا.

﴿ لَوْلَآ ﴾ هلاَّ ﴿ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ فتخبرنا أن محمداً صادق.

﴿ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ ﴾ فيخبرنا بذلك، وجواب القسم محذوف.

﴿ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ بالكفر.

﴿ وَعَتَوْ ﴾ طغوا، والعتو: أشدُّ الكفر، وأفحشُ الظلم.

﴿ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ بالغاً أقصى مراتبه؛ لطلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به.

* * *

---

(١) رواه هنَّاد بن السَّري في «الزهد» (١/ ٤٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٢٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥٧٤)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٧)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بهذا اللفظ. ورواه البخاري (٦١٢٥)، كتاب: الرقاق، باب: لينظر إلى من هو أسفل منه، ومسلم (٢٩٦٣)، في أول كتاب: الزهد والرقائق، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «المال والخلق» بدل «المال والجسم».

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ يَوْمَ ﴾ أي: واذكر يوم.

﴿ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ عند الموت ﴿ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: الكافرين، المعنى: أن الملائكة تمتنع ثَمَّ من بشرى المجرمين بالجنة، وتخصها بالمؤمنين.

﴿ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ أي: تقول الملائكة لهم: حراماً محرماً عليكم دخول الجنة.

* * *

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَقَدِمْنَآ ﴾ قصدنا ﴿ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ ﴾ أي: الكفار.

﴿ مِنْ عَمَلٍ ﴾ من الخير؛ كصدقةٍ وصلةِ رحمٍ في الدنيا.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً ﴾ هو ما يُرى من الغبار في شعاع الشمس الداخل من الكوة.

﴿ مَّنثُورًا ﴾ مفرقاً.

* * *

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم يستقرون فيها.

﴿ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾ من هؤلاء المشركين.

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ موضعَ القيلولة، وهو الاستكان نصفَ النهار في الحر، وإن لم يكن نوم؛ لأنه لا نوم في الجنة.

روي أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة، قال ابن مسعود: «ولا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يَقيل أهلُ الجنة في الجنة، وأهلُ النار في النار»[(١)].

***

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ أي: عن الغمام، وهو الغيم الأبيض الرقيق مثل الضبابة، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم. **قرأ** أبو عمرو، والكوفيون: (تَشَقَّقُ) بتخفيف الشين على حذف إحدى التاءين، **وقرأ** الباقون: بالتشديد؛ أي: تتشقق، فأدغم[(٢)].

﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ **قرأ** ابن كثير: (وَنُنْزِلُ) بنونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة، مع تخفيف الزاي ورفع اللام، ونصب (الملائكةَ) مفعولاً؛ من (أَنْزَلَ) إخباراً عن الله تعالى، وهي كذلك في المصحف المكي، **وقرأ** الباقون: (وَنُزِّلَ) مجهولاً بنون واحدة وتشديد الزاي وفتح اللام، ورفع (الملائكةُ) فاعلاً؛ من (نَزَلَ)، وكذلك هي في مصاحفهم[(٣)].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٤٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥١٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨١).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، =

﴿ تَنزِيلًا﴾ في ذلك الغمام، روي أنه تنشق سماء سماء، وتنزل الملائكة بأيديهم صحائف أعمال العباد[1].

* * *

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ أي: الملك حقاً يوم القيامة هو ملك الرحمن، لا مَلِكَ يقضي غيرُه.

﴿ وَكَانَ﴾ ذلك اليوم ﴿ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ صعباً، وعلى المؤمنين يسيراً.

* * *

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ أي: الكافر ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ ندماً على تفريطه في جنب الله تعالى، والظالم هو عقبة بن أبي معيط، وذلك أنه كان أسلم، أو جنح إلى الإسلام، وكان أبي بن خلف خليلاً له، فنهاه عن الإسلام، فقبل نهيه، فنزلت الآية فيهما[2]، فقتل عُقبة يوم بدر صبراً[3]، وأما أبي بن

= و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨١).

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٥٠).

(٢) انظر: «أسباب نزول» للواحدي (ص: ١٩٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٩٨٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٩٨٦) عن ابن عباس، وفيه: فقام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقتله. وانظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٥/ ٢٦٩).

خلف، فقتله النبي الله ﷺ يوم أحد بيده[١]، روي أنه يأكل يديه حتى تبلغ مرفقيه، ثم يأكل هكذا، كلما نبتتا[٢]، أكلهما تحسراً.

﴿يَـٰقُولُ يَـٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ﴾ في الدنيا ﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الجنة، وهو الإيمان. قرأ أبو عمرو: (يَا لَيْتَنِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٣]، وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (اتَّخَذْتُ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بإدغامها[٤].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٢٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٥٨) باب: شدة رسول الله ﷺ في اليأس، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، به، وعندهما: أن أبياً كان قد حلف وهو بمكة ليقتلنَّ رسول الله ﷺ فلما بلغت رسولَ الله ﷺ حلفته قال رسول الله ﷺ ـ: «بل أنا أقتله إن شاء الله»، فأقبل أبي متقنعاً في الحديد وهو يقول: إن نجوت لا نجا محمد، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله، فاستقبله مصعب بن عمير، يقي رسول الله ﷺ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي بن خلف من فُرجة بين سابغة الدرع والبيضةِ، فطعنه بحربته، فوقع أبيٌّ عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور. فقالوا: ما أجزعك؟ إنما هو خدش، فذكرهم قول رسول الله ﷺ «أنا أقتل أبياً» ثم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون. فمات إلى النار، فسحقاً لأصحاب السعير.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٧١) عن عطاء. وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٣٦٠) عن الضحاك.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٣).

(٤) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٣).

﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ ﴾ .

[٢٨] ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف[١]: (يَا وَيْلَتَى) بالإمالة، بخلاف عن الأول[٢] ﴿ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا ﴾ يعني: أُبَيَّ بنَ خلف.

﴿ خَلِيلٗا ﴾ والخلة: هي ألاَّ تكون لطمع، ولا لخوف، بل في الدين.

***

﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩ ﴾ .

[٢٩] ﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ ﴾ الإيمان ﴿ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ ﴾ مع الرسول، وهذا آخر كلام الظالم، وهذه الآية عامة في كل متحابَّين اجتمعا على معصية الله تعالى، قال ﷺ: «المرءُ على دينِ خليله، فلينظرْ أحدُكم من يُخالل»[٣].

﴿ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ وهو كل متمرد عاتٍ من الإنس والجن ﴿ لِلۡإِنسَٰنِ ﴾ المطيعِ له ﴿ خَذُولٗا ﴾ والخذلان: تركُ النصرة، فيتبرأ منه عند نزول العذاب والبلاء.

---

(١) «وخلف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٣).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، كتاب: الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس، والترمذي (٢٣٧٨)، كتاب: الزهد، باب: (٤٥)، وقال: حسن غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٣٤)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ وَقَالَ ﴾ أي: ويقول ﴿ ٱلرَّسُولُ ﴾ محمد ﷺ في ذلك اليوم: ﴿ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ﴾ قريشاً ﴿ ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ متروكاً.

روى أنس عن النبي ﷺ: أنه قال: «من عَلَّقَ مُصْحَفاً، ولم يتعاهَدْه، جاء يوم القيامة متعلِّقاً به يقول: يا رَبِّ! هذا اتخذني مهجوراً، اقض يا ربِّ بيْني وبينه»(١). قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، والبزي عن ابن كثير، وروح عن يعقوب: (قَوْمِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(٢).

***

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ثم سلاَّه عن فعل قومه بأن أعلمه أن غيره من الرسل كذلك، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي: وكما ﴿ جَعَلْنَآ ﴾ لك يا محمد عدواً من المشركين، جعلنا.

﴿ لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا ﴾ أي: أعداء ﴿ مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ ﴾ المشركين، فأنت كالأنبياء في البلاء، وأنا ناصركم.

﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ والباء في (بِرَبِّكَ) للتأكيد، المعنى: اكتف بربك؛ فإنه ناصرك وهاديك.

---

(١) رواه الثعلبي، كما ذكر الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٤٥٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٤_٤٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٤).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ ﴾ أي: أُنزل ﴿ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ كالتوراة والإنجيل والزبور، قال الله تعالى:

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: نزل[1] كما أردناه ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ أي: أنزلناه مفرقاً؛ ليقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه؛ لأن حاله يخالف حال موسى وعيسى وداود؛ حيث كان أمياً، وكانوا يكتبون، فلو ألقي إليه جملة، تَعَيَّا بحفظه، ولأن نزوله بحسب الوقائع، ومنه الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، ففرقناه؛ ليكون أوعى لرسول الله ﷺ، وأيسر على العامل به. قرأ ورش عن نافع: (فُوَادَكَ) بفتح الواو بغير همز، والباقون: بالهمز[2].

﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ أنزلنا بعضه في إثر بعض، وبيناه تبييناً.

* * *

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ ﴾ يا محمد هؤلاء الكفار ﴿ بِمَثَلٍ ﴾ يضربونه لك جدلاً ﴿ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ المبطل لما جاؤوا به ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ بياناً، والتفسير: هو كشف ما قد غُطِّي.

---

(١) «نزل» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٤).

﴿ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال:

﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ أي: هم الذين ﴿ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ﴾ فيساقون ويجرون.

﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا ﴾ منزلة ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ أخطأ طريقاً.

* * *

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴾ معيناً، وهو من تحمل الوزر؛ أي: ثقل الحال.

* * *

﴿ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ هم القبط، وتقديره: فأنذرا، فكذبوهما ﴿ فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ﴾ أهلكناهم إهلاكاً.

* * *

﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ ﴾ أي: نوحاً، ومن كذب رسولاً

واحداً، فقد كذب جميع الرسل، فلذلك ذكر بلفظ الجمع.

﴿أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ عبرة يتعظون بها.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ في الآخرة.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ سوى ما حل بهم من عاجل العذاب.

* * *

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَالِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ﴾ عطف على (هم) في ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ قرأ حمزة، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (وَثَمُودَ) بنصب الدال غير منون، والباقون: بالتنوين(١).

﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ هو بئر لم تطو بالحجارة، وكان أصحابه قوم يعبدون الأصنام، فأرسل إليهم شعيب، فكذبوه، فخسف بهم وبمنازلهم وأموالهم، وانهارت بئرهم، وقيل: كان نبيهم حنظلة بن صفوان، فقتلوه، فأهلكوا، كما تقدم تفسيره(٢) في سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الآية: ٤٥] وقيل غير ذلك، وقيل: الرس: المعدن، وجمعه رساس.

﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَالِكَ﴾ أي: أهلكنا بين عاد وأصحاب الرس.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٦).

(٢) «تفسيره» ساقطة في «ت».

﴿كَثِيرًا﴾ لا يعلمهم[1] إلا الله.

***

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩)﴾.

[٣٩] ﴿وَكُلًّا﴾ من المهلكين ﴿ضَرَبْنَا﴾ بينا ﴿لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ البراهين على الإيمان، ولم نهلكهم من غير إنذار.

﴿وَكُلًّا﴾ منهم بعد التكذيب ﴿تَبَّرْنَا﴾ دمرنا ﴿تَتْبِيرًا﴾ وكلُّ مكسَّرٍ كزجاج أو ذهب أو فضة تبرٌ.

***

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠)﴾.

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ يعني قريشاً مروا في متاجرهم إلى الشام.

﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ يعني: سدوم، عظمى قرى قوم لوط.

﴿الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ الرمي بالحجارة.

﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ فيتفكرون فيؤمنون. واختلاف القراء في الهمزتين من (السَّوْءِ أَفَلَمْ) كاختلافهم فيهما من (هَؤُلَاءِ آلِهَةً) في سورة الأنبياء.

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ لا يخافون بعثاً، فلا يؤمنون.

***

(١) في «ت»: «يعلمها».

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ أي: ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ مهزوءاً به. قرأ حفص عن عاصم: (هُزُواً) بفتح الواو منوناً من غير همز، والباقون: بالهمز، وحمزة وخلف يسكنان الزاي[١]، نزلت في أبي جهل، كان إذا مر بأصحابه على رسول الله ﷺ، قالوا استهزاء به:

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾[٢] ليثبت الحجة علينا.

* * *

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿إِن كَادَ﴾ محمد ﴿لَيُضِلُّنَا﴾ أي: قد قارب أن يصرفنا

﴿عَنْ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتِنَا﴾ لفرط جهاده في الدين.

﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لصرفنا عن عبادتها، ثم تهددهم فقال:

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأُ طريقاً هم أم المؤمنون.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٦_٢٨٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٣٤).

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ثم وبخ كل من عبد غير الله تعالى فقال: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى حجراً أحسن منه، رمى به، وعبد الآخر. قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَرَأَيتَ) بتسهيل الهمزة الثانية بين بين، وقرأ الكسائي: بحذفها، وروي عن ورش: إبدالها ألفاً خالصة، وإذا أبدلها، مدَّ؛ لالتقاء الساكنين مداً مشبعاً، وقرأ الباقون: بالهمز(١).

﴿ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ يحفظه من اتباع هواه.

* * *

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ أَمْ تَحْسَبُ ﴾ بل أتحسب ﴿ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ﴾ ما تقول سماع طالب الإفهام ﴿ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ ﴾ ما يعاينون من الحجج.

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ ﴾ بالجهل بالمنافع.

﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ أَخْطَأُ طريقاً؛ لأن الأنعام تهتدي لمراعيها، وهم على خلاف ذلك.

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٧).

[٤٥] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ ألم تنظر إلى صنعه، ومعناه: تنبيه، والرؤية هاهنا رؤية القلب.

﴿ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ أي: بسطه؛ يعني: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ لأنه لا شمس معه، وهو أطيب الأحوال، ولذلك وصف به الجنة فقال: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وقيل: هو إلى الزوال، والفيء من الزوال إلى الغروب؛ لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب.

﴿ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ دائماً لا شمس معه.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ يبين معنى الظل ونفعه؛ لأنه لولا الشمس، لما عرف الظل، ولولا النور، لما عرفت الظلمة، والأشياء تعرف بأضدادها.

* * *

﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا ﴾ أي: نسخناه بها.

﴿ قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ أي: على مهل، والقبض: جمعُ المنبسطِ من الشيء، معناه: أن الظل يعم جميع الأرض، فإذا طلعت الشمس، قبض الله الظل جزءاً فجزءاً.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ ساتراً بظلمته.

﴿ وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم.

﴿ وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ ينتشر فيه الخلق للمعاش.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ **قرأ** ابن كثير: (الرِّيحَ) على الإفراد، **وقرأ** الباقون: (الرِّيَاحَ) على الجمع[١] ﴿بُشْرًۢا﴾ ناشرات للسحاب، جمع نشور. **قرأ** ابن عامر: بالنون وضمها وإسكان الشين على التخفيف، **وقرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: بالنون وفتحها وإسكان الشين على أنه مصدر وصف به، **وقرأ** عاصم: بالباء الموحدة وضمها وإسكان الشين تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر، **وقرأ** الباقون: بالنون وضمها وضم الشين على المعنى الأول[٢].

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: قدامَ المطر.

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ والطهور: هو الباقي على أصل خلقته من ماء المطر والبحر والعيون والآبار، على أي صفة كان؛ من عذوبة وملوحة، وحرارة وبرودة وغيرها.

وما تغير بمكثه، أو بطاهر لا يمكن صونه عنه؛ كالتراب والطحلب

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٨-٢٨٩).

وورق الشجر ونحوها، فهو طاهر [في نفسه، مطهر لغيره، يرفع الأحداث، ويزيل الأنجاس بالاتفاق، فإن تغير عن أصل خلقته بطاهر][1] يغلب على أجزائه مما يستغني عنه الماء غالباً، لم يجز التطهير به عند الثلاثة، وجوز أبو حنيفة الوضوء بالماء المتغير بالزعفران ونحوه من الطاهرات، ما لم تزل رقته، وقال أيضاً: بجواز إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة؛ كالخل وماء الورد ونحوهما، وخالفه الثلاثة، ومحمد بن الحسن، وزفر، واتفقوا على أنه إذا تغير الماء بالنجاسة، نجس، قل أو كثر، والماء المستعمل: وهو ما أزيل به حدث، لا يطهر الأحداث عند الثلاثة، وقال مالك: يجوز الوضوء بماء توضئ به مرة مع الكراهة، وإذا بلغ الماء قلتين، وخالطته نجاسة، فقال الشافعي وأحمد[2]: لا ينجس إلا أن يتغير طعمه أو لونه أو ريحه، وقال أبو حنيفة: ينجس الماء بملاقاة النجاسة ما لم يكن عشرة أذرع في مثلها، وقال مالك: لا ينجس الماء بوقوع النجاسة فيه ولو كان قليلاً ما لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة، وهو رواية عن أحمد، وقدر القلتين خمس مئة رطل عراقي تقريباً، وأربع مئة وستة وأربعون رطلاً وثلاثة أسباع رطل مصري، ومئة وسبعة أرطال وسبع رطل دمشقي، وتسعة وثمانون رطلاً وسبعا رطل حلبي، وثمانون رطلاً وسبعا رطل ونصف سبع رطل قدسي، ومساحتهما مربعاً ذراع وربع طولاً وعرضاً وعمقاً ومدوراً، وذراع طولاً وذراعان ونصف ذراع عمقاً، والمراد: ذراع اليد، والرطل مئة درهم وثمانية وعشرون درهماً وأربعة أسباع درهم، وهو سبع القدسي وثمن

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».
(٢) «وأحمد» زيادة من «ت».

سبعه، وسبع الحلبي وربع سبعه، وسبع الدمشقي ونصف سبعه، ونصف المصري وربعه وسبعه وتسعون مثقالاً.

***

﴿ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ثم بين الحكمة في إنزال الماء فقال: ﴿ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ ﴾ أي: بالمطر.

﴿ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ قفراً، وتذكير (ميتاً) رجع به إلى الموضع والمكان. قرأ أبو جعفر: (مَيِّتاً) بكسر الياء مشدداً، والباقون: بإسكانها مخففاً[١].

﴿ وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا ﴾ أي: نسقي من ذلك الماء أنعاماً مما خلقنا.

﴿ وَأَنَاسِيَّ ﴾ أي: بشراً ﴿ كَثِيرًا ﴾ والأناسي: جمع إنسي، وقدمت الأرض على الأنعام والأناسي؛ لأن حياتها سبب لحياتهما.

***

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: المطر في البلاد والأوقات المختلفة، قال ابن عباس: «ما عام بأمطرَ من عام، ولكن الله يصرفه في الأرض»[٢]. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وهشام: (وَلَقَد صَّرَّفْنَاهُ)

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٢٠).

بإدغام الدال في الصاد، والباقون: بالإظهار[1].

﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: بإسكان الذال وضم الكاف مع تخفيفها، **وقرأ** الباقون: بفتح الذال والكاف مع تشديدهما، وهما لغتان[2]؛ أي: يتفكروا في نعم الله.

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً، وهو قولهم: مُطرنا بنَوْء كذا وكذا.

* * *

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ رسولاً، ولقسمنا النُّذُرَ بينهم كما قسمنا المطر؛ لنخفف عليك أعباء النبوة، ولكنَّا حمَّلناك ثقلَ نِذارة جميع القرى؛ لتستوجب بذلك الدرجة الرفيعة، ويعظم أجرك.

* * *

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيما ندبوك إليه من عبادة آلهتهم ومداهنتهم.

﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ لا يخالطه فتور.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٠).

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ خلطهما، وأفاض أحدهما في الآخر في مرأى العيون، وبينهما حاجز من قدرة الله عز وجل.

﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ شديد العذوبة، قامع للعطش.

﴿ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ شديد الملوحة.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ حاجزاً من قدرته.

﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ منعاً ممنوعاً عن الإدراك؛ لئلا يختلط أحدهما بالآخر، وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها، أو المراد بالبحر العذب: النهر العظيم؛ مثل النيل، وبالبحر المالح: البحر الكبير، وبالبرزخ: ما يحول بينهما من الأرض.

***

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ أي: المني ﴿ بَشَرًا ﴾ إنساناً.

﴿ فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا ﴾ أي: ذكوراً ينسب إليهم.

﴿ وَصِهْرًا ۗ ﴾ أي: إناثاً يصاهر بهن.

﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (وكان) هي التي للدوام قبل وبعد، لا أنها تعمل[١]

---

(١) في «ت»: «تعطي».

مضياً فقط. وتقدم في السورة مذهب أبي عمرو في إدغام الكاف في القاف من قوله (رَبُّك قَّدِيراً).

* * *

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: هؤلاء المشركين.

﴿ مَا لَا يَنفَعُهُمْ ﴾ إن عبدوا ﴿ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ إن تركوا عبادته.

﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ معيناً للشيطان على ربه بالمعاصي.

* * *

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا ﴾ للمؤمنين ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ للكافرين.

* * *

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على تبليغ الوحي.

﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ فتقولوا: إنما يطلب محمد ﷺ أموالنا بما يدعونا إليه، فلا نتبعه.

﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لا لطلب أموالكم جعلاً لنفسي، لكن من شاء إنفاقها لوجه الله تعالى، فلا أمنعه. واختلاف القراء في الهمزتين من (شَاءَ أَنْ) كاختلافهم فيهما من (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ) في سورة الحج.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ لأنه حقيق أن يتوكل عليه دون غيره.

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ صلِّ له شكراً، ونزِّهه عن صفات النقصان، قال ﷺ: «من قالَ في كل يوم: سبحانَ اللهِ وبحمدِه مئةَ مرةٍ، غُفرت ذنوبه، ولو كانت مثلَ زبدِ البحر»(١).

﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ ﴾ ما ظهر منها وما بطن.

﴿ خَبِيرًا ﴾ مطلعاً، وهذا توعُّد.

* * *

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أي: في مدتهما؛ لأنه لم يكن ثَم شمس ولا قمر.

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ بلا كيف. وتقدم الكلام عليه في سورة طه.

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ ﴾ أي: عنه، والفاء زائدة ﴿ خَبِيرًا ﴾ مفعول (سَلْ)؛ أي: سل رجلاً خبيراً به وبرحمته، يخبرك،

---

(١) رواه البخاري (٦٠٤٢)، كتاب: الدعوات، باب: فضل التسبيح، ومسلم (٢٦٩١)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

والمراد: جبريل، والعلماء، وأهل الكتب المنزلة. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلْ) بالنقل، والباقون: بالهمز[1].

* * *

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠) ﴾.

[٦٠] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ ما نعرف الرحمن؛ لأن قريشاً كانت لا تعرف هذا في أسماء الله تعالى، وكان مسيلمة الكذاب تَسَمَّى برحمن اليمامة، فغالطت قريش بذلك وقالت: إن محمداً يأمر بعبادة رحمن اليمامة[2].

﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: (يَأْمُرُنَا) بالغيب إخباراً عن النبي ﷺ، وقرأ الباقون: بالخطاب له ﷺ[3].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠) عن عطاء، وذكره الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٨٨)، و«البغوي» في «تفسيره» (٣/ ٣٤٠). ومعلوم أن الله سبحانه قد حمى اسمه (الله والرحمن) أن يتسمى به أحد غيره جلَّ جلاله وما ورد من مثل هذا (رحمن اليمامة) فهو غير وارد؛ لأنه مضاف إلى اليمامة؛ ولذلك عندما تجرَّأ الخبيث مسيلمة على التسمية به، كساه اللهُ جلباب الكذب وشهر به بين الأمم وعلى مدى الأزمان، فصار اسمه (مسيلمة الكذاب). انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٧١)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢٢).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٢).

﴿وَزَادَهُمْ﴾ الأمر بالسجود ﴿نُفُورًا﴾ تباعداً عن الإيمان، وهذا محل سجود بالاتفاق، وتقدم اختلاف الأئمة في حكم سجود التلاوة وسجود الشكر ملخصاً عند سجدة مريم، فمن جهل وجود الرب سبحانه، أو علم وجوده، وفعل فعلاً، أو قال قولاً[1] لا يصدر إلا من كافر، فكافر بالاتفاق، ونافي الإسلام مخطئ آثم كافر عند أئمة الإسلام بغير خلاف.

***

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ يعني: البروج الاثني عشر، وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة، سميت بالبروج القصور؛ لأنها لها كالقصور لسكانها، فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زحل، وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع، فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات، فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية، والجوزاء والميزان والدلو مثلثة [هوائية، والسرطان والعقرب والحوت مثلثة][2] مائية.

---

(١) «أو قال قولاً» زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: بضم السين وفتح الراء من غير ألف على الجمع؛ يعني: النجوم، **وقرأ** الباقون: بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها على الإفراد؛ يعني: الشمس(١).

﴿ وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ مضيئاً بالليل.

***

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ أي: يخلف هذا هذا، وما نقص من أحدهما زاد في الآخر.

﴿ لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ﴾ **قرأ** حمزة وخلف: (يَذْكُرَ) بتخفيف الذال مسكنة وتخفيف الكاف مضمومة؛ من الذكر، **وقرأ** الباقون: بتشديدهما مفتوحتين؛ من التذكير(٢).

﴿ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ أي: شكر نعمة ربه عليه فيهما.

***

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ مبتدأ، خبره:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٣).

﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ رويداً بالسكينة والوقار.

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴾ بما يكرهون.

﴿ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ أي: قولاً يسلمون فيه من الإثم.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا ﴾ على وجوههم ﴿ وَقِيَـٰمًا ﴾ على أقدامهم، يقال: بات لمن دخل عليه الليل وإن لم ينم، قال ابن عباس: «من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين، فقد بات لله ساجداً وقائماً»(١) وتخصيص البيتوتة؛ لأن العبادة بالليل أبعد من الرياء.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ دائماً لازماً كلزوم الغريم الغريم.

* * *

﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أي: بئس موضع قرار وإقامة(٢).

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٤٢).

(٢) «وإقامة» زيادة من «ت».

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ﴾ لم يجاوزوا الحد ﴿ وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ يضيقوا. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (يُقْتِرُوا) بضم الياء وكسر التاء؛ من (أقتر)، **وقرأ** ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يَقْتِرُوا)[١] بفتح الياء وكسر التاء، **وقرأ** الباقون، وهم الكوفيون: بفتح الياء وضم التاء مستقبل (قتر) مخففاً، وكلها لغات صحيحة[٢]، وقال ابن عباس: «الإسراف: النفقة في المعصية، والإقتار: منع حق الله تعالى»[٣].

﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ عدلاً بين الشيئين، وفي معنى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا ﴾ الآية، من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: خيرُ الأمورِ أوسطُها[٤].

---

(١) «يقتروا» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٤).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٣) عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

(٤) وجاء في لفظ: «أوساطها» بدل: «أوسطها»، وقد رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥١٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٠١) عن مطرف، والخطابيُّ في «العزلة» (ص:٩٨) عن أكثم بن صيفي. قال السخاوي: وقد رواه ابن السمعاني فس «ذيل تاريخ بغداد» لكن بسند فيه مجهول، عن علي مرفوعاً، وللديلمي بلا سند عن ابن عباس مرفوعاً. انظر: «المقاصد الحسنة» (ص: ٢٤٥ـ٢٤٦).

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إخراج لعباده المؤمنين من صفات الكفرة في عبادة الأوثان.

﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها(١) ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ لا يفعلون كالمشركين بوأد البنات وغير ذلك من الظلم والاغتيال والغارات.

﴿وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ كالجاهلية الذين كان عندهم الزنا مباحاً.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ أي: شيئاً من هذه الأفعال ﴿يَلۡقَ أَثَامًا﴾ أي: جزاء إثم، وهي العقوبة. قرأ الليث عن الكسائي: (يَفْعَل ذَّلِكَ) بإدغام اللام في الذال حيث وقع، وأظهرها الباقون(٢).

* * *

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾.

[٦٩] ﴿يُضَٰعَفۡ﴾ أي: يتزايد ﴿لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ أي: يهان دائماً في العذاب. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب: (يُضَعَّفْ) بالتشديد مع حذف الألف، وجزم الفاء، والدال من (يَخْلُدْ) على جواب الشرط، وقرأ ابن عامر: بالتشديد مع حذف الألف كما تقدم، ورفع الفاء والدال على الابتداء، وقرأ أبو بكر عن عاصم: بإثبات الألف بعد

---

(١) «قتلها» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٥).

الضاد والتخفيف ورفع الفاء والدال كابن عامر، وقرأ الباقون: بالإثبات والتخفيف وجزم الفاء والدال[1]، وقرأ ابن كثير وحفص: (فِيهِ مُهَاناً) بإشباع كسرة الهاء وصلتها بياء في الوصل[2].

***

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ من ذنبه ﴿ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ بعد توبته بينه وبين ربه ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ ﴾ فبدلوا بالشرك إيماناً، وبقتل المؤمنين قتل الكافرين، وبالزنا عفة وإحصاناً.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ يعفو عن السيئات، ويثيب على الحسنات.

***

﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ وَمَن تَابَ ﴾ عن المعاصي ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ يتلافى به ما فرط[3].

﴿ فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ يرجع إليه ﴿ مَتَابًا ﴾ مرضياً، أي: من أراد حقيقة التوبة، فليرد بها الله.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٨).

(٣) «يتلافىٰ به ما فرط» زيادة من «ت».

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ لا يقيمون الشهادة الباطلة، ولا يحضرون محاضر الكذب، ومن أعظم الزور الشركُ بالله تعالى، وتقدم حكم تعزير شاهد الزور في سورة الحج ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ ﴾ يشمل المعاصي كلها، وكلّ سقط من فعل أو قول.

﴿ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾ أي: معرضين.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ ﴾ وُعظوا ﴿ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ ﴾ القرآن.

﴿ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴾ لم يقيموا عليها غير واعين لها، بل أكبوا عليها حرصاً على استماعها.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (وَذُرِّيَّاتِنا) بالألف جمعاً؛ حملاً على المعنى؛ لأن لكل واحد منهم ذرية، وقرأ الباقون: بغير ألف على الإفراد إرادة الجنس(١).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤٧)، و«النشر في=

﴿ قُـرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ أولاداً أبراراً أتقياء، فتقر أعيننا بذلك، مأخوذ من القرور، وهو الماء البارد؛ لأن دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارة.

﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: صالحين لاقتداء المتقين بنا.

* * *

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَـةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَـا تَحِيَّـةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَـةَ ﴾ وهي كل بناء مرتفع، والمراد: أعلى منازل الجنة.

﴿بِمَا صَبَرُواْ ﴾ بصبرهم على أذى المشركين، والمكروهات، وعن الشهوات.

﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَـا ﴾ يستقبلون في الغرفة. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف؛ من (لقَي)، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف[1].

﴿ تَحِيَّـةً﴾ ملكاً، وقيل: بقاءً دائماً في الجنة.

﴿ وَسَلَـٰمًا﴾ سلامة من الآفات.

* * *

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٨).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٩).

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦ ﴾ .

[٧٦] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ حال ﴿ حَسُنَتۡ ﴾ أي : الغرفة .

﴿ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾ موضعَ قرار وإقامة .

* * *

﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ٧٧ ﴾ .

[٧٧] ﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي ﴾ ما يبالي بمغفرتكم .

﴿ لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ ﴾ معه آلهة ، وقيل : معناه : ليس يثقل عليه عذابكم لولا دعاؤكم إياه بالتوحيد والطاعة .

﴿ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ ﴾ يا أهل مكة بما أخبرتكم به ؛ حيث خالفتموه .

﴿ فَسَوۡفَ يَكُونُ ﴾ أي : العذاب ﴿ لِزَامَۢا ﴾ أي : لازماً يحيط بكم لا محالة ، وهذا تهديد لهم ، واختلفوا فيه ، فقال قوم منهم عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب : هو يوم بدر ، قتل منهم سبعون ، وأسر سبعون ، وقال آخرون : هو عذاب الآخرة ، والله سبحانه أعلم .

* * *

سورة الشعراء

مكية في قول الجمهور، وقال مجاهد: فيها مدني قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: ١٩٧]، وقوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ إلى آخرها. آيها: مئتان وسبع وعشرون آية، وحروفها: خمسة آلاف وخمس مئة واثنان وأربعون حرفاً، وكلمها: ألف ومئتان وسبع وتسعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١﴾.

[١] ﴿طسٓمٓ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بإمالة الطاء هنا، والنمل، والقصص، وقرأ الباقون: بفتحها، وأظهر أبو جعفر، وحمزة[١] نون (سين) عند الميم هنا، وفي القصص؛ للتبيين والتمكين، وأدغم الباقون النون في الميم لمجاورتها حروف الفم، وأبو جعفر يقطع الحروف على أصله[٢]، وتقدم الكلام في الخلاف في

---

(١) «حمزة» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

حروف الهجاء أول سورة البقرة، ونُبِّه عليه أول سورة مريم.

روي عن ابن عباس قال: «طسم عجزت العلماء عن تفسيرها»[1].

وقيل: هو قسم معناه: أقسم بطَوْلي وسناي وملكي، وهو اسم من أسماء الله تعالى.

* * *

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه.

﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ يعني: القرآن الظاهرَ إعجازُه وصحته.

* * *

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾.

[٣] ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: قاتلُها غماً ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ إن لم يؤمنوا، وهذا تسلية للنبي ﷺ لما كان فيه من القلق والحرص على إيمانهم، وخوطب بـ(لعل) على ما في نفس البشر من توقع الهلاك في مثل تلك الحال، ومعنى الآية: لا تهتم يا محمد بهم، وبلغ رسالتك، وما عليك من إيمانهم، فإن ذلك بيد الله، لو شاء لآمنوا.

* * *

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾.

[٤] ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ دلالةً تُلجئهم إلى الإيمان.

= (١/ ٢٤١ـ٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠٣ـ٣٠٤).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٥١)، و«تفسير أبي السعود» (١/ ٢١).

﴿فَظَلَّتْ﴾ أي: فتظل ﴿أَعْنَـٰقُهُمْ﴾ رقابهم ﴿لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ يذلون بها، فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله تعالى. واختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (مِنَ السَّمَاءِ آيَةً) كاختلافهم فيهما من قوله[1]: (هَؤُلَاءِ آلِهَةً) في سورة الأنبياء.

وقوله: ﴿خَـٰضِعِينَ﴾ ولم يقل: خاضعة، وهي صفة الأعناق؛ لأنه لما وصفت الأعناق بالخضوع، وهي صفة من يعقل، أجريت مجرى العقلاء، وقيل: المراد بالأعناق: الرؤساء والكبراء، وقيل غير ذلك.

* * *

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ﴾ في الوحي والتنزيل، وهو القرآن، المعنى: ما يأتيهم من شيء من القرآن.

﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ﴾ وعن الإيمان به.

﴿مُعْرِضِينَ﴾ إصراراً على ما كانوا عليه.

* * *

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾.

[٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ محمداً ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟﴾ أخبار.

﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو وعيد لهم.

* * *

---

(١) «قوله»: زيادة من «ت».

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ ﴾ صنف .

﴿ كَرِيمٍ ﴾ حسن نافع من النبات مما يأكل الناس والأنعام .

* * *

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكرت ﴿ لَءَايَةً ﴾ على توحيدي وكمال قدرتي .

﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي : سبق علمي فيهم أنهم لا يؤمنون .

* * *

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ بالانتقام من الكفرة ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ للمؤمنين .

* * *

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَإِذْ ﴾ أي : واذكر يا محمد إذ ﴿ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ ﴾ حين رأى الشجرة والنار ﴿ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وتعذيبهم .

* * *

﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] يعني : ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ عقابَ الله بطاعته .

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ قَالَ ﴾ موسى : ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ .

* * *

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى ﴾ من تكذيبهم إياي .

﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾ للعقدة التي به .

﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ ليؤازرني، ويظاهرني على تبليغ الرسالة .

* * *

﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ ﴾ أي : تَبِعة، وهو قتله القبطي ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ به . قرأ أبو عمرو : (قَال رَّبِّ) بإدغام اللام في الراء، وروي عن رويس، وروح، وغيرهما، وجميع رواة يعقوب : إدغام كل ما أدغمه أبو عمرو من حروف المعجم من المثلين والمتقاربين، وقرأ الباقون : بالإظهار[(١)]، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو : (إِنِّيَ أَخَافُ) بفتح الياء، والباقون : بإسكانها[(٢)]، وقرأ يعقوب : (وَيَضِيقَ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقَ) بنصب

---

(١) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠٦).

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص : ١٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠٧).

القاف فيهما على معنى: وأن يضيق، وقرأ الباقون: بالرفع فيهما رداً على قوله: (إِنِّي أَخَافُ) وأثبت يعقوب الياء من[1] (يُكَذِّبُونِي) و(يَقْتُلُونِي)، وحذفها الباقون[2]. ولم يطلب موسى هارون توقفاً في امتثال الأمر، بل حرصاً على تبليغ الرسالة؛ لاحتمال عوارض تصد عنها.

***

﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الخوف ﴿فَاذْهَبَا﴾ أنت وهارون ﴿بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ سامعون، فأنصركم عليه، وذكر (مَعَكُمْ) بلفظ الجمع، وهما اثنان أجراهما مجرى الجماعة، أو أراد: معكما ومع بني إسرائيل نسمع ما يجيبكم فرعون.

***

﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولم يقل: رسولا رب العالمين؛ لأن موسى كان الأصل، وهارون تابعه.

***

﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى الشام، ولا تستعبدهم.

---

(١) في «ش»: «في».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٥ـ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠٧).

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] وكان فرعون استعبدهم أربع مئة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ست مئة ألف وثلاثين ألفاً، فانطلق موسى إلى مصر، وهارونُ بها، فأخبره بذلك، وذهبا إلى باب فرعون ليلاً، ودقا الباب، ففزع البوابون وقالوا: من بالباب؟ فقال موسى: أنا رسول رب العالمين، فذهب البواب إلى فرعون، فقال[١]: إن مجنوناً بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين، فتركه حتى أصبح، ثم دعاهما فدخلا عليه، وأديا رسالة الله عز وجل، فعرف فرعون موسى؛ لأنه نشأ في بيته، فثم قال له: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ صبياً صغيراً.

﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ وهي ثلاثون سنة[٢]. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف[٣]: (لَبِثَّ) بإدغام الثاء في التاء، وكذلك (لَبِثُّمْ) كيف جاء، وأظهرها الباقون[٤].

***

﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ ﴾ يعني: قتل القبطي.

﴿ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي.

---

(١) في «ش»: «وقال».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٥٤ـ٣٥٥)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٩٤).

(٣) «خلف» ساقطة من «ت».

(٤) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠٨) دون ذكر خلف.

﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ قَالَ ﴾ موسى : ﴿ فَعَلْتُهَآ إِذًا ﴾ أي : فعلت ما فعلت حينئذ .

﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ أي : المخطئين ؛ لأنه لم يتعمد قتله .

* * *

﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ إلى مدين .

﴿ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا ﴾ أي : نبوة .

﴿ وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ درجة ثانية للنبوة ، فرب نبي ليس برسول ، وتقدم الكلام على ذلك في سورة الحج .

* * *

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ثم حاجه ـ عليه السلام ـ في مَنِّه عليه بالتربية وترك القتل ، فقال :

﴿ وَتِلْكَ ﴾ أي : التربية .

﴿ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يريد : كيف تمنُّ عليَّ بالتربية ، وقد استعبدت قومي ؟ فتعبيدُك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إلي .

* * *

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أيُّ شيء الذي تزعم أنك رسوله ؟

﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ قَالَ ﴾ موسى:

﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ أنه خالقهما، فآمنوا.

* * *

﴿ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] فتحير فرعون في جوابه، فثم ﴿ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ ﴾ من أشراف قومه، وكانوا خمس مئة رجل؛ استبعاداً لقول موسى:

﴿ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴾ جوابه، سألته عن حقيقته، وهو يذكر أفعاله.

* * *

﴿ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ قَالَ ﴾ موسى زيادة في البيان:

﴿ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ فعلم فرعون أنه محجوج، فنسبه إلى الجنون.

* * *

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴾ يتكلم بكلام لا نعقله، ولا نعرف صحته، وكان عندهم أن من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل.

* * *

﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] فزاد موسى في البيان: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ من النيرات والموجودات.

﴿ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ فتستدلون بما أقول، فتعرفون ربكم.

* * *

﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] فلما لزمت فرعونَ الحجةُ، وانقطع عن الجواب ﴿ قَالَ ﴾ تكبراً عن الحق:

﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ عدولاً إلى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع، وهكذا دَيْدَنُ المعاند المحجوج. قرأ أبو عمرو: (قَال لَّئِنِ) بإدغام اللام في اللام، وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (اتَّخَذْتَ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام[١].

* * *

﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ ﴾ الواو للحال دخلت عليها همزة الإنكار؛ أي: أتفعل ذلك ولو جئتك ﴿ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴾ برهان واضح يبين صدق دعواي.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٥-١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠٩).

﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ قَالَ ﴾ فرعون : ﴿ فَأْتِ بِهِۦٓ ﴾ فإنا لا نسجنك حينئذ .

﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في أن لك بينة .

* * *

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

[٣٢] ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ حية عظيمة، روي أنها ارتفعت قدر ميل، ثم انحطت إلى فرعون وهي تقول: مرني يا موسى بما شئت، وفرعون يقول: بالذي أرسلَكَ إلا أخذْتَها فعادت عصا[1] .

* * *

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

[٣٣] فقال فرعون: هل غيرها؟ قال: نعم ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ من جيبه ﴿ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ ﴾ ذات نور ﴿ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ لها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق .

* * *

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

[٣٤] ﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ فائق في علم السحر .

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٣/ ١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٥٩)، عن السدي .

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ أغراهم به في قوله: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ ﴾ ثم استشارهم في أمره.

* * *

﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ يعني: الملأ: ﴿ أَرْجِهْ ﴾ أخره ﴿ وَأَخَاهُ ﴾ المعنى: اترك التعرض له بالقتل. قرأ ابن كثير، وهشام عن ابن عامر: (أَرْجِئْهُو) بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو، وابن ذكوان عن ابن عامر: بالهمز، ويكسر الهاء ولا يصلها بياء، وأبو عمرو، ويعقوب: بالهمز والضم من غير صلة، والباقون: بغير همز، ثم نافع برواية ورش، والكسائي، وخلف: يشبعون الهاء كسراً، ويسكنها عاصم وحمزة، ويختلسها أبو جعفر وقالون، وتقدم ذكر ذلك في حرف الأعراف [الآية: ١١١].

﴿ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ ﴾ هي مدائن الصعيد من نواحي مصر.

﴿ حَٰشِرِينَ ﴾ جماعة يحشرون الناس؛ أي: يجمعونهم، وهم الشُّرَط.

* * *

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ يفضلون عليه في هذا الفن. واتفق القراء على هذا الحرف أنه (سحَّار) على وزن فعَّال بتشديد الحاء وألف بعدها؛ لأنه جواب لقول فرعون فيما استشارهم فيه من أمر موسى بعد قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾، فأجابوه بما هو أبلغ من قوله؛ رعاية

لمراده؛ بخلاف التي في الأعراف؛ فإن ذلك جواب لقولهم، فتناسب اللفظان، وأما التي في يونس، فهي أيضاً جواب من فرعون لهم؛ حيث قالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية: ٧٦] فرفع مقامه على المبالغة، والله أعلم.
قرأ أبو عمرو، والكسائي من رواية الدوري: (سَحَّارٍ) بالإمالة أيضاً[١]، واختلف عن ابن ذكوان، وروي عن ورش وحمزة[٢]: الإمالة بين بين، وقرأ الباقون: بالفتح[٣].

***

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٣٨﴾.

[٣٨] ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو يوم الزينة، وهو عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه كل سنة، قال ابن عباس: «وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة، وهو يوم النيروز»[٤].

***

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ۝٣٩﴾.

[٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ حث للناس على الاجتماع.

***

---

(١) «أيضاً» ساقطة من «ت».
(٢) «حمزة» زيادة من «ت».
(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٠).
(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٥٧).

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿لَعَلَّنَا﴾ لكي ﴿نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ لموسى.

***

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ أي: تجعل لنا جعلاً.

﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ لموسى. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (أَينَّ) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين بين؛ أي: بين الهمزة والياء، وفصل بين الهمزتين بألف: أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون، واختلف عن هشام، وقرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين(١).

***

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وعدهم فرعون بالإحسان إليهم بشرط غلبة موسى. قرأ الكسائي: (نَعِمْ) بكسر العين، والباقون: بنصبها(٢).

***

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٠-٣١١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١١).

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ أي : بعدما قالوا له : ﴿ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾ [الأعراف : ١١٥] .

***

﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ ﴾ حالفين .

﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ والقسم بغير الله من أقسام الجاهلية ، قال ﷺ : «لا تحلفوا بآبائكم وأمهاتكم ، ولا بالطواغيت ، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»[١] .

***

﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ ﴾ تبتع ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ما يزورون ويخيلون أن حبالهم وعصيهم حيات . قرأ حفص عن عاصم : (تَلْقَفُ) بإسكان اللام مع تخفيف القاف ، وقرأ الباقون : بفتح اللام مع تشديد القاف ، وقرأ البزي : بتشديد التاء وصلاً ؛ كأنه أراد : تتلقَّفُ ، فأدغم[٢] .

---

(١) رواه أبو داود (٣٢٤٨) ، كتاب : الأيمان والنذور ، باب : في كراهية الحلف بالآباء ، والنسائي (٣٧٦٩) ، كتاب : الأيمان والنذور ، باب : الحلف بالأمهات ، وابن حبان في «صحيحه» (٤٣٥٧) ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ لكن بلفظ : «بالأنداد» بدل «بالطواغيت» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٧١) ، و«التيسير» للداني (ص : ١١٢) ، =

﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ وإنما يدل الخرور بالإلقاء ليشاكل ما قبله، ويدل على أنهم لما رأوا ما رأوا، لم يتمالكوا أنفسهم، فكأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم.

* * *

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

* * *

﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

[٤٨] ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ قال عكرمة: أصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء(١)، فالمغرور من اعتمد على شيء من أعماله وأقواله وأحواله.

* * *

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

[٤٩] ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ تقدم تفسير نظيرها، واختلاف القراء في الهمزتين في سورة طه.

= و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١١).

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٦٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٥١٣).

﴿ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

[٥٠] ﴿ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ ﴾ أي: لا ضرر علينا بما تصنع بنا. قرأ حمزة: (لَا ضَيْرَ) بالمد؛ بحيث لا يبلغ الإشباع[١] ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ فيثيبنا.

* * *

﴿ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

[٥١] ﴿ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ ﴾ أي: لأن كنا.

﴿ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ في زماننا.

* * *

﴿ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[٥٢] ﴿ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: (أَنِ اسْرِ) بوصل الألف ويكسرون النون من (أن) للساكنين وصلاً؛ من سرى[٢] يسري[٣]، ويبتدئون بكسر الهمزة، وقرأ الباقون: بقطع الهمزة مفتوحة وحمزة يسكت على الساكن قبل الهمز؛ لبيان الهمز وتحقيقه[٤] ﴿ بِعِبَادِيٓ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (بِعِبَادِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٥].

---

(١) سلف كلام المصنف في اختلاف القرّاء عند تفسير الآية (٢) من سورة البقرة.

(٢) في «ت»: «سري».

(٣) «يسري» ساقطة من «ت».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٢).

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، =

﴿ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ أي: يتبعكم فرعون وقومه؛ ليحولوا بينكم وبين الخروج من مصر، فسر بهم، حتى إذا اتبعكم مصبحين، كان لكم تقدم عليهم؛ بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم البحر، بل يكونون على إثركم حين تلجون البحر، فيدخلون مدخلكم، فأطبقه عليهم، فأغرقهم.

* * *

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ ﴾ حين أخبر بسراهم.

﴿ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ أي: جامعين الناس.

* * *

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] وقال: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ ﴾ أي: طائفة.

﴿ قَلِيلُونَ ﴾ ومنه: ثوب شراذم؛ أي: بالٍ منقطع، وكانت الشرذمة ست مئة وسبعين ألفاً، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون.

* * *

﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ مغضِبون، والغيظ: أشد الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه.

* * *

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣١٣).

﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

[٥٦] ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ قرأ الكوفيون، وابن ذكوان عن ابن عامر: (حَاذِرُونَ) بألف بعد الحاء؛ أي: تامُّو الأسلحة، وقرأ الباقون: بحذف الألف؛ أي: متيقظون[١].

***

﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

[٥٧] ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ ﴾ بساتين كانت ممتدة على حافتي النيل.

﴿ وَعُيُونٍ ﴾ من الماء. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر[٢]، وابن ذكوان: (وَعِيُونٍ) بكسر العين حيث وقع، والباقون: بضمها[٣].

***

﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

[٥٨] ﴿ وَكُنُوزٍ ﴾ وهي أموالهم الظاهرة من الذهب والفضة، سميت كنوزاً؛ لأنها لم يُعط منها حقُّ الله تعالى.

﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ أي: المنازل الحسنة والمجالس البهية.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٣).

(٢) «وأبو بكر» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٢ـ٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٤).

﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ ﴾ .

[٥٩] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما وصفنا ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا ﴾ بهلاكهم .

﴿ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ وذلك أن الله تعالى ردهم إلى مصر بعد غرق فرعون وقومه، وخولهم في أموالهم ومساكنهم .

* * *

﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝٦٠ ﴾ .

[٦٠] ﴿ فَأَتْبَعُوهُم ﴾ أي : لحقوهم القبط .

﴿ مُّشْرِقِينَ ﴾ عند شروق الشمس وإضاءتها .

* * *

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ ﴾ .

[٦١] ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾ أي : رأى كل الآخر . قرأ حمزة، وخلف : (تَرَاءَى) بإمالة فتحة الراء حالة الوصل، وأما إذا وقفا، أمالا الراء والهمزة جميعاً، ومعهما الكسائي في الهمزة فقط، وأما ورش : على أصله فيهما بين بين ؛ بخلاف عنه(١) .

﴿ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ سيدركنا قوم فرعون، ولا طاقة لنا بهم .

* * *

---

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٧١)، و«التيسير» للداني (ص : ١٦٥ـ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٤ـ٣١٥) .

﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ ﴾.

[٦٢] ﴿ قَالَ﴾ موسى ثقةً بوعد الله إياه: ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ طريق النجاة. قرأ حفص عن عاصم: (مَعِيَ) بفتح الياء[١]، وقرأ يعقوب: (سَيَهْدِينِي) بإثبات الياء[٢].

* * *

﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ ﴾.

[٦٣] ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ﴾ ولما وصل موسى إلى البحر، جاء بموج كالجبال، فقال يوشع: يا مكلم الله! أين أمرت؟ فقال: هاهنا، فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه، ثم أقحمه اللج، فارتسب في البحر، وأراد بقيتهم أن يفعلوا مثله فلم يقدروا[٣] ﴿ فَٱنفَلَقَ﴾ ماء البحر بعد أن ضربه، فانشق اثني عشر طريقاً لاثني عشر سبطاً.

﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ﴾ أي: كل جزء من البحر ﴿ كَٱلطَّوۡدِ﴾ أي: الجبل.

﴿ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ وهو بحر القلزم، وتقدم ذكره ومحله في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ ﴾ [الآية: ٥٠]، وروي[٤] أن

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣١٦/٤).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٦).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٣٥٧).

(٤) في «ت»: «روي».

موسى عليه السلام قال عند ذلك: يا من كان قبل كل شيء، والمكون لكل شيء، والكائن بعد كل شيء[1].

* * *

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ قرَّبنا ﴿ثَمَّ﴾ حيث انفلق البحر.

﴿ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ هم القبط، جمعناهم في البحر حتى غرقوا.

* * *

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ من الغرق.

* * *

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

[٦٦] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ يعني: فرعون وقومه.

* * *

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

[٦٧] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: إهلاك القبط ﴿لَـَٔايَةً﴾ عبرة للمعتبرين.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ أي: المصريين ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ قالوا: لم يكن فيهم

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٧١)، عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام.

مؤمن إلا آسية امرأة فرعون، وحزبيل المؤمن، ومريم بنت ناموسا التي دلت على عظام يوسف عليه السلام.

* * *

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ في انتقامه من أعدائه.

﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بالمؤمنين حين أنجاهم.

* * *

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ على مشركي العرب.

﴿ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (نبأَ إِبْرَاهِيمَ) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية[1].

* * *

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ استفهام بمعنى التقرير.

* * *

﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا ﴾ والصنم: ما كان على صورة ابن آدم من حجر أو غيره.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٧).

﴿ فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ أي: نقيم على عبادتها، ويظل: عرفُها: فعلُ الشيء نهاراً، وباتَ: عرفُها في فعله ليلاً، وطفق: غاية للوجهين، ولكن قد تجيء يظل بمعنى العموم، وهذا الموضع من ذلك، والعكوف: اللزوم، ومنه: المعتكف.

* * *

﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم.

﴿ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ ﴾ أي: يسمعون دعاءكم ﴿ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴾.

* * *

﴿ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ ﴾ إن عبدتموهم ﴿ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴾ إن تركتم عبادتهم.

* * *

﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] فلما عجزوا عن الجواب ﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ فقلدناهم.

* * *

﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم: ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴾.

* * *

﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦﴾.

[٧٦] ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾.

[٧٧] ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي: أصنامكم ﴿عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ أي: أعداء، ووحَّده على معنى: أن كل معبود لكم عدو لي، وقوله: (عَدُوٌّ لِي) دون (لكم) زيادة نصح وتأدب؛ ليكون أعطف لقلوبهم، وأسرع لها إلى إيمانهم.

﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استثناء منقطع؛ كأنه قال: فإنهم عدو لي، لكن رب العالمين وليي. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (عَدُوٌّ لِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

* * *

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨﴾.

[٧٨] ثم وصف معبوده فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾ مبتدأ، خبره: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى إصلاح الدارين.

* * *

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩﴾.

[٧٩] ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ تعديد للنعمة في الرزق.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٨).

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ من مرضي، وأسند إبراهيم المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله عز وجل، وهذا أحسن الأدب في العبارة، والكل من عند الله؛ كالخضر حين قال في العيب: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف: ٧٩]، وفي الخير: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾ [الكهف: ٨٢].

* * *

﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ أدخل (ثم) هنا للتراخي؛ أي: يميتني في الدنيا، ثم يحييني في الآخرة. قرأ يعقوب: (يَهْدِينِي) (يَسْقِينِي) (يَشْفِينِي) (يُحْيِينِي) بإثبات الياء في الأربعة في الحالين، والباقون: بحذفها فيهما[1].

* * *

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ أي: خطاياي يوم الجزاء، وهي قوله: ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله لسارة: هذه أختي، وقوله للكوكب[2]: ﴿ هَٰذَا رَبِّى ﴾ [الأنعام: ٧٦]، وعلق المغفرة بيوم الدين، وإن

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٨).

(٢) في «ت»: «للكواكب».

وجدت هنا؛ لأن فائدتها ثَمَّ تظهر، وأصل الطمع: نزوعُ النفس إلى الشيء شهوةً، وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه، وإخبار أنه لا يصلح للإلهية من لا يفعل هذه الأفعال.

* * *

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ﴾ نبوة.

﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ بآبائي المرسلين.

* * *

﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ ثناء حسناً ﴿ فِي الْآخِرِينَ ﴾ في الأمم بعدي، فأعطاه الله ذلك، فجعل كل أهل الأديان يتولونه ويثنون عليه.

* * *

﴿ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ وَاجْعَلْنِي ﴾ وارثاً ﴿ مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ في الآخرة، وتقدم معنى الوراثة فيها[١] في أول سورة المؤمنون.

* * *

﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ وقال هذا قبل أن يتبين له أنه

---

(١) «فيها» زيادة من «ت».

عدو لله؛ كما تقدم في سورة التوبة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (لِأَبِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ يعني: العباد.

* * *

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] وتبدل منه ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ أي: لا ينفعان أحداً.

* * *

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ إِلَّا ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن.

﴿ مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ من الشرك.

* * *

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ ﴾ قُربت ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ فنظروا إليها.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٩).

﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

[٩١] ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ ﴾ أظهرت .

﴿ لِلْغَاوِينَ ﴾ الكافرين، فيرونها مكشوفة، ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها .

***

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

[٩٢] ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ﴾ يوم القيامة : ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ .

***

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

[٩٣] ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الآلهة ﴿ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ ﴾ بدفع العذاب عنكم .

﴿ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ بدفعه عن أنفسهم؟

***

﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

[٩٤] ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ ﴾ ألقوا على رؤوسهم ﴿ فِيهَآ ﴾ في النار .

﴿ هُمْ ﴾ أي : الآلهة ﴿ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ الكفار .

***

﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

[٩٥] ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ ﴾ أتباعه ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ ومن أطاعه من الجن والإنس .

***

﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

[٩٦] ﴿ قَالُوٓا۟ ﴾ أي : الداخلون فيها .

﴿ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾ يخاصم بعض بعضاً .

* * *

﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

[٩٧] ويقول العابدون للمعبودين : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ .

* * *

﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

[٩٨] ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم ﴾ نعدلكم في العبادة ﴿ بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ فنعبدكم .

* * *

﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

[٩٩] ﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ أي : رؤساؤهم الذين اقتدوا بهم؛ كإبليس والشياطين وقابيل؛ لأنه أول من سن القتل، وعمل بالمعاصي .

* * *

﴿ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

[١٠٠] فثم تشفع الملائكة والأنبياء والمؤمنون في أصدقائهم، فيقول المشركون تأسفاً : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴾ أي : من يشفع لنا؟

* * *

﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] ﴿ وَلَا صَدِيقٍ ﴾ هو من صدقك مودته ﴿حَمِيمٍ﴾ قريب خاص، وحامّةُ الرجل: خاصته، قال ﷺ: «إن الرجل ليقول في الجنة: ما فعل صديقي فلان؟ وصديقُه في الجحيم، فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنة»(١)، قال الحسن: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين؛ فإن لهم شفاعة يوم القيامة(٢).

***

﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

[١٠٢] فلما أيسوا من الشفاعة قالوا: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ رجعة إلى الدنيا.

﴿ فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: فنؤمن؛ ليشفع لنا، و(لو) هنا بمعنى ليت.

***

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

[١٠٣] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي: فيما ذكر من قصة إبراهيم.

﴿ لَآيَةً ﴾ عظة لمن يعتبر بها.

﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم ﴾ يعني: قومه ﴿ مُّؤْمِنِينَ ﴾ به.

***

---

(١) رواه البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٦٤) عن جابر بن عبد الله مرفوعاً، وفيه جهالة، وذكره القرطبي في «في تفسيره» (١٣/ ١١٨).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٦٤).

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يغلب ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بالإمهال.

***

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ القوم مؤنثة من حيث الـ(قوم): الأمة والجماعة، ولذلك تصغر على قويمة، وجمع (المرسلين)، وإن كانوا واحداً؛ لأن من كذب رسولاً واحداً، فقد كذب جميع المرسلين.

***

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ﴾ في النسب، لا في الدين.

﴿ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الله، فتتركوا عبادة غيره؟!

***

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

[١٠٧] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ على الوحي.

***

﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

[١٠٨] ﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾ بطاعته ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴾ فيما آمركم به من الإيمان.

***

﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ ﴾ .

[١٠٩] ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ أي: على الدعاء والنصح .

﴿ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ ﴾ ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ قرأ يعقوب: (وَأَطِيعُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[١]، وكذلك في الأحرف السبعة بعد، وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، ويعقوب: (أَجْرِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[٢]، وكذلك في الأحرف الأربعة بعد.

***

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١١٠ ﴾ .

[١١٠] ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ كرره تأكيداً .

***

﴿ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ ﴾ .

[١١١] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ إنكاراً عليه: ﴿ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ﴾ أي: وقد اتبعك ﴿ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ جمع الأرذل؛ يعني: السفلة، سموا بذلك؛ لاتضاع حِرفهم؛ كالحجامة والحياكة، وهذا لا يضر بالديانات، فكأنهم قالوا: إنما آمنوا لحقارتهم. قرأ يعقوب: (وَأَتْبَاعُكَ) بقطع الهمزة وإسكان التاء مخففة وضم

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٩).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٠).

العين وألف قبلها على الجمع، وقرأ الباقون: بوصل الهمزة وتشديد التاء مفتوحة وفتح العين من غير ألف[1].

* * *

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

[١١٢] ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ المراد: انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم، واطلاعه على سرائرهم.

* * *

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

[١١٣] ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ ما جزاؤهم.

﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ لما عبدتموهم.

* * *

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

[١١٤] ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم، وتوقيف إيمانهم عليه.

* * *

﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾.

[١١٥] ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: وما أنا إلا رجل مبعوث لإنذار المكلفين عن الكفر والمعاصي، سواء كانوا أعزاء أو أذلاء. قرأ قالون عن

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٦٥)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٠).

نافع، وأبو جعفر: (أَنَا إِلاَّ) بالمد حيث وقع؛ بخلاف عن الأول[1].

* * *

﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ١١٦ ﴾.

[١١٦] ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ ﴾ عما تقول.

﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ أي: المقتولين.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ١١٧ ﴾.

[١١٧] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴾ قرأ يعقوب: (كَذَّبُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[2].

* * *

﴿ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١١٨ ﴾.

[١١٨] ﴿ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ﴾ فاحكم بيني وبينهم حكماً.

﴿ وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ من قصدهم. قرأ ورش، وحفص: (مَعِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[3].

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٠).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢١).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢١).

﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩ ﴾ .

[١١٩] ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾ أي : المملوء من الناس والطير والحيوان كلها .

* * *

﴿ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ١٢٠ ﴾ .

[١٢٠] ﴿ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴾ أي : أغرقنا بعد إنجاء نوح وأهله من بقي من قومه .

* * *

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٢١ ﴾ .

[١٢١] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ .

* * *

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٢ ﴾ .

[١٢٢] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تقدم تفسير نظيرها .

* * *

﴿ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ ﴾ .

[١٢٣] ﴿ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ .

* * *

﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ ﴾ .

[١٢٤] ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ ﴾ يعني : في النسب ، لا في الدين .
﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ؟

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ ﴾ .

[١٢٥] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ على الرسالة .

* * *

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

[١٢٦] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ .

* * *

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .

[١٢٧] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

* * *

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

[١٢٨] ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ﴾ هو المكان المرتفع ﴿ آيَةً ﴾ علامة .

﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ بمن مر بكم ؛ لأنهم كانوا يبنون الغرف في الأماكن العالية ؛ ليشرفوا على المارة ، فيسخرون منهم ، ويعبثون بهم .

* * *

﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ .

[١٢٩] ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾ أي : حصوناً ، وقيل : مصانع الماء تحت الأرض ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ أي : كأنكم تبقون فيها خالدين لا تموتون ، وقال ابن زيد : (لعل) استفهامٌ بمعنى التوبيخ ؛ أي : فهل تخلدون حتى تبنوها؟

* * *

﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ أخذتم وسطوتم ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ قتلاً بالسيف، وضرباً بالسوط، والبطش: الأخذ بعنف، والجبار: الذي يضرب ويقتل على الغضب. قرأ ورش عن نافع، والدوري عن الكسائي: (جَبَّارِينَ) بالإمالة؛ بخلاف عن الأول[1].

* * *

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ ﴾.

[١٣١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

* * *

﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

[١٣٢] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعطاكم من الخير ما تعلمون.

* * *

﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾.

[١٣٣] ثم ذكر ما أعطاهم فقال: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾.

* * *

﴿ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

[١٣٤] ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٢).

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣٥ ﴾.

[١٣٥] ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ إن عصيتموني ﴿ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ في الدنيا والآخرة.

***

﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦ ﴾.

[١٣٦] ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴾ سووا بين وعظه وتركه، والوعظ: كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد.

***

﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧ ﴾.

[١٣٧] ثم قالوا: ﴿ إِنۡ هَٰذَآ ﴾ أي: ما هذا ﴿ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو(١)، ويعقوب، والكسائي: بفتح الخاء وإسكان اللام؛ أي: اختلاق الأولين وكذبهم(٢)، وقرأ الباقون: بضم الخاء واللام؛ أي: عادة الأولين من قبلنا(٣).

***

---

(١) «وأبو عمرو» زيادة من «ت».

(٢) «وكذبهم» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٢).

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾.

[١٣٨] وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا، ثم يموتون، ولا بعث ولا حساب.

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ على ما نحن عليه.

* * *

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾.

[١٣٩] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ بريح صرصر ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

* * *

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾.

[١٤٠] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ تلخيصه: أن هوداً أنذر قومه، ووعظهم، فلم يتعظوا، فأهلكوا.

* * *

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾.

[١٤١] ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

* * *

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ ﴾.

[١٤٢] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

* * *

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾.

[١٤٣] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾.

* * *

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ ﴾.

[١٤٤] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.

* * *

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾.

[١٤٥] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

* * *

﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾.

[١٤٦] ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴾ أي: في الدنيا.

﴿ آمِنِينَ ﴾ من الموت والعذاب.

* * *

﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ ﴾.

[١٤٧] ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾.

* * *

﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾.

[١٤٨] ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ ﴾ عطفها على (جنَّاتٍ) مع أن الجنة تعم النخل

وغيره؛ تفضيلاً لها ﴿طَلْعُهَا﴾ هو ما يطلع من النخلة في جوفه شماريخ القنو.

﴿هَضِيمٌ﴾ لطيف لين، ويوصف بهضيم ما دام في كُفَرَّاه، والكُفَرَّ ـ بضم الكاف وفتح الفاء وتشديد الراء ـ: كم النخل؛ لأنه يستر في جوفه.

* * *

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

[١٤٩] ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر: (فَارِهِينَ) بألف بعد الفاء؛ أي: حاذقين، وقرأ الباقون: بغير ألف؛ أي: بَطِرين.

* * *

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾﴾.

[١٥٠] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فإن في طاعتي طاعةَ الله تعالى.

* * *

﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

[١٥١] ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

[١٥٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والكفر(١).

---

(١) في «ت»: «بالكفر والمعاصي».

﴿ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بطاعة الله فيما أمرهم به.

* * *

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣﴾.

[١٥٣] ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ المسحر: الذي سُحِر كثيراً حتى غلب على عقله.

* * *

﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١٥٤﴾.

[١٥٤] ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ تأكل الطعام، وتشرب الشراب، ولست بملك.

﴿ فَأْتِ بِـَٔايَةٍ﴾ على صحة ما تقول.

﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أنك رسول الله إلينا.

* * *

﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝١٥٥﴾.

[١٥٥] ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ﴾ أي: بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها.

﴿ لَّهَا شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء ﴿ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ فاقتصروا على شربكم، فكانت تشرب جميع الماء يوماً، ويشربون يوماً[١]. فيه دليل على جواز قسمة المنافع بالمهايأة؛ لأن قوله: ﴿ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ﴾ من

---

(١) «ويشربون يوماً» زيادة من «ت».

المهايأة، واختلفوا في حكم المهايأة، فقال أبو حنيفة: يجبر عليها الممتنع إذا لم يكن الطالب متعنتاً، وقال الثلاثة: هي جائزة بالتراضي، ولا إجبار فيها.

* * *

﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾.

[١٥٦] ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ كضرب وعقر.

﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ عظم اليوم لعظم ما يحل فيه.

* * *

﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

[١٥٧] روي أن عاقرها قال: لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين، فاستؤذن صغارهم وكبارهم، فرضوا[١] ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ أسند العقر إلى كلهم؛ لأنهم رضوا بذلك، فأُخذوا جميعاً ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴾ على عقرها؛ خوفاً من نزول العذاب، لا ندمَ توبة.

* * *

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ ﴾.

[١٥٨] ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ الموعود ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٥)، عن قتادة. وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٩٢).

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾ .

[١٥٩] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

* * *

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ .

[١٦٠] ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

* * *

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ .

[١٦١] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ .

* * *

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ ﴾ .

[١٦٢] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ .

* * *

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ .

[١٦٣] ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ .

* * *

﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

[١٦٤] ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

* * *

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ ﴾.

[١٦٥] ثم استفهم منكراً فقال: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ من جميع الناس، عبر عن الفاحشة بالإتيان؛ كما عبر به عن الحلال في قوله: ﴿ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، المعنى: أتطؤون الذكور من الناس، مع كثرة إناثهم؟!

* * *

﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾.

[١٦٦] ﴿ وَتَذَرُونَ ﴾ وتتركون ﴿ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمۚ ﴾ لأجل استمتاعكم.

﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

* * *

﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾.

[١٦٧] ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ ﴾ عن إنكارك علينا.

﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ من قريتنا.

* * *

﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾.

[١٦٨] ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾ المبغضين.

* * *

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

[١٦٩] ثم دعا فقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من العمل الخبيث؛ أي: من شؤمه وعذابه.

* * *

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾﴾.

[١٧٠] ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾ فعصمناه ﴿وَأَهْلَهُ﴾ من العذاب ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

* * *

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

[١٧١] ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ هي امرأته ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب، تقديره: إلا عجوزاً مقدَّراً غبورها أهلكناها؛ لأنها كانت معينة على الفاحشة، راضية بها، والاستثناء من الأهل؛ لأن الزوجة منهم.

* * *

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾.

[١٧٢] ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ أي: أهلكناهم.

* * *

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾.

[١٧٣] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ على شُذَّاذهم ومسافريهم ﴿مَطَرًا﴾ حجارة. ﴿فَسَاءَ﴾ أي: فقبح ﴿مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ مطرُهم.

* * *

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ ﴾.

[١٧٤] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

* * *

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾.

[١٧٥] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾.

* * *

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾.

[١٧٦] ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر: (لَيْكَةَ) بلام مفتوحة من غير ألف وصل قبلها، ولا همزة بعدها، وبفتح تاء التأنيث في الوصل مثل طلحةَ، وكذلك رسم في جميع المصاحف، وقرأ الباقون: بألف الوصل مع إسكان اللام وهمزة مفتوحة بعدها وخفض تاء التأنيث، وحمزة: على أصله يقف على الساكن قبل الهمز، وورش: ينقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وحمزة: له النقل إذا وقف بخلاف عنه؛ فـ(أَيْكَة) اسم نكرة لشجر كثير ملتفّ، ثم دخله التعريف، و(لَيْكَة) أيضاً غير مصروف؛ لتعريفه وتأنيثه: اسم علم لبلد، أو شجر[1]، وتقدم ذكر الأيكة ومحلها في سورة الأعراف، فمن قرأ: (الأَيْكَةِ) أراد: الشجر، ومن قرأ: (لَيْكَة) أراد: البلد كما تقول فيمن صرف ثمود

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٤).

أراد: الأب، ومن لم يصرفه أراد: القبيلة، وكذلك اختلافهم في سورة (صّ)، وأجمعوا على الألف واللام وجر التاء في (الحجر)، و(قّ) لإجماع المصاحف على ذلك.

***

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾.

[١٧٧] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ وإنما لم يقل في شعيب: أخوهم؛ لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، وإنما أُرسل إليهم بعد مدين، وكان من أصحاب مدين، فلما ذكر مدين، قال: أخاهم شعيباً في سورتي الأعراف، وهود، وفي الحديث: «إن شعيباً أخا مدين أُرسل إلى أصحاب مدينَ، وإلى أصحابِ الأيكةِ»[١].

***

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾.

[١٧٨] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾.

***

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ ﴾.

[١٧٩] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٨)، عن قتادة من قوله.

﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٠ ﴾ .

[١٨٠] ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وإنما كانت دعوة الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة؛ لاتفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة، والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة.

* * *

﴿ ۞أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ١٨١ ﴾ .

[١٨١] وكان أصحاب الأيكة يطففون، فقال: ﴿ ۞أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ ﴾ أتموه.

﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴾ الناقصين لحقوق الناس.

* * *

﴿ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ١٨٢ ﴾ .

[١٨٢] ﴿ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴾ بميزان العدل. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (بِالْقِسْطَاسِ) بكسر القاف، والباقون: بضمها(١).

* * *

﴿ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ١٨٣ ﴾ .

[١٨٣] ﴿ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ﴾ لا تنقصوا شيئاً من حقوقهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٥).

﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ بالقتل وقطع الطريق.

* * *

﴿ وَٱتَّقُوا ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ ﴾.

[١٨٤] ﴿ وَٱتَّقُوا ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ يعني: الأمم المتقدمين، والجبلة: الخلق، يقال: جُبل؛ أي: خُلق.

* * *

﴿ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

[١٨٥] ﴿ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾.

* * *

﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾.

[١٨٦] ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ تقدم تفسير نظيره، وأتوا بالواو؛ للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين للرسالة؛ مبالغةً في تكذيبه.

﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ في دعواك.

* * *

﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾.

[١٨٧] ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (كِسَفاً) بفتح السين؛ أي: قطعاً، وقرأ الباقون: بالإسكان؛ أي: قطعة[1]، واختلافهم في الهمزتين من (السَّمَاءِ إِنْ)

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٦).

كاختلافهم فيهما من قوله: (عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

* * *

﴿ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

[١٨٨] ﴿ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فهو مجازيكم بأعمالكم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

* * *

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾.

[١٨٩] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ هو أنه أصابهم حر شديد، وكانوا يدخلون الأسراب فيجدونها أشد حراً، فخرجوا، فجاءتهم سحابة، فدخلوا تحتها يستظلون، فأمطرت عليهم ناراً، فاحترقوا ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

* * *

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾.

[١٩٠] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٦).

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾ .

[١٩١] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ هذا آخر القصص السبع المذكورة؛ تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديداً للمكذبين به، وكرر في هذه القصة ما كرره في غيرها تقريراً لمعانيها في الصدور؛ ليكون أبلغ في الوعظ والزجر.

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ .

[١٩٢] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن المنزل ﴿ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

* * *

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ .

[١٩٣] ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ هو جبريل ـ عليه السلام ـ؛ لأنه أمين على الوحي. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (نَزَّلَ) بتشديد الزاي ونصب (الرُّوحَ الأمينَ) مفعولاً، الفاعل الله تعالى؛ أي: نزل الله به جبريل ـ عليه السلام ـ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وقرأ الباقون: بالتخفيف، ورفعهما الفاعل (الرُّوحُ الأَمينُ)(١).

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٧).

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ .

[١٩٤] ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يا محمد حتى وعيته.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ المخوِّفين.

* * *

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ .

[١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ قال ابن عباس: «بلسان قريش؛ ليفهموا ما فيه»(١)، المعنى: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان، وهم خمسة: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

* * *

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ .

[١٩٦] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: ذكر إنزال(٢) القرآن.

﴿لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ لمثبتٌ في كتب الأنبياء قبلك.

* * *

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٩٧﴾ .

[١٩٧] ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على صحة القرآن، ونبوة محمد ﷺ ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قرأ ابن عامر: (تَكُنْ) بالتاء

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٢).

(٢) «إنزال» زيادة من «ت».

على التأنيث (آيَةٌ) بالرفع، جعل الآية اسماً، وخبره (أَنْ يَعْلَمَهُ)، وقرأ الباقون: (يَكُنْ) بالتذكير (آيَةً) بالنصب، جعلوا الآية خبرَ (يَكُنْ)(١)، معناه: أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علماء بني إسرائيل آيةً؛ أي: علامة على نبوة محمد ﷺ؛ لأنهم كانوا يخبرون بوجوده في كتبهم، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه، وهم: بنيامين، وثعلبة، وأسد، وأسيد، وكان إخبارهم آية على صدقه، قال ابن عباس: «بعثَ أهلُ مكة إلى اليهود، وهم بالمدينة، فسألوهم عن محمد ﷺ، فقالوا: إن هذا الزمان زمانه، وإنا نجد في التوراة نعتَهُ وصفتَهُ»(٢).

* * *

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾.

[١٩٨] ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَهُ ﴾ يعني: القرآن ﴿ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴾ جمع أعجم، وهو الذي لا يُفصح، ولا يحسن العربية، وإن كان عربياً في النسب، والعجمي: المنسوب للعجم، وإن كان فصيحاً.

ومعنى الآية: ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان.

* * *

﴿ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾.

[١٩٩] ﴿ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم ﴾ بغير لغة العرب ﴿ مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٨).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٣٥٧).

﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ .

[٢٠٠] وقالوا: ما نفقه قولك ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ ﴾ أي: أدخلنا الشك والشرك ﴿ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ .

* * *

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ .

[٢٠١] ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ بالقرآن ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ عند الموت .

* * *

﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ .

[٢٠٢] ﴿ فَيَأْتِيَهُم ﴾ فيأخذهم ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة .

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ به في الدنيا .

* * *

﴿ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ .

[٢٠٣] ﴿ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾ مؤخَّرون؛ لنؤمن ونصدق، يتمنون الرجعة .

* * *

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ .

[٢٠٤] ولما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب، قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب، ومتى هذا العذاب؟! فنزل قوله تعالى: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾

فيقولون: ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ [الأحقاف: ٢٢].

* * *

﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾.

[٢٠٥] ثم خاطب النبيَّ ﷺ؛ لإقامة الحجة عليهم في أن مدة الإرجاء والإمهال والإملاء لا تغني مع نزول العذاب بعدها، ووقوع النقمة، وذلك في قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴾ كثيرة في الدنيا؛ يعني: كفار مكة، ولم نهلكهم. تقدم اختلاف القراء في (أَرَأَيْتَ) في سورة الفرقان عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الآية: ٤٣].

* * *

﴿ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾.

[٢٠٦] ﴿ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ يعني: العذاب.

* * *

﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾.

[٢٠٧] ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾ لم يغن عنهم تمتُّعهم المتطاولُ بنعيم الدنيا في دفع العذاب عنهم.

* * *

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ﴾.

[٢٠٨] ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ رسل ينذرونهم.

* * *

﴿ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ ﴾.

[٢٠٩] ﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ محلها نصب؛ أي: ينذرونهم تذكرةً، وقيل: رفع؛ أي: تلك ذكرى ﴿ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ في تعذيبهم؛ حيث قدمنا الحجة عليهم، وأعذرنا إليهم.

* * *

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ ﴾.

[٢١٠] ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ وذلك أن المشركين كانوا يقولون: إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد ﷺ، فنزلت الآية.

* * *

﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ ﴾.

[٢١١] ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ ﴾ أن يتنزلوا بالقرآن ﴿ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ذلك.

* * *

﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾.

[٢١٢] ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ ﴾ أي: عن استراقه من السماء.

﴿ لَمَعْزُولُونَ ﴾ أي: محجوبون بالشهب مرجومون.

* * *

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾.

[٢١٣] ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ قال ابن عباس:

«يحذر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق علي، ولو اتخذت إلهاً غيري، لعذبتك»[1].

* * *

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾.

[٢١٤] ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ فجمع ﷺ قومه، وقال: «إني نذيرٌ لكم بين يَدَي عذاب شديد»[2].

* * *

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾.

[٢١٥] ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾ أَلِنْ جانبك، وتواضَعْ.

﴿ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ من عشيرتك وغيرهم؛ فإن الفاسق والمنافق لا يُخفض له الجناح.

* * *

﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾.

[٢١٦] ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ أي: خالفوك.

﴿ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٤).

(٢) رواه البخاري (٤٤٩٢)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، ومسلم (٢٠٨)، كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾.

[٢١٧] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ليكفيك كيدَ الأعداء. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (فَتَوَكَّلْ) بالفاء عطفاً على (فَقُلْ)، وكذلك هو في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقون: بالواو، وكذلك هو في مصاحفهم[١].

* * *

﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾.

[٢١٨] ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ للتهجُّد.

* * *

﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾.

[٢١٩] ﴿ وَتَقَلُّبَكَ ﴾ أي: ويرى تقلبك ﴿ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ أي: تصفح أحوال المتهجدين من أصحابك، وعن ابن عباس قال: «من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً»[٢].

* * *

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾.

[٢٢٠] ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لما تقوله ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بما تنويه.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٠).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٤).

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ ﴾ .

[٢٢١] ولما قال المشركون: إن الشيطان يلقي السمع[١] على محمد، نزل جواب قولهم: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾؟

* * *

﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢٢] ثم بين فقال: ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ أي: تتنزل ﴿ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ ﴾ كذاب.

﴿ أَثِيمٍ ﴾ مبالغة من آثم، وهم الكهنة الذين كانت تسرق الجن السمع فتلقيه إليهم. قرأ البزي: (تَّنَزَّلُ) بتشديد التاء في الحرفين حالة الوصل[٢].

* * *

﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ .

[٢٢٣] ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ أي: يلقون إلى الكهنة ما يسمعون من الملائكة عند استراق السمع ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ ﴾ أي: الكهنة.

﴿ كَٰذِبُونَ ﴾ لأنهم كانوا يخلطون مع ما يستمعون[٣] كذباً كثيراً. جاء في الحديث: «الكلمةُ يخطَفُها الجني، فيَقرُّها في أذن وليه، فيزيد فيها أكثر من مئة كذبة»[٤].

---

(١) «السمع» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٢ـ٢٣٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٠).

(٣) في «ش»: «يسمعون».

(٤) رواه البخاري (٥٤٢٩)، كتاب: الطب، باب: الكهانة، ومسلم (٢٢٢٨)، كتاب: =

فإذا صدقت تلك الكلمة، كانت سبب ضلال من سمعها، وقال: (أَكْثَرُهُمْ)؛ لأن من الأفاك من قد يصدق.

* * *

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾.

[٢٢٤] ونزل في جماعة من الكفار كانوا يقولون الشعر، ويقولون: نحن نقول كما يقول محمد، واتبعهم غواة على ذلك ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ السفهاء الذين يروون هجاء المسلمين. قرأ نافع: (يَتْبَعُهُمُ) بفتح الباء مخففاً، والباقون: بكسر الباء مشدداً[1].

* * *

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾.

[٢٢٥] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ﴾ تمثيل لذهابهم في كل فن من القول. روي عن يعقوب وقنبل: الوقفُ بالياء على (وَادِي).

﴿يَهِيمُونَ﴾ يذهبون على غير قصد، كما يذهب الهائم على وجهه.

* * *

= السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣١).

﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾.

[٢٢٦] ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴾: فعلنا ﴿ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾.

[٢٢٧] ولما نزلت هذه الآية، جاء حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، ومن كان ينافح عن النبي ﷺ، وكان غالب شعرهم توحيداً وذكراً، فقالوا: يا رسول الله! قد نزل هذا، والله يعلم أنا شعراء، فقال ﷺ: «إنَّ المؤمنَ يجاهدُ بسيفه ولسانه، وإن الذي ترمونهم به نَضْحُ النبل»(١)، ونزل: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ استثناء لشعراء الإسلام ﴿ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أي: لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى.

﴿ وَانتَصَرُوا ﴾ أي: بالرد على المشركين ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ أي: هُجوا؛ لأن الكفار بدؤوهم بالهجاء، قال ﷺ لحسان: «اهجُ المشركين؛ فإن جبريلَ معك»(٢)، ثم أوعد شعراء المشركين فقال تعالى:

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أشركوا ﴿ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ أيَّ مرجعٍ يرجعون

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٨٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٥٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٨٦)، وغيرهم عن كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٣٠٤١)، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، ومسلم (٢٤٨٦)، كتاب: ، فضائل الصحابة، باب: فضائل حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ، عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ.

إليه بعد مماتهم، قال ابن عباس: «إلى جهنم والسعير»[1]، و(أَيَّ) نعت لمصدر محذوف نُصب بـ: (ينقلبون)، لا بـ(يعلم)؛ لأنها استفهام، تقديره: ينقلبون انقلاباً أيَّ منقلب، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٨١).

سورة النمل

مكية، وآيها: ثلاث وتسعون آية، وحروفها: أربعة آلاف وسبع مئة وتسعون حرفاً، وكلمها: ألف ومئة وتسع وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١﴾.

[١] ﴿طسٓۚ﴾ تقدم الكلام[١] عليه، ومذاهب القراء فيه أولَ سورة الشعراء، وهو اسم من أسماء الله تعالى، قاله ابن عباس[٢]، قيل: معناه هنا: لطيف وسميع.

﴿تِلۡكَ﴾ أي: هذه الآيات المذكورات ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ؛ لأنه خط فيه ما هو كائن، فهو يبينه للناظرين. قرأ ابن كثير: (القُرَانِ) و(قُرَان) و(قُرَاناً) حيث وقع: بالنقل، والباقون: بالهمز[٣].

---

(١) في «ت»: «القول».

(٢) تقدم ذكره عنه، وتخريجه.

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٥).

﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾ .

[٢] ﴿هُدًى﴾ أي: هو هدى من الضلالة.

﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ للمصدقين به.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قرأ ورش: (الصَّلاَة) بتغليظ اللام.

﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ المعنى: المؤمنون الموصوفون بهذه الصفات يوقنون بالبعث.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ بخلق الشهوة فيهم، فاعتقدوا أعمالهم القبيحة حسنة؛ لشهوتهم إياها، لا أنا حَسَّنَّا لهم الفواحشَ، وأمرناهم بها. قرأ أبو عمرو: (بِالآخِرَة زَّيَّنَّا) بإدغام التاء في الزاي(١).

﴿ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ يترددون بتحير.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٥).

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ في الدنيا؛ بالقتل والأسر.

﴿ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ أشد الناس خسراناً؛ لفوت المثوبة، واستحقاق العقوبة.

***

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ ﴾ لتؤتاه.

﴿ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ أي: وحياً من عند الله ذي الحكمة، وهذه الآية رد على كفار قريش في قولهم: إن القرآن من تلقاء محمد بن عبد الله.

***

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ثم قص تعالى خبر موسى عليه السلام، والتقدير: اذكر ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ ﴾ في مسيره من مدين إلى مصر:

﴿ إِنِّي آنَسْتُ ﴾ أبصرت ﴿ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ أخبركم به عن حال الطريق؛ لأنه كان قد ضل عنها. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٨-٤٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٦).

﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ﴾ هي الشعلة المضيئة. قرأ الكوفيون، ويعقوب: (بِشِهَابٍ) بالتنوين، جعلوا القبس نعتاً للشهاب، وقرأ الباقون: بغير تنوين على الإضافة(١).

﴿قَبَسٍ﴾ هو العود الذي في أحد طرفيه نار، قال في (طه): ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ﴾ [الآية: ١٠] ترجّياً، وهنا (سَآتِيكُمْ) إخباراً؛ لأن الراجي إذا قوي ترجيه، ربما حكم بوقوع الفعل، المعنى: أن موسى قال لزوجته لما ضربها الطلق، ورأى النار: اثبتوا مكانكم، سآتيكم بجزء منها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون من البرد، وكان ذلك في شدة الشتاء.

* * *

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ أي: بورك على من في طلب النار، وهو موسى عليه السلام ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ وهم الملائكة، والمراد بالنار: النور؛ لأن موسى حسبه ناراً، وهذا تحية من الله ـ عز وجل ـ لموسى ـ عليه السلام ـ بالبركة؛ كما حيا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ﴾ [هود: ٧٣]، ثم نزه تعالى نفسه فقال:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٦).

﴿ وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ من تمام ما نودي به؛ لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيهاً، وللتعجيب من عظمة ذلك الأمر.

* * *

﴿ يَامُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ثم تعرف إلى موسى بصفاته فقال: ﴿ يَامُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ ﴾ والهاء في (إِنَّهُ) ضمير الشأن، والشأن ﴿ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ صفتان لله تعالى، وروي أن موسى لما سمع الخطاب، فلم ير أحداً، قال: من الذي يكلمني؟ فقيل: ﴿ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾[١].

* * *

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَامُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ثم أرى موسى آية على قدرته تعالى ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ ﴾ عطف على ﴿ بُورِكَ ﴾ أي: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك.

﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ ﴾ تتحرك باضطراب. وتقدم اختلاف القراء في (رَآهَا) في سورة الأنبياء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ [الآية: ٣٦].

﴿ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾ حية صغيرة.

﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ وهرب من الخوف.

﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ ﴾ لم يرجع بعد هربه.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السُّنة» (١/ ٣٠٥) وأبو نعيم عن أنس مطولاً، كما في «الدر المنثور». (٣/ ٥٣٩).

فقال الله تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ أي: من أمنته لا ينبغي أن يخاف من حية.

* * *

﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن من ظلم من المرسلين بذنب صدر منه؛ كآدم ويونس وداود وموسى(١) ﴿ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ ﴾ توبة بعد ذنب.

﴿ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ أغفر له، وأزيل الخوف عنه.

* * *

﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ثم أراه الله تعالى آية أخرى، فقال: ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ ﴾ أي: قميصك؛ لأنه يُجاب؛ أي يقطع، والجيب: الفتح في الثوب لرأس

---

(١) وعن الفراء أن الاستثناء هنا متصل، لكل من جملة محذوفة، تقديره: وإنما يخاف غيرُهم إلا من ظلم. وردَّه النحاس. وقدره الزمخشري بـ: «لكن» وهي علامة على أنه منقطع. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٥٥). وقد ذكر الطبري رحمه الله في «تفسيره» (١٩/ ٤٣٢) أقوال النحويين واختلافهم، وذكر من جملة ذلك: في هذه الآية وجهان: أحدهما أن يقول: إن الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة، ومن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فهذا يخاف ويرجو. والآخر أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة؛ لأن المعنى: لا يخاف لدي المرسلون، إنما الخوف على من سواهم.

الإنسان، وكانت عليه مدرعة من صوف لا كُمَّ لها ولا أزرار، فأدخل يده في جيبه، وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، فذلك قوله تعالى:

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ حال ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ آفة برص.

﴿فِى تِسْعِ﴾ أي: آية في تسع ﴿ءَايَٰتٍ﴾ و(إِلَى) متعلق بمحذوف؛ أي: مرسلاً إلى فرعون في تسع آيات، وهي: اليد، والعصا، والفلق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، أنت مرسل بهن ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ تعليل للإرسال.

* * *

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ حال يُبصر بها، ونسب البصر إليها مجازاً، وهو في الحقيقة لمتأمليها ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر.

* * *

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ أنكروا الآيات، ولم يقروا أنها من عند الله.

﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ﴾ أي: وقد استيقنتها ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ واستيقن أبلغُ من أيقن، المعنى: لما جاءتهم آياتنا واضحات، واستيقنوا صدقها، جحدوا بها ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ شركاً وتكبراً.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وسوء منقلبهم حين كذبوا موسى، وفي هذا تمثيل لكفار قريش؛ إذ كانوا مفسدين مستعلين.

* * *

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ثم ابتدأ بقصص فيه غيوب وعبر، وليس بمثال لقريش، فقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ ﴾ أي: علم القضاء، ومنطق الطير والدواب، وتسبيح الجبال.

﴿ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا ﴾ بالنبوة، وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني: من لم يؤت علماً.

* * *

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ ﴾ في النبوة والملك دون سائر أولاده، وكانوا تسعة عشر. قرأ أبو عمرو: (وَوَرِث سُّلَيْمَانُ) بإدغام الثاء في السين[(١)]، و(ورث) بمعنى صار إليه ذلك بعد موت أبيه، فسمي ميراثاً تجوزاً، وهذا نحو قولهم: «العلماء ورثة الأنبياء»، وحقيقة الميراث في المال، والأنبياءُ لا تورث أموالهم؛ لأن النبي ﷺ قال: «إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا، فهو صدقة»[(٢)] فأعطي سليمان ما أعطي داود عليهما السلام من

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٩).

(٢) رواه البخاري (٢٩٦٢)، كتاب: أبواب الخمس، باب: فرض الخمس، ومسلم (١٧٥٨)، كتاب: الجهاد والسير، باب: قول النبي ـ رضي الله عنه ـ: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة»، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

الملك، وزيد له تسخير الجن والريح، وفهم منطق الطير، فثم اعترف بأنعم الله تعالى.

﴿وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ أي: فَهْمَ أصواته، والمنطق: الكلام، روي أنه صاح ورشانٌ، فقال: إنه يقول: لدوا للموت وابنوا للخراب، وصاحت فاختة، فقال: إنها تقول: ليت الخلق لم يخلقوا، والطاوس يقول: كما تدين تدان، والهدهد يقول: كل حي ميت، وكل جديد بال، والخطاف يقول: قدموا خيراً تجدوه، والحمامة تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمواته وأرضه، والقطا يقول: من سكت سلم، والببغاء يقول: ويل لمن الدنيا همه، والدراج يقول: الرحمن على العرش استوى، والقُبر يقول: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد، والنسر يقول: ابن آدم عش ما شئت آخره الموت، والعقاب يقول: في البعد من الناس أنس، والحمار يقول: اللهم العن العشار، والفرس يقول إذا التقى الصفان: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، والزرزور يقول: اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق[1].

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يؤتاه الأنبياء والملوك من أمر الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا.

***

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٨٧ـ٣٨٨)، عن كعب. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٤)، عن كعب بإسناد واه جداً. انظر: «كشف الخفاء» للعجلوني (٢/ ١٨٣).

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَحُشِرَ ﴾ جُمع ﴿ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ﴾ في مسير كان له.

﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يُحبسون ثم يُساقون، وأصل الوزع: الكف، والوزَّاع: هو الحابس، وهو النقيب، وكان معسكره مئة فرسخ: في مئة فرسخ خمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان يأمر الريح العاصف فترفعه، ويأمر الرخاء فتسير به، فأوحى الله إليه وهو بين السماء والأرض: أني قد زدت في ملكك: أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرتك، فبينا هو يسير، رآه وجندَه حَرَّاث، فقال: لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً، فمشى إليه سليمان وقال: إنما مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه، ثم قال: والله لتسبيحة واحدة يتقبلها الله خير مما أوتي آل داود(١).

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٣٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤١٤١) عن محمد بن كعب، وذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٨٩ـ ٣٩٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٣/ ١٧٦)، وذكر القرطبي عن ابن عطية قوله: واختُلف في معسكره ومقدار جنده اختلافاً شديداً، غير أن الصحيح أن ملكه كان عظيماً مِلأَ الأرض، وانقادت له المعمورة كلُّها.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ .

[١٨] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ ﴾ وقف يعقوب، والكسائي (وَادِي) بإثبات الياء(١).

روي أن سليمان ـ عليه السلام ـ سار من اصطخر إلى اليمن حتى مر بواد النمل، وهو واد بالطائف، وقيل: بالشام، كثير النمل، والمشهور أنه النمل الصغير، وقيل: كان نمل ذلك المكان أمثال الذباب، وقيل كالبخاتي ﴿ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ ﴾ وكانت ملكة النمل لما رأت جند سليمان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ ﴾ ولم يقل: ادخلن؛ لأنه لما جعل لها قولاً، خاطبها خطاب الآدميين ﴿ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ ﴾ يكسرنكم ﴿ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (يَحْطِمَنْكُمْ) بإسكان النون مخففاً، والباقون: بفتحها مشدداً(٢).

﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ بهلاككم إقامة لعذرهم.

* * *

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩ ﴾ .

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٨ـ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤١).

[١٩] وسمع سليمان كلام النمل من ثلاثة أميال، وقيل: كان اسمها طاخية.

وعن قتادة: أنه دخل الكوفة، فالتف عليه الناس، فقال: سلوا عما شئتم، وكان أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ حاضراً وهو غلام حَدَث، فقال: سلوه عن نملة سليمان، أكانت ذكراً أم أنثى؟ فسألوه، فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقيل له: من أين عرفت؟ فقال: من كتاب الله، وهو قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ولو كان ذكراً، لقال: قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى، فيميز بينهما بعلامة؛ نحو قولهم: حمامة ذكر، وحمامة أنثى، وهو وهي[١].

روي أنه لما أشرف على الوادي، حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم.

وروي أنه قال لعظيم النمل: لِمَ قلت ادخلوا مساكنكم، أخفت عليهم مني ظلماً؟ قال: لا، ولكن خشيت أن يفتنوا بما يرون من ملكك، فيشغلهم ذلك عن طاعة الله[٢].

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ حال مؤكدة، والتبسم أول الضحك، وهو ما لا صوت له ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾ تعجباً من حذرها وتحذيرها.

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ ألهمني. قرأ ورش، والبزي: (أَوْزِعْنِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٣].

---

(١) «الكشاف» للزمخشري (٣/ ٣٦١)، و«تفسير الرازي» (٢٤/ ١٦١).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ١٧١) عن أبي إسحاق الثعلبي، قال: رأيت في بعض الكتب. . . فذكره.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: =

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: في جملتهم، قال ابن عباس: «يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين»[١].

* * *

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] روي أن الهدهد كان دليل سليمان على الماء، وكان يعرف موضع الماء، ويراه تحت الأرض كما يرى في الزجاجة، ويعرف قربه وبعده، فينقر الأرض فتجيء الشياطين، فيسلخونه ويستخرجون الماء، فنزل سليمان منزلاً، فاحتاج إلى الماء وقت الصلاة، فطلب الهدهد فلم يجده[٢]. ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ ليرى الهدهد، فلم يره، والتفقد: طلبُ ما فُقد، ومعنى الآية: طلب ما فقد من الطير.

﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ في جملة الطير. قرأ ابن كثير، وعاصم، والكسائي، وهشام عن ابن عامر: (مَا لِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٣]، ثم أدركه الشك في غيبته، فقال:

= ٣٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤٢).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٩١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٤٢) عن ابن عباس. وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤٢).

﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ يعني: أكان من الغائبين؟ والميم صلة.

* * *

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] فلما تحقق غيبته، قال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا﴾ أي: تعذيباً.

﴿شَدِيدًا﴾ بنتف ريشه وذنبه، ورميه في الشمس، فلا يمتنع على الهوام.

﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ لأقطعن حلقه، ورسمت (أَوْ لأَاْذْبَحَنَّهُ) في بعض المصاحف بزيادة ألف بعد (لأَ).

﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ برهان ظاهر على عذره. قرأ ابن كثير: (لَيَأْتِيَنَّنِي) بنونين: الأولى مفتوحة مشددة، والثانية مكسورة مخففة، وكذلك هو في مصاحف أهل مكة، أصلها: لَيَأْتِينِي، ثم دخلت النون مشددة، وهي محسوبة بنونين تأكيداً للقسم، وبعدها نون مكسورة للوقاية كنون ضربني، وبني الفعل على الفتح، ففتح الياء التي هي لام الفعل، وقرأ الباقون: بنون واحدة مكسورة مشددة، وكذلك هو في مصاحفهم(١).

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤٣).

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] وكان سبب غيبة الهدهد: أن سليمان ـ عليه السلام ـ لما فرغ من عمارة بيت المقدس، خرج للحج، فأقام في الحرم مدة طويلة، يقرب كلَّ يوم خمسة آلاف ناقة، وخمسة آلاف بقرة، وعشرين ألف شاة، وقال لمن حضره من أشراف قومه: إن هذا مكان يخرج منه نبي عربي، صفته كذا وكذا[1]، يعطى النصر على جميع من ناوأه، وتبلغ هيبته مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم، يدين بدين الحنيفية، طوبى لمن أدركه وآمن به، ثم خرج من مكة يطلب صنعاء اليمن، فرأى مكاناً أعجبه، فنزل ليتغدى ويصلي الظهر، وكان الهدهد دليل الماء كما تقدم، واسمه يعفور، فقصد أن يرتفع لينظر في طول السماء وعرضها، فارتفع فرأى بستاناً لبلقيس، فمال إلى خضرته، فإذا بهدهد اسمه عنفير، فقال عنفير اليمن ليعفور سليمان: من أين أقبلت؟ قال: من الشام مع صاحبي سليمان ملك الجن والإنس والشياطين والطير والوحوش والرياح، فمن أين أنت؟ قال: من هذه البلاد، وملكتها بلقيس، وما أظن ملك سليمان بأعظم من ملكها، فهل أنت منطلق معي تنظر ملكها؟ فقال: أخاف أن يفقدني سليمان وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء، فقال: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه، ونظر ملكها.

﴿ فَمَكَثَ ﴾ وقتاً ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ ثم جاء. قرأ عاصم، وروح عن يعقوب:

---

(١) «وكذا» ساقطة من «ت».

(فَمَكَثَ) بفتح الكاف، والباقون: بضمها، لغتان[1]، المعنى: أن الهدهد أبطأ في غيبته قدراً يسيراً، فسأل سليمان عريفَ الطير النسرَ عن الهدهد، فقال: أصلح الله الملك، ما أدري أين هو، ولا أرسلته إلى مكان، فغضب وقال لسيد الطير العقاب: عليَّ به، فارتفع في الهواء، فرأى الهدهد قد أقبل من نحو اليمن، فانقض عليه[2] فقال: بحق الذي قواك وأقدرك علي إلا رحمتني، ولم تتعرض لي بسوء، فقال: ويلك إن نبي الله قد حلف ليعذبنك، فتلقته الطيور وقالت: ويلك إن نبي الله قد توعدك، وحلف ليهلكنك، قال: وما استثنى؟ قالوا: بلى، إن لم تأت بسلطان مبين، فقال: نجوت إذاً، فجاء العقابُ سليمانَ بالهدهد، وقال: قد أتيتك به، فلما قرب الهدهد، رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه تواضعاً لسليمان، فأخذ برأسه وجذبه إليه بشدة، وتهدده، فقال: يا نبي الله! اذكر وقوفك بين يدي الله، فارتعد وعفا عنه، ولطف به؛ خوفاً من الله تعالى، ولئلا يلحقه العجب، وهو الداء العضال، ثم سأله عما لقي في غيبته.

﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: علمت ما لم تعلم، وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك[3]، والإحاطة: العلمُ بالشيء من جميع جهاته.

﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ﴾ اسم أرض باليمن، أو رجل. قرأ أبو عمرو، والبزي عن ابن كثير: (سَبَأَ) بفتح الهمزة من غير تنوين، وروى قنبل عن ابن

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤٣).

(٢) «عليه» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٢ـ٣٩٤).

كثير: بإسكان الهمزة، وقرأ الباقون: بالخفض والتنوين[1]، فمن قرأ منوناً مصروفاً، جعله اسم رجل، ومن قرأ غير مصروف، جعله اسم البلد، والقراءة بإسكان الهمزة تخفيفاً، والنسابون يقولون: هو سبأ بن يشجب بن قحطان، وقد جاء في الحديث: أن النبي ﷺ سئل عن سبأ فقال: «كان رجلاً له عشرة من البنين، تيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة»[2].

﴿بِنَبَإٍ﴾ خبر ﴿يَقِينٍ﴾.

***

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] قال سليمان: وما ذاك؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ أي: تملك قومها، واسمها بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وأمها جنية؛ لأنه ما كان يرى التزوج من الإنس، ولم يكن له ولد غيرها، فملكت ملكه.

﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يليق بها من أسباب الدنيا.

﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ سرير ضخم كان مضروباً من الذهب، مكللاً بالدر

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٥٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٧)، قال مكي عن قراءة الإسكان في الوصل: غير مختار ولا قوي.

(٢) رواه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١١١ـ١١٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٣٢٤)، عن فروة بن مسيك ـ رضي الله عنه ـ.

والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وقوائمه من الياقوت والزمرد، وعليه سبعة أبيات، وعلى كل بيت باب مغلق.

قال ابن عباس: «كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً»[1]، وقيل غير ذلك.

* * *

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا ﴾ وكانوا مجوساً ﴿ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ القبيحة ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ سبيل الصواب.

﴿ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ إليه، وخفي حالها على سليمان، مع قربها منه؛ لأنه كان نازلاً بصنعاء، وهي بمأرب، وبينهما ثلاثة أميال لحكم يعلمها الله تعالى؛ ليعلم الإنسان أنه لا يعلم إلا ما عُلِّم.

* * *

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ ﴾ قرأ أبو جعفر، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (أَلَا) بتخفيف اللام، ويقفون: (أَلَا يَا)، ويبتدئون: (اُسْجُدُوا) بهمزة مضمومة على الأمر على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا: وجعلوه أمراً من الله

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٥).

والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وقوائمه من الياقوت والزمرد، وعليه سبعة أبيات، وعلى كل بيت باب مغلق.

قال ابن عباس: «كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً»(١)، وقيل غير ذلك.

* * *

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا ﴾ وكانوا مجوساً ﴿ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ القبيحة ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ سبيل الصواب.

﴿ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ إليه، وخفي حالها على سليمان، مع قربها منه؛ لأنه كان نازلاً بصنعاء، وهي بمأرب، وبينهما ثلاثة أميال لحكم يعلمها الله تعالى؛ ليعلم الإنسان أنه لا يعلم إلا ما عُلِّم.

* * *

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ ﴾ قرأ أبو جعفر، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (أَلاَ) بتخفيف اللام، ويقفون: (أَلاَ يَا)، ويبتدئون: (اُسْجُدُوا) بهمزة مضمومة على الأمر على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا: وجعلوه أمراً من الله

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٥).

تعالى مستأنفاً: فحذفت همزة الوصل بعد (يا) وقبل السين من الخط على مراد الوصل دون الفصل.

قال الحافظ أبو عمرو الداني: كما حذفوها في قوله: (يَبْنَؤُمَّ) في طه على مراد ذلك.

قال ابن الجزري: أما (يا بنؤم). فقد رأيته في المصاحف الشامية من الجامع الأموي، ورأيته في المصحف[1] الكبير الذي يذكر أنه الإمام من الفاضلية بالديار المصرية. وفي المصحف المدني: بإثبات إحدى الألفين، ولعل الداني رآه في بعض المصاحف محذوف الألفين، فنقله كذلك. وقرأ الباقون: بتشديد اللام، و(يَسْجُدُوا) عندهم كلمة واحدة، مثل ألا يقولوا، فلا يجوز القطع على شيء منها[2]، المعنى: وزين لهم الشيطان أعمالهم؛ لئلا يسجدوا ﴿لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ المستتر ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فخبء السماء: المطر، وخبء الأرض: النبات.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود. قرأ الكسائي، وحفص عن عاصم: (تُخْفُونَ) و(تُعْلِنُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[3].

* * *

---

(١) «المصحف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤٦).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤٨).

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴾ هو المستحق للعبادة والسجود، لا غيره، وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيماً، فهو صغير حقير في جنب عرشه عز وجل، وهذا محل سجود بالاتفاق، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في حكم سجود التلاوة وسجود الشكر ملخصاً عند سجدة مريم.

* * *

﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] فلما فرغ الهدهد، من كلامه ﴿ ۞ قَالَ ﴾ له سليمان:

﴿ سَنَنظُرُ ﴾ من نظر التأمل ﴿ أَصَدَقۡتَ ﴾ فيما أخبرت.

﴿ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ فيه[١].

* * *

﴿ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ثم دلهم الهدهد على الماء، فاستخرج، وارتووا وتوضؤوا وصلوا، ثم كتب سليمان كتاباً صورته: «من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا علي، وأتوني مسلمين»، ثم طبعه بالمسك، وختمه بخاتمه، ثم قال له: ﴿ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ ﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة: (فَأَلْقِهْ) بسكون الهاء تخفيفاً لغة صحيحة، وقرأ أبو جعفر،

---

(١) «فيه» زيادة من «ت».

ويعقوب، وقالون، وهشام بخلاف عن الأول: (فَأَلْقِهِ) باختلاس كسرة الهاء لتدل الكسرة على الياء المحذوفة، وقرأ الباقون: بإشباع الكسرة، وصلتها بياء في الوصل(١)؛ لأن الهاء لما يتحرك ما قبلها، ثبت الحرف الذي بعدها؛ لعدم اجتماع الساكنين، المعنى: اقذفه ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إلى بلقيس وقومها.

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ تنحَّ مستتراً ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ يردُّون من الجواب.

* * *

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩)﴾.

[٢٩] فأخذ الهدهد الكتاب، وأتى بلقيس وهي نائمة في قصرها، فألقاه على نحرها، فلما رأت الخاتم، أرعدت وخضعت خوفاً؛ لأن ملك سليمان كان فيه، وعرفت أن مُلكَ المرسل إليها أعظم من ملكها، ثم تأخر الهدهد يسيراً، ثم جلست مع أشراف قومها، وكانوا اثني عشر ألفاً، ثم ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ مختوم، قال ﷺ: «كرامةُ الكتابِ خَتْمُه»(٢).

واختلاف القراء في الهمزتين من (الْمَلأُ إِنِّي) كاختلافهم فيهما من (نَشَاءُ إِلَى

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٥-٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٧٢)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٩): فيه محمد بن مروان السدي الصغير، وهو متروك.

أَجَلٍ مُسَمًّى) في سورة الحج، قرأ نافع، وأبو جعفر: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾.

[٣٠] ثم قرأت عليهم ما في الكتاب، وهو: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

* * *

﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝٣١﴾.

[٣١] ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ لا تتكبروا ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ طائعين مؤمنين.

* * *

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۝٣٢﴾.

[٣٢] ثم ﴿قَالَتْ﴾ اختباراً لقومها وتطييباً لقلوبهم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى﴾ أشيروا علي ﴿فِىٓ أَمْرِى﴾ فيما عرض لي.

﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً﴾ منفذة ﴿أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ تحضرون. قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وابن كثير، ورويس عن يعقوب: (الْمَلأُ أَفْتُونِي) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، وهي أن تبدل واواً محضة، وقرأ الباقون، وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٠).

الهمزتين[1]، [وما ذكر من تسهيل إحدى الهمزتين][2] إنما هو في حالة الوصل، فإذا وقفت على الكلمة الأولى، وبدأت بالثانية، حققت الهمز في ذلك لجميع القراء، وأثبت يعقوب الياء بعد النون في (تَشْهَدُوني)، وحذفها الباقون[3].

* * *

﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ قَالُوا۟ ﴾ مجيبين لها: ﴿ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ ﴾ في الأجساد والآلات.

﴿ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ شجاعة ونجدة في الحرب، وهذا تعرض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك.

﴿ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾ في القتال وتركه.

﴿ فَٱنظُرِى ﴾ من الرأي ﴿ مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ فنحن لك تبع.

* * *

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] فأومأت إلى المسالمة، و﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً ﴾ قهراً ﴿ أَفْسَدُوهَا ﴾ بالتخريب.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥١).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥١).

﴿ وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ ليستقيم أمرهم، تحذرهم مسير سليمان إليهم، وتناهى الخبر عنها هاهنا، فصدق الله تعالى قولها.

فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: كما قالت.

* * *

﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] وكانت بلقيس امرأة لبيبة، قد سيست وساست، وعرفت تدبير الملك، فأرادت أن تداري عن بلدها، فقالت للملأ من قومها: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ أختبر بذلك سليمان، إن كان ملكاً، أخذ الهدية وانصرف، وإن كان نبياً لم يأخذها، ولم نأمنه على بلادنا.

﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ﴾ أي: بأي شيء.

﴿يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ من قبول الهدية أو ردها، وما يقال لهم. وقف يعقوب والبزي: (بمَهْ) بزيادة هاء بعد الميم بخلاف عنهما[(١)]، والهدية: اسم للشيء المعطى بملاطفة ورفق.

* * *

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] فأهدت بلقيس لسليمان وُصَفاءَ ووصائفَ، وألبستهم لباساً واحداً لئلا يُعرفوا، وكان عددهم خمس مئة جارية، وخمس مئة غلام، وأربع

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥١) عن البزي.

لبنات، كل لبنة مئة رطل من ذهب، وتاجاً مكللاً بالجواهر، ومسكاً وعنبراً، وحقة فيها درة ثمينة، وخرزة جزعية معوجة الثقب، وكتبت كتاباً فيه نسخة الهدايا، وقالت فيه: إن كنت نبياً، فميز بين الوصفاء والوصائف، وأخبر بما في الحقة قبل فتحها، واثقب الدرة ثقباً مستوياً من غير علاج إنس ولا جن، وأمرت الغلمان أن يكلموه بكلام فيه لين شبه كلام النساء، والجواري بكلام فيه غلظة شبه كلام الرجال، وأرسلت الهدية مع المنذر بن عمرو من قومها ذي لب ورأي، وضمت إليه رجالاً من قومها، وقالت له: انظر إليه، فإن نظر إليك نظر غضب، فاعلم أنه مَلِك، فلا يهولنك منظره، وإن رأيته هشاً لطيفاً، فاعلم أنه نبي كريم، فتفهم قوله، ورد الجواب كما سمعت. فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد نحو سليمان مسرعاً يخبره الخبر، فأمر سليمان أن يضربوا لبنات الذهب والفضة، وأن يبسطوها من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميداناً واحداً، وأن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر اللبنات خالياً، وأن يجعلوا حول الميدان حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة، ثم أمر الجن فجاؤوا بأحسن دواب البحر، فجعلها مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله، وجلس هو في الميدان، وحوله الجن والإنس والشياطين والطير والوحش، فجعل الرسل يمرون بكراديس الجن والإنس والشياطين، فلما رأى الرسل موضع اللبنات خالياً، وكل الأرض مفروشة، خافوا أن يُتهموا بذلك، فطرحوا ما معهم في ذلك المكان، وتقاصرت نفوسهم لما رأوا ما لم تر أعينهم.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ﴾ رسلها ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ نظر إليهم بوجه حَسَنٍ طَلْق، وقال: ما وراءكم؟ فأخبر الخبر، وأعطي كتابها، فنظر فيه فقال: أين الحقة؟ فجيء بها، فقال: إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة، وجزعة معوجة الثقب،

فأمر سليمان الأرضة، فأخذت شعرة ودخلت في الدرة حتى خرجت من الجانب الآخر، ودخلت دودة أخرى بخيط في الخرزة المثقوبة حتى خرجت من الجانب الآخر، فجمع بين طرفيه، وختمه، ودفعها إليهم، وميز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم بغسل وجوههم وأيديهم، فكانت الجارية تأخذ الماء بإحدى يديها وتجعله على اليد الأخرى، والغلام يأخذ من الآنية يضرب به وجهه، فلما اعتبر الهدية.

﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ﴾ أتزيدونني ﴿بِمَالٍ﴾ وأكثر استعمال الإمداد في المحبوب، والمد في المكروه.

﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ من الدنيا، ثم أضرب عن إنكاره عليهم مبيناً سبب حملهم على الإمداد.

فقال: ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا[1]، المعنى: إن الله تعالى أعطاني نبوة وملكاً لا مزيد عليه، فلا حاجة بي إلى دنياكم، بل حاجتي إلى إيمان قومكم. قرأ حمزة، ويعقوب: (أَتُمِدُّونِّي) بنون واحدة مشددة وإثبات الياء، وقرأ الباقون: بنونين خفيفتين، وأثبت الياء وصلاً نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وفي الحالين: ابن كثير، ويعقوب، وحمزة[2]، إلا أن حمزة ويعقوب يدغمان النون كما تقدم، وقرأ نافع،

---

(١) «الدنيا» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٢).

وأبو جعفر، وأبو عمرو، وحفص، ورويس: (آتَانِيَ اللَّهُ) بفتح الياء وصلاً، وقف عليها بالياء يعقوب، وحذفها ورش وقفاً، واختلف في الوقف عن أبي عمرو، وقالون، وقنبل، وحفص، وحذفها الباقون في الحالين، وقرأ الكسائي: (آتَانِي اللَّهُ) بالإمالة[1].

* * *

﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ ﴾.

[٣٧] ثم قال سليمان للمنذر بن عمرو أمير الوفد: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾ أي: لا طاقة لهم بهم. قرأ حمزة، ويعقوب: (إِلَيْهُمْ) بضم الهاء حيث وقع[2]، وابن كثير، وأبو جعفر، وقالون بخلاف عنه: يصلون الميم بواو حيث وقع، وقرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (لاَ قِبَل لَّهُمْ) بإدغام اللام الأولى في الثانية[3].

﴿ وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ ﴾ من سبأ ﴿ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ إن لم يأتوا مسلمين.

فلما رجع رسلها إليها، قالت: قد عرفت أنه ليس بملك، وما لنا به من طاقة، وأرسلت إليه: أني قادمة عليك، وجعلت سرائرها داخل سبعة

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٣).

(٢) سلفت عند تفسير الآية (٦) من سورة الفاتحة.

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٤).

أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وأغلقت الأبواب، وجعلت عليه حرساً، وارتحلت إلى سليمان في اثني عشر ألف قَيْلٍ، مع[1] كل قَيْلٍ ألوف كثيرة.

***

﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] وكان سليمان رجلاً مَهِيباً لا يبدأ بشيء حتى يسأل عنه، فجلس يوماً على سريره، فرأى رهجاً وجمعاً جماً على فرسخ عنه، فقال: ما هذا؟ قال: بلقيس بجنودها، فأقبل حينئذ سليمان على جنوده، و﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ فيحرم علي أخذه منها[2]. واختلاف القراء في الهمزتين من ﴿ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ﴾ كاختلافهم فيهما من ﴿ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى﴾ [يوسف: ٤٣ والنمل: ٣٢].

***

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ هو المارد القوي ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ والإنس، مأخوذ من العفر، وهو التراب، فكأنه يصرع قرنه عليه من الخبر، واسمه كوذي:

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: من مجلسك الذي تقضي فيه، وكان يجلس إلى القضاء إلى نصف النهار.

---

(١) «مع» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٩ـ٤٠١).

﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ على ما فيه من درر وجوهر.

* * *

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] فقال سليمان: أسرع من هذا ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: من كتابها إليه، وهو آصف بن برخيا، وكان صِدّيقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وهو يا حي يا قيوم، وقيل غيره(١)، وكان بينه وبين عرشها مقدار شهرين:

﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ أي: تحريك أجفانك إذا نظرت. قرأ حمزة، وخلف بخلاف عن خلاد: (آتِيكَ) بإمالة فتحة الهمزة في الحرفين(٢). رُوي أن آصف قال لسليمان: أرسل طرفك، فنظر نحو اليمين، فدعا آصف، فسار الكرسي تحت الأرض، ونبع لدى سليمان قبل أن يرجع إليه طرفه(٣).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٠٣)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٠٢)، و«روح المعاني» للآلوسي، (١٩/ ٢٠٣) وذكر الآلوسي رحمه الله الاختلاف في الذي قال ذلك وناقش مسألة طلب سليمان أن يأتوه بالعرش دون أن يحضره هو بنفسه.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٤).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٠٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٦٨) عن وهب بن منبه.

﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ ثابتاً لديه، وحُمل إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف ﴿ قَالَ هَٰذَا ﴾ أي: حصول مرادي ﴿ مِن فَضْلِ رَبِّي ﴾ عَلَيَّ.

﴿ لِيَبْلُوَنِيٓ ﴾ ليختبرني ﴿ ءَأَشْكُرُ ﴾ النعمة ﴿ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ بكون غيري أعلم مني.

﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ لأن نفع شكره عائد عليه؛ لأن الشكر قيد النعمة الموجودة، وصيد النعمة المفقودة.

﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ بترك الشكر على النعمة ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ ﴾ عن شكرهم ﴿ كَرِيمٌ ﴾ ذو فضل على الشاكر والكافر. وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في (رَآهُ عِنْدَهُ) ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ ﴾ [النمل: ١٠]، وقرأ نافع، وأبو جعفر: (لِيَبْلُوَنِيَ) بفتح الياء الأخيرة، والباقون: بإسكانها(١)، واختلافهم في الهمزتين من (أَأَشْكُرُ) كاختلافهم فيهما من (أَأَنْتَ فَعَلْتَ) في سورة الأنبياء [الأنبياء: ٦٢].

* * *

﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ولما جاءت بلقيس، خاف الجن أن تفشي سرهم إلى سليمان؛ لأن أمها كانت جنية(٢)، وأن يتزوجها سليمان، فتلد له ولداً فلا ينفكون من

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٥).

(٢) قال الماوردي: وهذا مستنكر للعقول؛ لتباين الجنسين واختلاف الطبعين؛ إذ الآدمي جسماني والجني روحاني، وهذا من صلصال كالفخار، وذاك من مارج من نار، والامتزاج مع هذا التباين مدفوع، والتناسل مع هذا الاختلاف ممنوع. ورده=

التسخير، فقالوا: إن في عقلها شيئاً، وإنها شَعْراء الساقين، وإن حافرها كحافر حمار، قال سليمان:

﴿نَكِّرُوا﴾ غيروا ﴿لَهَا عَرْشَهَا﴾ بأن تجعلوا أعلاه أسفله، ومكان الجوهر الأحمر أخضر، وبالعكس.

﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ﴾ إلى معرفته.

﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ فغير عرشها لاختبار عقلها.

***

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢)﴾.

[٤٢] ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ﴾ بلقيس ﴿قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ عرفته، لكن شبهت عليهم، لم تقل: نعم؛ خوفاً من أن تكذب، ولم تقل: لا؛ خوفاً من التكذيب، فعرف سليمان كمال عقلها؛ حيث لم تقر ولم تنكر.

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ من تتمة كلام بلقيس؛ أي: آمنا بالآيات المتقدمة من أمر الهداية والرسل من قبل هذه المعجزة في العرش.

﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ طائعين له لما أخبرنا بما اقترحنا عليه من الدلالة على نبوته، وقيل: هو من كلام سليمان ـ عليه السلام ـ على جهة تعديد نعم الله

= القرطبي كما في «تفسيره» (١٣/ ٢١٣). وفي حلِّ نكاح الإنس للجن خلاف، ففي «الفتاوى السراجية» للحنفية: لا تجوز المناكحة بين الإنس والجن وإنسان الماء؛ لاختلاف الجنس، وفي «فتاوى البارزي» من الشافعية: لا يجوز التناكح بينهما، ورجَّح ابن العماد جوازه. كذا في «فيض القدير» للمناوي (١/ ١٨٦).

عليه وعلى آبائه؛ أي: وأوتينا العلم بالله تعالى وقدرته على ما يشاء من قبل هذه الآيات، وكنا مسلمين منقادين لحكمه، لم نزل على دينه.

* * *

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿وَصَدَّهَا﴾ الله بتوفيقها للإسلام عن عبادة ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهي الشمس، وقيل: المعنى: وصدها منعَها من الإيمان قبل ذلك ما كانت تعبد من دون الله.

﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ يعبدون الشمس، فنشأت فيهم، ولم تعرف إلا عبادتها.

* * *

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ولما أراد سليمان أن ينظر إلى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفهم لما قيل له: إن رجليها كحافر الحمار، وهي شعراء الساقين[١]، وليريها ملكاً أعظم من ملكها، أمر الشياطين فبنوا له صرحاً؛ أي: قصراً من زجاج؛ كأنه الماء بياضاً، وجعل صحن الدار قوارير، وجعل تحته أمثال الحيات والضفادع، فإذا رئي، ظن ماء حقيقة، ووضع سريره في صدر

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٠٤)، و«تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٠٧).

الصحن، وجلس عليه، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، ودعا بلقيس، فلما جاءت ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ القصر.

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ هي معظم الماء، ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لتنجو منه إلى سليمان، فنظر سليمان، فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً، إلا أنها كانت شَعراء الساقين. قرأ قنبل عن ابن كثير: (سَأْقَيْهَا) بالهمز الساكن؛ لجواز أن يكون من العرب من يهمز مفرد ساق وجمعه، والباقون: بغير همز(١)، فلما رأى سليمان ذلك، صرف بصره عنها.

ثم ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ بنيان مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ من زجاج، وليس بماء حقيقة، ثم دعاها إلى الإسلام، فأجابت، و﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بعبادتي غيرك.

﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ أي: وقد أسلمت ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أخلصت له التوحيد.

وأراد سليمان تزوجها، فكره شعر ساقيها، فسأل الإنس: ما يذهب هذا؟ قالوا: الموسى، فقال: إنها تقطع ساقيها، فسأل الجن، فقالوا: لا ندري، ثم سأل الشياطين، فقالوا: نحتال لك حتى تصير كالفضة البيضاء، فأخذوا النورة والحمام، فكانت النورة والحمام من يومئذ، ويقال: إن الحمام الذي ببيت المقدس بباب الأسباط إنما بني لها، وإنه أول حمام بني على وجه الأرض، فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٥٧).

وأقرها على ملكها، وأمر الجن فابتنوا بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً، ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى ملكها، ويقيم عندها ثلاثة أيام، وولدت له فيما ذكر، وتقدم ذكر سليمان وقدر عمره ومدة ملكه ومحل قبره وتاريخ وفاته في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [الآية: ١٠٢].

* * *

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ﴾ أي: بأن.

﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه.

﴿فَإِذَا هُمْ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿فَرِيقَانِ﴾ مؤمن وكافر.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يقول كلٌّ: الحقُّ معي.

* * *

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: العذاب الذي يوعدون به.

﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ قبل التوبة؛ لأنهم كانوا يعتقدون لجهلهم أن العذاب

إذا نزل بهم تنفعهم توبتهم، فيصرون على كفرهم، فأومأ صالح إلى بطلان اعتقادهم بقوله:

﴿لَوْلَا﴾ أي: هلاَّ ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ من كفركم قبل نزول العذاب بكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فإن العذاب إذا نزل لا يرفع.

* * *

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا﴾ أصله: تطيرنا؛ أي: تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ من المؤمنين؛ أي: أصابنا بسببكم شؤم، وهو القحط، وتفريق كلمتنا، وأصل التطير: أن الرجل كان إذا سافر، مر بطائر، فزجره، فإن مر سانحاً، وهو الذي ولاه مياسره، فلا يتمكن من رميه، فيتشاءم به، ثم استعمل في كل ما يُتشاءم به.

﴿قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ﴾ أي: السبب الذي يجيء منه خيركم وشركم.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يأتي به إلا هو تعالى، وسمي طائراً؛ لسرعة نزوله، ولا شيء أسرع من قضاء محتوم.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تختبرون بالخير والشر.

* * *

﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهي الحِجْر ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي: أنفس،

والرهط: مادون العشرة، وليس فيهم امرأة، وتقدم الكلام عليه في سورة هود(١)، وأسماؤهم: رأب، وغلم، والهذيل، ومصدع، وشحيط، ولحيط، وسالف، وقدار، وسمعان رأس الماكرين.

﴿يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة، وهم غواة قوم صالح، ورأسهم قدار بن سالف، وهو الذي تولى عقرها، كانوا يعملون بالمعاصي.

***

﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ﴾ تحالفوا ﴿بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ لنقتلنه ﴿وَأَهۡلَهُۥ﴾ أي: قومه الذين أسلموا معه، البيات: مباغتة العدو ليلاً.

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي: ولي دمه:

﴿مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾ أي: إهلاكهم.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في قولنا، ووجه دعواهم الصدق، وقد جحدوا ما فعلوا بهم: أنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (لَتُبَيِّتُنَّهُ) (ثُمَّ لَتَقُولُنَّ) بالتاء فيهما، وضم التاء الثانية في الأول، وضم اللام الثانية في الثاني؛ أي: يأمر بعضهم بعضاً بالتحالف على إهلاك صالح وأهله ليلاً؛ من البيات، وقرأ الباقون: بالنون في الفعلين وفتح التاء واللام إخباراً عن أنفسهم(٢)، وقرأ أبو بكر عن عاصم: (مَهْلَكَ) بفتح الميم

---

(١) عند تفسير الآية (٩٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، =

واللام؛ أي: هلاك أهله، وقرأ حفص: بفتح الميم وكسر اللام، والباقون: بضم الميم وفتح اللام[1]، وتقدم معناه.

* * *

﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا ﴾ أي: غدروا غدراً حين قصدوا تبييتَ صالح والفتكَ به.

﴿ وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ أي: جازيناهم جزاء مكرهم ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ مرادنا منهم.

* * *

﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١ ﴾.

[٥١] ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ ﴾ قرأ الكوفيون، ويعقوب: (أَنَّا) بفتح الهمزة رداً على العاقبة؛ أي: كانت العاقبة أنا دمرناهم، وقرأ الباقون: بالكسر على الاستئناف[2]، المعنى: أن أولئك التسعة أرادوا الفتك بصالح وأهله، فأهلكناهم.

= و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٨).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٨).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٩).

قال ابن عباس: «أرسل الله الملائكة تلك الليلة[1] إلى دار صالح يحرسونه، فأتى التسعةُ دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة، فقتلتهم»[2] ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أهلكهم الله بالصيحة.

***

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ﴾ نصب على الحال؛ أي: خالية.

﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ﴾ بسبب ظلمهم وكفرهم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قدرتنا.

***

﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ الكفر والمعاصي، وهم صالح ومن نجا معه من العذاب، وكانوا أربعة آلاف.

***

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿وَلُوطًا﴾ أي: واذكر لوطاً.

---

(١) «الليلة» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٠٨).

﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ وهي إتيان الرجال في الأدبار.

﴿ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ بقلوبكم أنها خطيئة وفاحشة.

* * *

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ عاقبة فعلكم. واختلاف القراء في الهمزتين من (أَئِنَّكُمْ) كاختلافهم فيهما من (أَئِنَّ لَنَا لأَجْراً) في سورة الشعراء [الآية: ٤١].

* * *

﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ يتنزهون عن إتيان الذكور.

* * *

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا ﴾ بتخفيف الدال؛ أي: جعلناها، وقرأ الباقون: بتشديد الدال[1]؛ أي: قدرنا عليها؛ من القدر والقضاء.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٠).

﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب، وغَبَر بمعنى: بقي، وقد يجيء أحياناً في بعض كلام العرب يوهم أنه بمعنى مضى.

***

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ﴾ وهي حجارة السجيل، أهلكت جميعهم.

قال ابن عطية: وهذه الآية أصلاً لمن جعل من الفقهاء الرجم في اللوطية، وبها تأنس؛ لأن الله عذبهم على كفرهم به، وأرسل عليهم الحجارة لمعصيتهم، ولم يقس هذا القول على الزنا، فيعتبر الإحصان[١]. وتقدم الكلام على ذلك مستوفىً في سورة النساء، وملخصه: أن مذهب مالك ـ رحمه الله ـ رجم الفاعل والمفعول به، أحصنا أو لم يحصنا، ومذهب الشافعي وأحمد حكمه كالزنا، فيه الرجم مع الإحصان، والجلد مع عدمه، ومذهب أبي حنيفة: يعزر، ولا حد عليه؛ خلافاً لصاحبيه، وعن أحمد رواية أن من تلوط بغلام، قُتل، بكراً كان أو ثيباً؛ لقوله ﷺ: «من وجدتموه يعملُ عملَ قومِ لوط، فاقتلوا الفاعلَ والمفعولَ به»[٢]، ولكن

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٢٦٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٤٦٢)، كتاب: الحدود، باب: فيمن عمل عمل قوم لوط، والترمذي (١٤٥٦)، كتاب: الحدود، باب: ما جاء في حد اللوطي، وابن ماجه (٢٥٦١)، كتاب: الحدود، باب: من عمل عمل قوم لوط، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٠)، وغيرهم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

الصحيح من مذهبه الأول ﴿فَسَآءَ﴾ فبئس ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ثم أمر الله محمداً ﷺ بحمده، ثم بالسلام على خير خلقه، فقال:

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك كفار الأمم الخالية.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ هم الرسل.

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أجمع القراء على مد (آللَّهُ)؛ لأنها همزة استفهام دخلت على همزة الوصل؛ لتفرق بين الاستفهام والخبر، وأجمعوا على عدم تحقيقها؛ لكونها همزة وصل، وهمزة الوصل لا تثبت بالابتداء، وأجمعوا على تليينها، واختلفوا في كيفيته، فقال كثير منهم: تبدل ألفاً خالصة، وقال آخرون: تسهل بين بين(١)، **وقرأ** أبو عمرو، وعاصم، ويعقوب: (يُشْرِكُونَ) بالغيب إخباراً عن الكفار، **وقرأ** الباقون: بالخطاب(٢)، المعنى: آلله أنفع لعابديه، أم الأصنام لعابديها؟ وهذا إلزام لهم، وتبكيت، لا أن في أصنامهم خيراً.

***

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٦١/٤).

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ أي: عبادة ما تعبدون من أوثانكم خير أم عبادة من خلق السموات والأرض؟ فهو رد مردود على ما قبله من المعنى المتقدم، وفيه معنى التوبيخ لهم، والتنبيه على قدرة الله تعالى، وعجز آلهتهم.

﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ يعني المطر. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (وَأَنْزَل لَّكُمْ) بإدغام اللام الأولى في الثانية[1].

﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ﴾ بساتين ﴿ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ أي: حُسن، تبهج من رآها. وقف الكسائي (ذَاهْ) بالهاء[2].

﴿ مَّا كَانَ ﴾ أي: ما ينبغي ﴿ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴾ لأنكم لا تقدرون عليها.

﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ استفهام على طريق الإنكار؛ أي: هل معه معبود سواه أعانه على صنعه؟ ﴿ بَلْ ﴾ ليس معه إله ﴿ هُمْ قَوْمٌ ﴾ يعني: كفار مكة ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ يشركون. واختلاف القراء في الهمزتين من (أَإِلَهٌ) كاختلافهم

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٢).

فيهما من (أَإِنَّكُمْ) حيث وقع، وتقدم التنبيه عليه قريباً.

***

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ يُستقر عليها.

﴿ وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ ﴾ أي: وسطها ﴿ أَنْهَٰرًا ﴾ تطرد بالمياه.

﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً ثوابت.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ العذب والمالح.

﴿ حَاجِزًا ۗ ﴾ مانعاً لا يختلط أحدهما بالآخر.

﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ توحيدَ الله، فلا يؤمنون.

***

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ ﴾ المجهود الذي مسه الضر.

﴿ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ الضر.

﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ﴾ أي: سكان.

﴿ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ ﴾ بعد هلاك المتقدمين.

﴿ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا ﴾ الذي خلقكم بهذه النعمة؟!

﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ والمراد نفي التذكر؛ لأن القلة تستعمل بمعنى

النفي. قرأ أبو عمرو، وهشام عن ابن عامر، وروح عن يعقوب: (يَذَّكَّرُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب[1]، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: على أصلهم في تخفيف الذال.

* * *

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ بالنجوم.

﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ ليلاً، وبعلامات الأرض نهاراً.

﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: (الرِّيحَ) على الإفراد، وقرأ الباقون: (الرِّيَاحَ) على الجمع[2].

﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ أي: قدام المطر، وتقدم الكلام على (نُشْراً)، واختلاف القراء فيها، وتوجيه قراءتهم في سورة الفرقان عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا﴾ [الآية: ٤٨].

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يقدر على فعل ذلك ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٨-٣٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٣).

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ للبعث.

﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النبات.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يفعل ذلك.

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ حجتكم على دعواكم.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في إشراككم، والاستفهام في جميع هذه الآيات توبيخ لا استرشاد.

* * *

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ولما سأل المشركون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة، نزل قوله تعالى:

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(١) رفع بدل من (مَنْ)؛ لأنه فاعل (يَعْلَمُ) تقديره: لا يعلم إلا اللهُ الغيبَ في السموات، فأعلم الله تعالى أنه لا يعلم وقت الساعة سواه، وجاء بلفظ يعم الساعة وغيرها.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني: البشر ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤١١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من زعم أن محمداً ﷺ يعلم الغيب، فقد أعظم على الله الفِرْية»(١).

* * *

﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (بل) بمعنى: هل. قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (أَدْرَكَ) بقطع الهمزة مفتوحة وإسكان الدال من غير ألف مفتوحة وألف بعدها(٢) وأصله: تدارك، أدغمت التاء في الدال؛ أي: تتابع واجتمع علمهم بحدوث الآخر، فليس من اختص بشيء من علمها فهم جهالة بها.

﴿ بَلْ هُمْ ﴾ اليوم في الدنيا ﴿ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ﴾ من الساعة.

﴿ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ جمع عمي؛ أي: عنها عمون بقلوبهم.

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ من قبورنا؟ قرأ نافع، وأبو جعفر: (إِذَا) بكسر الألف على

---

(١) رواه البخاري (٦٩٤٥)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾، ومسلم (١٧٧)، كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٥).

الخبر (أَئِنَّا) على الاستفهام، ويحققان الهمزة الأولى، ويسهلان الثانية، وأبو جعفر وقالون: يفصلان بينهما بألف، وابن عامر، والكسائي: (أئذا) بالاستفهام في الأول مع تحقيق الهمزتين وبالإخبار في الثانية مع زيادة نون فيه فيقولان (إنّا لمخرجون)، وهشام راوي ابن عامر يفصل بألف في الاستفهام مع تحقيق الهمزتين، وقرأ الباقون: بالاستفهام فيهما، فابن كثير، وأبو عمرو، ورويس عن يعقوب يحققون الأولى، ويسهلون الثانية، ويفصل بينهما أبو عمرو بألف، وعاصم، وحمزة، وخلف، وروح عن يعقوب: يحققون الهمزتين[1].

***

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٦٨)﴾.

[٦٨] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا﴾ أي: البعث الذي تَعِدُنا به ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل محمد ﷺ، وليس ذلك بشيء ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: ما هذا.

﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها.

***

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ (٦٩)﴾.

[٦٩] ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ تهديد لهم بأن ينزل بهم ما نزل بالمكذبين من قبلهم.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٧).

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ .

[٧٠] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ في تكذيبهم وإعراضهم .

﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا تهتم بتدبيرهم الحيل في إهلاكك، فأنا كافيك وناصرك عليهم . قرأ ابن كثير: (ضِيْقٍ) بكسر الضاد؛ أي: شدة، والباقون: بالفتح؛ أي: غَمٌ(١) .

* * *

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾﴾ .

[٧١] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ العذاب الموعود .

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أن العذاب ينزل بالتكذيب .

* * *

﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ .

[٧٢] ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ اللام زائدة؛ أي: ردفكم، المعنى: دنا وقرب منكم .

﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من العذاب، فحل بهم عذاب يوم بدر .

* * *

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ .

[٧٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حيث إنه لم يعجل عقوبتهم .

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٨) .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ النعمة .

* * *

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

[٧٤] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ﴾ تخفي .

﴿ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ من الكفر .

* * *

﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

[٧٥] ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الغائبة : اسم لكل مستتر ، المعنى : ليس شيء في الوجود .

﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ وهو اللوح المحفوظ ، أثبته تعالى ويعلمه .

* * *

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

[٧٦] ولما اختلف أهل الكتاب في دينهم ، وفي عيسى عليه السلام ، نزل :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾(١) المنزل على محمد ﷺ .

﴿ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ الذين هم في زمان محمد ﷺ ﴿ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ لأنه مذكور فيه .

* * *

---

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٣/ ٤١٣) .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

[٧٧] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي : القرآن ﴿ لَهُدًى ﴾ لمن اتبعه .

﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنهم المنتفعون به .

***

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

[٧٨] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى ﴾ يفصل ﴿ بَيْنَهُم ﴾ أي : بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة ﴿ بِحُكْمِهِۦ ﴾ بعدله .

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ فلا يرد حكمه .

﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأحوالهم وبحقيقة ما يقضي فيه .

***

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

[٧٩] ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾ فإنه ناصرك عليهم .

﴿ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ الدين الواضح ، وهو الإسلام .

***

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

[٨٠] ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ يعني : الكفار .

﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ معرضين ، لما كانوا لا يعون ما يسمعون ، ولا ينتفعون به ، سماهم موتى صماً وعمياً . قرأ ابن كثير : (وَلاَ يَسْمَعُ) بالياء وفتح الميم (الصُّمُّ) بالرفع فاعلاً ، ونصب (الدُّعَاءَ)

مفعولاً، وقرأ الباقون: بالتاء وضمها وكسر الميم ونصب (الصُّمَّ) و(الدُّعَاءَ) مفعولين، والفاعل مضمر[1]، المعنى: لا تقدر يا محمد على هدايتهم. واختلاف القراء في الهمزتين من (الدُّعَاءَ إِذَا) كاختلافهم فيهما من (أَوْلِيَاءَ إِنَّا) في سورة الكهف [الآية: ١٠٢].

* * *

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

[٨١] ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ قرأ حمزة: (تَهْدِي) بالتاء وفتحها وإسكان الهاء من غير ألف[2]، ونصب (العُمْيَ) مفعولاً، وقرأ الباقون: بالباء وكسرها وفتح الهاء وألف بعدها، وجر (العُمْيِ)[3]، ووقف يعقوب (بِهَادِي) بإثبات الياء[4]، تلخيصه: لا سبيل إلى هداية هؤلاء عن ضلالتهم؛ حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر.

﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٩).

(٢) «ألف» ساقطة من: «ش».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٧٠).

(٤) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٧٠).

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ ﴾ أي: وجب العذاب.

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ من ظهور أشراط الساعة.

﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ قيل: هي رجل، وأكثرهم: هي دابة، وظهورُها من أشراط الساعة.

قال ابن عباس: «هي ذات زغب وريش، لها أربع قوائم»[١].

روي أن لها رأس ثور، وعين خنزير، وأذن فيل، ولون نمر، وصدر أسد، وخاصرة هر، وقرن إيل، وقوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً[٢].

في الحديث: أن طولها ستون ذراعاً.

وعنه ﷺ: «أنها تخرج من الصفا أول ما يبدو رأسها ذات وبر وريش، لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب»[٣]، وروي غير ذلك.

﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ قال ابن عباس: «تكلم المؤمن والكافر»[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٥).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٠٦٦)، عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٣/ ١٩)، و«الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٩١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٤)، عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٦)، بلفظ: «تُكلِّم المؤمنَ، وتُكلِّم الكافرَ».

﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ قرأ الكوفيون، ويعقوب: (أَنَّ النَّاسَ) بفتح الألف؛ أي: تخبر الدابة من رآها أن أهل مكة ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ وقرأ الباقون: بالكسر على الاستئناف[1]؛ أي: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون: لا يصدقون.

* * *

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

[٨٣] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿نَحْشُرُ﴾ نجمع.

﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: من كل قرن من الناس متقدم؛ لأن كل عصر لم يَخْلُ من كَفَرة بالله، من لدن تفرق بني آدم، (مِنْ) للتبعيض، والمراد: الرؤساء.

﴿فَوْجًا﴾ جماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ القرآن، و(مِنْ) للتعيين؛ لأن جميع الكفار مكذبون.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يُحبس أولهم على آخرهم، فيحشر رؤساء الأمم بين يدي أممهم إلى الموقف حتى يجتمعوا، ثم يساقون إلى النار.

* * *

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٧١).

[٨٤] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ تعالى تهديداً لهم:

﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ أي: كذبتم بها غير عالمين بها، ولم تتفكروا في صحتها، بل كذبتم جاهلين، ونصب (عِلْماً) على التمييز.

﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أم أي شيء كنتم تعملون بعد ذلك؟ وهو للتبكيت؛ إذ لم يفعلوا غير التكذيب.

* * *

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

[٨٥] ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ وجب العذاب.

﴿عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ بتكذيبهم بآيات الله.

﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ باعتذار لختم أفواههم.

* * *

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

[٨٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ﴾ أي: خلقناه.

﴿لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ بالنوم والقرار.

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مضيئاً، تُبْصَر فيه الأشياء.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون فيعتبرون.

* * *

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَيَوْمَ ﴾ أي: واذكر يوم.

﴿ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ هو قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام.

﴿ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: يلقى عليهم الفزع إلى أن يموتوا.

روي أن النفخات ثلاث: الأولى نفخة الصور للفزع، والثانية نفخة الصعق للموت، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين للبعث، وهذه النفخة الأولى، المعنى: إذا نفخ في الصور، مات من شدة النفخة جميع الخلائق.

﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ من ثبت عليه من الملائكة، ثم يموتون بعد ذلك، وقيل الاستثناء: فيمن قضى الله من ملائكته وأنبيائه وشهداء عبيده أن ينالهم نوع الفزع في الصور، قال ﷺ: «ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من رفع رأسه، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان ممن استثنى الله، أم رفع رأسه قبلي؟ ومن قال: أنا خير من يونس بن متّى، فقد كذب»[1].

﴿ وَكُلٌّ ﴾ أي: جميع الخلائق ﴿ أَتَوْهُ ﴾ قرأ حمزة، وخلف، وحفص عن

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣٣)، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، ومسلم (٢٣٧٧)، كتاب: الفضائل، باب: في ذكر يونس ـ عليه السلام ـ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وهذا سياق رواية البغوي في «تفسيره» (٣/ ٤١٩).

عاصم: (أَتَوْهُ) بفتح التاء وقصر الهمزة على صيغة الفعل الماضي؛ أي: جاؤوا لأمر الله؛ أي: أجابوه، وقرأ الباقون: بمد الهمز وضم التاء على وزن فاعِلُوه:[1] اسم فاعل من المجيء.

﴿دَٰخِرِينَ﴾ صاغرين.

***

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

[٨٨] ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ واقفة؛ من جمدَ مكانَه.

﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ المعنى: إذا رأيت الجبال وقت النفخة الأولى، ظننتها ثابتة في مكان واحد؛ لعظمتها؛ لأن النظر لا يحيط بها، وهي في الحقيقة تسير سيراً سريعاً كالسحاب إذا ضربته الريح.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ أي: فعلَه ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أحكمَه.

﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ من الأفعال الباطنة والظاهرة، فيجازيهم عليها. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وهشام: (يَفْعَلُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب[2].

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٩-٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٧٢-٣٧٣).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ وهي قول: لا إله إلا الله ﴿ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ قال ابن عباس: «فمنها يصير الخير إليه»[١]؛ يعني: له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب، أما أن يكون له شيء خير من الإيمان، فلا؛ فإنه ليس شيء خيراً من قول: لا إله إلا الله.

﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ قرأ الكوفيون: (فَزَعٍ) بالتنوين (يَوْمَئِذٍ) بفتح الميم؛ أي: فزع شديد، وقرأ الباقون: بغير تنوين على إضافة (فَزَعِ) إلى (يَوْمِئِذٍ)؛ لأنه أعم؛ فإنه يقتضي الأمن من فزع ذلك اليوم، ويفتح نافع وأبو جعفر ميم (يَوْمَئِذٍ)، ويكسرها الباقون[٢].

* * *

﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ ﴾ الشرك ﴿ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ أي: ألقوا رؤوسهم.

﴿ فِى ٱلنَّارِ ﴾ ويقال لهم تبكيتاً:

﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من المعاصي والشرك؟!

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣٥)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٣٨٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٧٣ـ٣٧٤).

﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ ﴾ .

[٩١] ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ ﴾ أي: قل يا محمد لقومك: إنما أمرت.

﴿ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ﴾ يعني: مكة ﴿ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا ﴾ أي: جعلها حرماً آمناً، لا يسفك فيها دم، ولا يظلم أحد، ولا يصاد صيد ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ ﴾ بالملك والعبودية.

﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ أي: عابداً لله.

* * *

﴿ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ٩٢ ﴾ .

[٩٢] ﴿ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ ﴾ واتل معناه: تابعْ بقراءتك بين آياته، واسرُدْ.

﴿ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ إلى الإسلام ﴿ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ ﴾ أي: فلنفسه ثوابه.

﴿ وَمَن ضَلَّ ﴾ عن الإيمان، وأخطأ طريق الهدى.

﴿ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾ المخوِّفين، فليس علي إلا التبليغ للرسالة، وهذا نُسخ بآية السيف.

* * *

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٣ ﴾ .

[٩٣] ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ على نعمه ﴿ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ وعدٌ بعذاب الدنيا؛ كبدر والفتح ونحوهما، وبعذاب الآخرة.

﴿فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾ أنها آيات الله حين[1] لا تنفع المعرفة.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ فلا تحسبوا أن تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب للكفار، وقرأ الباقون: بالغيب إخباراً عنهم[2]، والله أعلم.

* * *

---

(١) «حين» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٧٥).

سورة القصص

مكية، إلا قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الآية: ٥٢ إلى ٥٥]، وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة بالجحفة وقت هجرة النبي ﷺ، وهي قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [الآية: ٨٥]، وآيها: ثمان وثمانون آية، وحروفها: خمسة آلاف وثماني مئة حرف، وكلمها: ألف وأربع مئة وإحدى وأربعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ①﴾.

[١] ﴿طسٓمٓ﴾ تقدم الكلام عليه ومذاهب القراء فيه أول الشعراء.

* * *

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ②﴾.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ يعني: القرآنُ مبينٌ للأحكام.

* * *

﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ③﴾.

[٣] ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ نقص عليك شيئاً من خبرهما.

﴿ بِٱلۡحَقِّ﴾ بالصدق الذي لا شك فيه.

﴿ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ يصدقون بأن ما تأتيهم به صدق.

* * *

﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا﴾ استكبر وتجبر ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرضِ مصر.

﴿ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ فرقاً مختلفة في خدمته.

﴿ يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ هم بنو إسرائيل، ثم فسر الاستضعاف فقال:

﴿ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ والسبب في ذلك: أن كاهناً قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكُك على يده، فطمع بجهله أن يرد القدر، وسُمي: هذا استضعافاً؛ لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ فكذلك اجترأ على خلق كثير من أولاد الأنبياء كما تقدم في سورة البقرة لتخيل فاسد.

* * *

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: بني إسرائيل، يستضعفهم فرعون، ونحن نريد أن ننعم ونعظم المن عليهم، ولما كانت إرادة الله تعالى عليهم بالمنة عليهم بالنجاة وغيرها كائنة لا محالة،

جعلت الإرادة كأنها مقارنة استضعافهم.

﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ قادةً يقتدى بهم في الخير. وتقدم اختلاف القراء في (أَئِمَّةً) في سورة الأنبياء عند قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً ﴾ [الآية: ٧٣].

﴿ وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ أملاكَ فرعونَ والقبط.

* * *

﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ نوطِّنَ لهم في أرض مصر والشام، ونجعلها لهم مستقراً.

﴿ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم ﴾ من بني إسرائيل.

﴿ مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ يتوقَّون مما أخبرهم به الكاهن؛ أي: سيظهر للقبط ما كانوا يخافونه. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَيَرَى) بالياء وفتحها، وإمالة فتحة الراء بعدها، ورفع الأسماء الثلاثة فاعلين، وقرأ الباقون: بالنون وضمها وكسر الراء، ونصب الأسماء الثلاثة مفعولاً[١].

* * *

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ يوخابد بنت لاوا، وحيَ إلهام لا نبوة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦).

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما أمكنك إخفاؤه، ولما وضعت موسى أمه، وخرجت القابلة من عندها، رآها بعض العيون، فقالت أخته: هذا الحرسي بالباب، فألقته أمه في التنور وهو يُسْجَر، فدخلوا فقالوا: ما شأن هذه القابلة عندك؟ قالت: هي مصافية لي فأرضعته ثمانية أشهر، وقيل: أربعة، وقيل: ثلاثة.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ القتلَ ﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ البحر، والمراد هنا: النيل.

﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه الغرق ولا الضيعة ﴿وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ على فراقه.

﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ لتربيه ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فجمع في[1] هذه الآية بين أمرين ونهيين، وخبرين وبشارتين، والفرق بين الخوف والحزن: أن الخوف غم يلحق لمتوقع، والحزن خوف يلحق لواقع، فخافت عليه، فوضعته في تابوت مطبق، ثم ألقته في النيل ليلاً[2].

* * *

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾.

[٨] وكان لفرعون ابنة يحبها، وبها برص، فوصفوا لها ريق حيوان شبه الإنسان يخرج من النيل يوم كذا عند طلوع الشمس، تلطخ به وجهها، فتبرأ، فأقبل التابوت على وجه الماء، فقال فرعون: عليَّ به.

---

(١) «في» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٢٦).

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ أي: أخذوه، والالتقاط: هو وجود الشيء من غير طلب، وتقدم حكم اللقطة واللقيط في سورة يوسف[1].

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ يقتل رجالهم.

﴿وَحَزَنًا﴾ يسبي[2] نساءهم، واللام في (لِيَكُونَ) تشبه لام (كي)، وتسمى لام العاقبة، ولام الصيرورة؛ لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً، ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وحُزْناً) بضم الحاء وسكون الزاي، والباقون: بفتحهما، لغتان[3] بمعنى.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ في كل شيء؛ لأنهم قتلوا ألوفاً لأجله، ثم أخذوا موسى ليكبر وليفعل بهم ما كانوا يحذرون، ففتح التابوت، فوجدوا فيه طفلاً[4] صغيراً في مهده بين عينيه نور، وقد جعل الله رزقه في إبهامه يرضع منه لبناً، ولعابه يسيل، وأقبلت بنت فرعون، فلما أخرجوه من التابوت، عمدت إلى مكان يسيل من ريقه، فلطخت به برصها، فبرأت، فقبلته وضمته إلى صدرها.

* * *

---

(١) عند تفسير الآية (١٠).

(٢) في «ش»: «يستعبد».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧).

(٤) «طفلاً» ساقطة من «ش».

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾.

[٩] وأحبه فرعون وزوجته آسية بنت مزاحم وابنته حباً شديداً، فقال الغواة من قوم فرعون: أيها الملك! إن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا، رمي به في البحر فرقاً، فاقتله، فهم فرعون بقتله، فثبطته عنه آسية، وكانت من خيار النساء من بنات الأنبياء من بني إسرائيل، وكانت أماً للمساكين، ترحمهم وتتصدق عليهم.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ﴾ أي: هو قرة ﴿عَيْنٍ لِّي وَلَكَۖ﴾ وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (امْرَأَهْ) (قُرَّهْ) بالهاء فيهما[(١)].

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ قال ﷺ: «لو قالت يومئذ: قرةُ عين لي كما هو لك، لهداه الله كما هداها»[(٢)]، فاستوهبت آسية موسى من فرعون، فوهبها إياه، فتوسمت فيه النجابة.

فقالت: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في مهامنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ نتبناه.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أن هلاكهم على يده، وسمته آسية موسى؛ لأن تابوته وجد بين الماء والشجر، والماء في لغتهم (مو)، والشجر (شا).

قال ابن عباس: «لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية: ﴿عَسَىٰٓ

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧ـ٨).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤٤).

أَن يَنفَعَنَآ﴾، لنفعه الله، ولكنه أبى؛ للشقاء الذي كتبه الله عليه»[1].

* * *

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه؛ لأنها دهشت لما علمت أن فرعون قد التقطه، وكانت قد نسيت وعدَ الله بسلامته.

﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أي: بأمر موسى، وتبوح بسرها.

﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي: شددنا عليه بالصبر والعصمة.

﴿ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بوعد الله حين قال لها: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: ٧].

* * *

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ مريم: ﴿ قُصِّيهِ﴾ اتبعي أثره، وانظري فيه.

﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ أي: بعد.

روي أنها كانت تمشي جانباً، وتنظر إليه مزورة اختلاساً، تُري أنها لا تنظره.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٩٧).

﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أنها أخته، وأنها ترقبه.

* * *

﴿ ۞وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٍ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] وكان هَمُّ امرأةِ فرعون من الدنيا أن تجد له مرضعة، فكلما أتوه بمرضعة، لم يأخذ ثديها، فذلك قوله تعالى: ﴿ ۞وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ﴾ جمع مرضعة؛ أي: منعناه عن شرب لبن غير أمه ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: من قبل قَصِّها أثرَه.

﴿ فَقَالَتۡ﴾ أخته حين رأت ذلك:

﴿ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٍ يَكۡفُلُونَهُۥ﴾ يضمونه ﴿لَكُمۡ﴾، ويرضعونه، وهي امرأة قد قُتل ولدها، فأحبُّ شيء إليها أن تجد صغيراً ترضعه.

﴿وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ والنصح: ضد الغش، وهو تصفية العمل من شوائب الفساد، فقال لها هامان: قد عرفت أهله؟ قالت: إنما قلت: هم للملك ناصحون، قالوا: نعم.

* * *

﴿ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] فجاءت بأمها وهو يصيح بعد أن مكث ثماني ليال لا يقبل ثدياً، وهم في طلب مرضعة له، فلما شم ريحها، قبل ثديها، فقال فرعون: من أنت حتى قبل ثديك؟ قالت: إني طيبة الريح، طيبة اللبن، لا أوتى بصبي

إلا قبل ثديي، فدفعه إليها، وأجرى أجرتها عليها، فكانوا يعطونها كل يوم ديناراً[1]، وأخذتها؛ لأنها مال حربي، لا أنها أجرة حقيقة على إرضاعها ولدَها، فذهبت به إلى بيتها، فذلك قوله تعالى:

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ برد موسى إليها ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقه.

﴿وَلِتَعْلَمَ﴾ علمَ مشاهدة.

﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ الذي وعدها به ﴿حَقٌّ﴾ برده إليها.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ صحةَ ذلك، فمكث عندها إلى أن فطمته، وردَّته، فتبناه فرعون وآسية.

***

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ منتهى قوته، وهو ما فوق الثلاثين ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ اعتدلت قوته، وبلغ أربعين سنة، وهو سن بعث الأنبياء.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ قبل نبوته ﴿حُكْمًا﴾ حكمة وفقهاً ﴿وَعِلْمًا﴾ بمصالح الدارين، فكان يتكلم بالحق، وينكر عليهم قبل النبوة.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانهم.

***

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٢٨)، و«تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٢٣).

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ وَدَخَلَ ﴾ موسى ﴿ ٱلْمَدِينَةَ ﴾ هي مدينة مَنْف من أرض مصر، وتقدم ذكرها في سورة يوسف، وهي مدينة فرعون موسى التي كان ينزلها، وفيها كانت الأنهار تجري تحت سريره. روي أن فرعون خاف من موسى، فأخرجه من مدينته، فغاب عنها سنتين، حتى كبر واشتد، فدخلها مستخفياً ﴿ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ ﴾ وقت غرة ﴿ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ يوم عيد لهم، وهم مشغولون بلهوهم.

﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ ﴾ إسرائيلياً وقبطياً ﴿ يَقْتَتِلَانِ ﴾ يختصمان.

﴿ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ أتباعه، روي أنه السامري ﴿ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ من القبط الذين هم على دين فرعون.

﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ﴾ طلب منه الغوث ﴿ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ وهو الإسرائيلي.

﴿ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ وهو القبطي، وكان موسى قد أعطي شدة عظيمة.

﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ ﴾ بالعصا، ولم يتعمد قتله، بل أراد دفع ظلمه.

﴿ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ فقتله، فندم، فدفنه في الرمل.

و﴿ قَالَ هَٰذَا ﴾ القتل ﴿ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ أي: بسببه؛ لأنه هيج غضبي.

﴿ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر العداوة، وهذا كان قبل النبوة، وهو مقتضى التلاوة، والسورة تدل عليه.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ بقتل القبطي من غير أمر.

﴿ فَٱغْفِرْ لِي ﴾ ذنبي ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ لاستغفاره.

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ﴾ لذنوب عباده ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بهم.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ ﴾ أي: بإنعامك ﴿ عَلَيَّ ﴾ بالمغفرة والقوة والحكم، قسم محذوف الجواب، تقديره: أقسم بما أنعمت لأتوبنَّ، وتفسير الجواب.

﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا ﴾ عوناً ﴿ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ للكافرين، وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً، قال ابن عباس: «لم يستثنِ، فابتُلي من الغد»(١).

* * *

﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا ﴾ على نفسه، ونصبُه على الحال.

﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾ ينتظر المكروه بأن يستعاد.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٣١).

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ ﴾ يستغيثه، ويصيح به من بعد على قبطي آخر، قال ابن عباس: أُتي فرعون، فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا منا واحداً، فخذ لنا حقنا، فقال: ابغوا لي قاتله، ومن يشهد عليه، فلا نستقيم أن نقضي بغير بينة، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة، إذ مر موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً، فاستغاثه على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي[(١)].

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ ﴾ أي: قال للإسرائيلي:

﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر الغواية؛ لأنك تسببت لقتل رجل، وتقاتل آخر.

* * *

﴿ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِى كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسًۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] وكان موسى قد غضب غضباً شديداً ﴿ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ﴾ قرأ أبو جعفر: (يَبْطُشَ) بضم الطاء، والباقون: بكسرها[(٢)]، وذلك أن موسى أدركته الرقة على الإسرائيلي، فمد يده ليبطش بالفرعوني، فظن الإسرائيلي أنه يقصد قتله؛ لمكان غضبه، وسمع قوله: ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾.

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨) في حديث طويل.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢).

فثم ﴿ قَالَ ﴾ الإسرائيلي : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ ﴾ أي : ما تريد ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالقتل ظلماً .

﴿ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ فلما قال ذلك، علموا حينئذ من قاتلُ الأول، فوصل ذلك إلى فرعون، فهمُّوا بقتل موسى .

* * *

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] قلما أرسل فرعون الذباحين لقتله، أخذوا الطريق الأعظم .

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ ﴾ مؤمن، وكان ابنَ عم فرعون، واسمه خربيل، وقيل غيره، وهو مؤمن آل فرعون .

﴿ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾ آخرها .

﴿ يَسْعَىٰ ﴾ أي : يسرع في مشيه، فأخذ طريقاً قريباً حتى يسبق إلى موسى، فأخبره وأنذره حتى أخذ طريقاً آخر .

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ يعني : أشراف قوم فرعون ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ أي : يتشاورون بسببك .

﴿ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ ﴾ من المدينة ﴿ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ في الأمر بالخروج .

* * *

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ فَخَرَجَ ﴾ موسى ﴿ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ التعرُّضَ له في الطريق .

﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين، فلما أخبر فرعون بهربه، بعث في طلبه، فقال: اركبوا بنيات الطريق؛ فإنه لا يعرف الطريق.

***

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] وخرج موسى هارباً بلا زاد ولا ظهر، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر والبقل حتى ترى خضرته في بطنه، وما وصل إلى مدين حتى وقع خفُّ قدميه.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ قصدها ماضياً إليها، وهي قرية شعيب، سميت بمدين بن إبراهيم، وهي على بحر القلزم، وتقدم ذكرها في سورة الأعراف[١] وطه، وهي على مسيرة اثني عشر يوماً من مصر، وكان موسى لا يعرف طريقها، فلذلك.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قصدَ الطريق ووسطَه إليها، فبُعث إليه ملك، فدله على الطريق. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٢].

***

---

(١) عند تفسير الآية (٨٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢).

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ (٢٣) ﴾.

[٢٣] ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ ﴾ أي: وصل إليه وهو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم ﴿ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ ﴾ جماعة ﴿ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ ﴾ مواشيهم.

﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ﴾ من مكان أسفل منهم ﴿ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ ﴾ تكُفَّان غنَمَهما عن الماء؛ لئلا تختلط بغنم القوم؛ لضعفها عن السقي معهم.

﴿ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ ﴾ ما شأنكما لا تسقيان غنمكما مع الناس؟

﴿ قَالَتَا لَا نَسۡقِي ﴾ غنمنا معهم؛ لعجزنا ﴿ حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ ﴾ حتى يصرفوا مواشيهم عن الماء؛ لأنا لا نستطيع أن نزاحم الرجال. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وأبو عمرو: (يَصْدُرَ) بفتح الياء وضم الدال على اللزوم؛ أي: يذهب الرعاء بمواشيهم عن الماء، والباقون: بضم الياء وكسر الدال[1]، فالمفعول محذوف؛ أي: يصدر الرعاء مواشيهم من الماء، وأشمَّ الصاد الزاي حمزة، والكسائي، وخلف، ورويس، والرعاء جمع راع؛ كتاجر وتجار.

﴿ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴾ لا يقدر على رعي الغنم، وهو شعيب، وهو نبي القوم، وكلهم يحسدونه على ما آتاه الله، قال لهما موسى: وهذا الماء لهم

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٣٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٣).

خاصة؟ قالتا: لا، بل لجميع الخلق، وكانوا إذا فرغوا، عمدوا إلى حجر عظيم لا يرفعه إلا عشرة نفر يطبقونه على رأس البئر؛ لئلا يقدر على تنحيته.

* * *

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] فسكت موسى ـ عليه السلام ـ حتى فرغ الناس من سقي أغنامهم، فأطبقوا الحجر، وانصرفوا، فقام موسى، وقال للمرأتين: قرِّبا أغنامكما من الحوض، ثم إنه تقدم إلى البئر، وضرب الصخرة برجله، فدحاها أربعين ذراعاً على ضعفه من الجوع وسقوط خُفِّ قدمه.

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ أغنامهما.

﴿ ثُمَّ ﴾ بعد فراغه ﴿ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾ كان ظل شجرة، فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع.

﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ ﴾ طعام قليل أو كثير.

﴿ فَقِيرٌ ﴾ محتاج.

* * *

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] فانصرفت المرأتان إلى أبيهما شعيب، فأخبرتاه بما كان، فقال

لإحداهما: اذهبي فأتيني به ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ واضعة كم درعها على وجهها حياء منه، فأومأت إليه.

و﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ أجرَ سقيك، فقام موسى، ومرت المرأة بين يديه، فكشفت الريح عن ساقيها، فقال لها موسى: تأخري ورائي، ودليني على الطريق، فتأخرت، وكانت تقول: عن يمينك، وشمالك، وقدامك، حتى وقف على باب شعيب[1]، فلما ردت المرأة لأبيها، وأخبرته، فأذن له بالدخول، وشعيب يومئذ شيخ كبير، وقد كُفَّ بصره، فسلم موسى عليه، فرد عليه السلام، وعانقه، ثم أجلسه بين يديه، وكان قد هُيِىء العشاء، فقال: اجلس يا شاب فتعش، فقال: معاذ الله، فقال شعيب: ألست جائعاً؟ قال: بلى، ولكن أخاف أن يكون عوضاً عما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضاً من الدنيا، فقال شعيب: لا والله يا شاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي، نَقْري الضيف، ونطعم الطعام، فأكل على اسم الله، فلما فرغ من أكله، حمد الله، وأثنى عليه بالجميل، ثم سأله شعيب عن حاله وقصته.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ من حين مولده إلى حين جاءه.

﴿قَالَ﴾ له شعيب: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: فرعون وقومه؛ لأنه لم يكن له سلطان على مدين.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٦٠). عن السدي، وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٣٥).

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ﴾ اتخذه أجيراً يرعى غنمنا.

﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ﴾ على العمل ﴿ ٱلْأَمِينُ ﴾ فقال لها أبوها: وما علمُك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته، فإنه رفع الحجر من رأس البئر، لا يرفعه إلا عشرة، وأما أمانته، فإنه قال لي: امش خلفي حتى لا تصف الريح بدنك. قرأ أبو جعفر، وابن عامر: (يَا أَبَتَ) بفتح التاء حيث وقع على تقدير: يا أبتاه، ووقفوا (يَا أَبَهْ) بالهاء الساكنة، ووافقهما على الوقف ابن كثير، ويعقوب، وقرأ الباقون، ومنهم ابن كثير، ويعقوب: بكسر التاء لأن. . . . به، والجزم يحرك إلى الكسر(١).

***

﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] فرغب شعيب في تزويجه.

و﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ ﴾ واسمها صافوراء، وهي التي ذهبت إليه وطلبت استئجاره. قرأ ابن كثير: (هَاتَيْنِّ) بالمد وتشديد النون(٢).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦٠ و١٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، =

﴿ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ﴾ تكون أجيراً ﴿ ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ ﴾ أي: سنين، منصوب على الظرف، واحدتها حجة.

﴿ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا ﴾ أي: خدمة عشر سنين ﴿ فَمِنۡ عِندِكَۖ ﴾ تبرُّع لا إلزام مني.

﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ ﴾ بإلزام أتم الأجلين.

﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ في حسن الصحبة والوفاء بما قلت. قرأ نافع، وأبو جعفر: (إِنِّيَ أُرِيدُ) (سَتَجِدُنِيَ) بفتح الياء فيهما، وقرأ الباقون: بإسكانهما فيهما[1].

* * *

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: هذا الشرط.

﴿ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ ﴾ لا تخرج عنه.

﴿ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ ﴾ أي: أيَّ الأجلين، و(ما) صلة ﴿ قَضَيۡتُ ﴾ أتممت، الثمانَ أو العشرَ ﴿ فَلَا عُدۡوَٰنَ ﴾ فلا يُعتدى ﴿ عَلَيَّ ﴾ بطلب الزيادة على أحدهما.

= و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥ـ١٦).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥ـ١٦).

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ حفيظ، فجمع شعيب المؤمنين من أهل مدين، وزَوَّجه ابنته صافوراء، ودخل موسى البيت، وأقام يرعى غنم شعيب عشرَ سنين.

والإجارة: بيعُ المنفعة بعِوَض، وهي ـ بكسر الهمزة ـ: مصدر أَجَره يأجُره أجراً، وإجارة، فهو مأجور، واشتقاقها من الأجر، وهو العوض، ومنه سمي الثواب أجراً، ومن شرط صحتها أن تكون المنفعة والعوض معلومين بالاتفاق، فإذا استأجر رجل رجلاً لعمل معين؛ كخياطة ثوب، أو بناء حائط، أو رعي غنم، ونحو ذلك بأجرة معلومة، صح بغير خلاف.

وتقدم ذكر الخلاف في منافع الحر، هل يجوز أن تكون صداقاً؟ في سورة النساء، وأما إجارة الملك في العقار ونحوه، فتصح مدة معلومة، وإن طالت، بالاتفاق، واختلفوا في إجارة الوقف، فقال أبو حنيفة: لا تزاد على ثلاث سنين، وقال مالك: تجوز سنتين، ولمن مرجعها له عشر سنين، وقال الشافعي وأحمد: تجوز مدة يمكن فيها بقاء العين غالباً، وهي عند أبي حنيفة عقد جائز تنفسخ بموت أحد المتعاقدين إن عقدها لنفسه، وإن عقدها لغيره لا تنفسخ؛ كالوكيل والوصي ومتولي الوقف لبقاء المستحق عليه والمستحق، حتى لو مات المعقود له صارت عند مالك والشافعي وأحمد عقداً لازماً لا تنفسخ بالموت، والوارث قائم مقامه، وإذا كانت الأجرة مؤجلة، فمات المستأجر، فمذهب أحمد أن الأجرة على حكمها في التأجيل، وتقدم بها وارثه مؤجلة، وعند مالك والشافعي تحل الأجرة بالموت.

***

﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) ﴾.

[٢٩] ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ المشروطَ بينهما؛ أي: أتمه، مكث بعد ذلك عند صهره عشراً أخرى، فأقام عنده عشرين سنة، ثم قصد المسير إلى أهله، فبكى شعيب، وقال: يا موسى! كيف تخرج عني وقد ضعفتُ وكبرتُ؟! فقال له: قد طالت غيبتي عن أمي وخالتي وهارون أخي وأختي، فإنهم في مملكة فرعون، فقام شعيب، وبسط يديه، وقال: يا رب إبراهيمَ الخليل، وإسماعيلَ الصفي، وإسحاقَ الذبيح، ويعقوبَ الكظيم، ويوسفَ الصديق! رُدَّ قوتي وبصري، فأَمَّنَ موسى على دعائه، فرد الله عليه بصره وقوته، ثم أوصاه بابنته.

﴿ وَسَارَ ﴾ موسى ﴿ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾ نحو مصر ﴿ ءَانَسَ ﴾ أبصر.

﴿ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾ أي: من جهته ﴿ نَارًا ﴾ وكان في البرية في ليلة مظلمة، فضرب خيمته على الوادي، وأدخل أهله فيها، وهطلت السماء بالمطر والثلج، وكانت امرأته حاملاً، فأخذها الطلق، فأراد أن يقدح، فلم يظهر له نار، فاغتمَّ لذلك، فلما رأى النار من بعيد.

﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ ﴾ قرأ أبو جعفر: (لِأَهْلِهُ امْكُثُوا) بضم الهاء في الوصل[١].

---

(١) لم أقف عليها من قراءة أبي جعفر، وسلفت عند تفسير الآية (١٠) من سورة طه: أن ضمَّ الهاء في الوصل هي قراءة حمزة.

لأن الله كلم موسى فيها، وبعثه نبياً ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ أي: من ناحيتها، وهي شجرة عُنَّاب.

﴿أَن﴾ يحتمل أن تكون مفسرة؛ لأن النداء قول، أو مخففة من الثقيلة؛ أي: نودي بأن.

﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

***

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك.

﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها، وتقدم اختلاف القراء في (رَآهَا) في سورة الأنبياء.

﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ هارباً منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يلتفت، فنودي:

﴿يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ﴾ عن المخاوف.

***

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩).

[٣٢] ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ هو القميص، وتقدم الكلام عليه في سورة النمل.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ برَص، فخرجت لها شعاع كضوء الشمس.

﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ أي: يدك ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن كثير: (الرَّهَبِ) بفتح الراء والهاء، ورواه حفص عن عاصم: بفتح الراء وإسكان الهاء، **وقرأ** الباقون: بضم الراء وإسكان الهاء، وكلها لغات بمعنى الخوف[1]، ومعنى الآية: إذا هالَكَ أمرُ يدك، وما تَرى من شعاعها، فأدخلْها في جيبك، تَعُدْ إلى حالتها الأولى.

﴿فَذَانِكَ﴾ إشارة إلى العصا واليد البيضاء. **قرأ** أبو عمرو، وابن كثير، ورويس: بتشديد النون والمد، وهي لغة قريش، والباقون: بالتخفيف[2] ﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾ حجتان ومعجزتان.

﴿مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ وكانوا أحقاء بأن يرسل إليهم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠).

(٢) المصادر السابقة، إلا «تفسير البغوي».

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

[٣٣] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ بها . قرأ يعقوب : (يَقْتُلُونِي) بإثبات الياء[١] .

* * *

﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ فإنما قال ذلك ؛ للعقدة التي كانت في لسانه من وضع الجمرة في فيه .

﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا ﴾ معيناً .

﴿ يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ بتلخيص الحق ، وتقرير الحجة ، لا أن يقول له : صدقت ، أو للجماعة : صدقوه ، يؤيد ذلك قوله قبل : ﴿ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ لأن ذلك يقدر عليه الفصيح وغيره .

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ يعني : فرعون وقومه . قرأ حفص : (مَعِيَ) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها[٢] ، وقرأ نافع (رِداً) منون غير مهموز بوزن سِوًى طلباً للخفة ، وقرأ أبو جعفر : (رِدَا) بالألف من غير تنوين في الحالين ، وقرأ

---

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١) .

الباقون: بإسكان الدال وبالهمز والتنوين[1]، **وقرأ** عاصم وحمزة: (يُصَدِّقُنِي) برفع القاف على الحال؛ أي: رِدْءاً مصدقاً، **وقرأ** الباقون: بالجزم جواباً لـ(أرسلْه)[2]، **وقرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ أَخَافُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[3]، **وقرأ** ورش عن نافع: (يُكَذِّبُونِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب: بإثباتها في الحالين، والباقون: بحذفها فيهما[4].

***

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (٣٥)﴾.

[٣٥] ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ سنقويك بأخيك، والعضد: قوام اليد، وبشدتها تشتد، وهو ما بين المرفق والكتف، ويقال للضعيف: هو يد بلا عضد، وكان هارون يومئذ بمصر.

﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ قوة بالعصا، وحجة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢).

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢-٢٣).

﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ﴾ أي: تمتنعان منهم بآياتنا، فلا يصلون إليكما بسوء.

﴿ أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ أي: لكما ولأتباعكما الغلبةُ على فرعون وقومه.

* * *

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ واضحات.

﴿ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾ مختلق ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ الذي تدعونا إليه ﴿ فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ كائناً في أيامهم.

* * *

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ قرأ ابن كثير: (قَالَ مُوسَى) بغير واو؛ كما هي في مصحف أهل مكة على الاستئناف، وقرأ الباقون: بالواو، وكذلك هي في مصاحفهم(١)؛ لأنه عطف جملة على جملة.

﴿ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ ﴾ بالمحق من المبطل.

﴿ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾ أي: العقبى المحمودة في الدار الآخرة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤).

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي: الكافرون لا ينجح سعيهم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبِّيَ أَعْلَمُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1]، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَكُونُ لَهُ) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء؛ لتأنيث العاقبة[2].

***

﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾ نفى علمه بإله غيره دون وجوده؛ إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم، ولذلك أمر ببناء الصرح؛ ليصعد إليه، ويطلع على الحال بقوله:

﴿ فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ ﴾ اجعله آجراً، وهو أول من عمله.

﴿ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا ﴾ قصراً عالياً.

﴿ لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ ﴾ أصعد ﴿ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ فأقتله.

﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ ﴾ أي: موسى في ادعائه إلهاً غيري.

﴿ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ يقول هذا جهلاً وتمويهاً على قومه. قرأ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤).

الكوفيون، ويعقوب: (لَعَلِّي) بإسكان الياء، والباقون بفتحها[1].

وكان من قصة الصرح: أن هامان جمع خمسين ألف بنَّاء وصانع، وأخذوا في ذلك، وأسسوا حتى بنوا الصرح، وارتفع في الهواء ارتفاعاً لم يبلغه أحد من الخلق، أراد الله أن يفتنهم فيه، واشتد ذلك على موسى وهارون؛ لأن بني إسرائيل كانوا معذبين في بنائه، فلما فرغوا منه، ارتقى فرعون فوقه، وأخذ سهماً، فرمى به نحو السماء، فرد إليه وهو ملطخ دماً، قال: قد قتلت إله موسى، ثم أمر الله جبريل ـ عليه السلام ـ أن يهدم الصرح، فجعل عاليه سافله، وهلك تحته ألف ألف رجل من عسكر فرعون، ولم يبق أحد ممن عمل فيه إلا هلك؛ ممن كان على دين فرعون[2].

***

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ بغير استحقاق.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾ قرأ نافع، وحمزة، والكسائي،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٨١) عن السدي، وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٤١).

ويعقوب، وخلف: (يَرْجِعُونَ) بفتح الياء، وكسر الجيم، والباقون: بضم الياء وفتح الجيم[1].

* * *

﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ البحر.

﴿ فَٱنظُرْ ﴾ يا محمد.

﴿ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ وحذِّرْ قومك من مثلها.

قال ﷺ حكاية عن الله تعالى: «الكبرياءُ ردائي، والعَظَمَةُ إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، ألقيته في النار»[2].

* * *

﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً ﴾ قدوة للضلال، ورؤساء ﴿ يَدْعُونَ إِلَى ﴾ عمل

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٠)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكبر، وابن ماجه (٤١٧٥)، كتاب: الزهد، باب: البراءة من الكبر والتواضع، وغيرهما، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وهذا لفظ ابن ماجه.

أهل ﴿ٱلنَّارِ﴾ وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في (أَئِمَّةً) أول السورة.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ لا يُمنعون من العذاب.

***

﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ خزياً وعذاباً.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ المشوَّهين بسواد الوجه وزرقة العيون.

***

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ التوراة.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني: قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

﴿بَصَآئِرَ﴾ جمع بصيرة، وهي نور القلب؛ كالبصر نور العين ﴿لِلنَّاسِ﴾ فقط؛ ليبصروا ذلك الكتاب، ويهتدوا به ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ بما فيه من المواعظ.

***

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ أي: بجانب غروب الشمس من الطور، وهو الذي كان فيه الميقات؛ حيث ناجى موسى ربه.

﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾ أي: عهدنا ﴿إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ بالرسالة إلى فرعون.

﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ الحاضرين ذلك المقام، فتذكره من ذات نفسك.

* * *

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَلَٰكِنَّآ﴾ أوحينا إليك ذلك، وأوحينا إليك أنّا.

﴿أَنشَأْنَا﴾ بعد عهد الوحي إليه إلى عهدك ﴿قُرُونًا﴾ كثيرة.

﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ﴾ أي: على آخرهم، وهو القرن الذي أنت فيه.

﴿ٱلْعُمُرُ﴾ أي: أمد انقطاع الوحي، فجددنا بك العهد.

﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ كمقام موسى وشعيب.

﴿تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ على أهل مكة ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ أي: لم تشاهد ما تقدمك، فتخبر به أهل مكة.

﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ إليك بأخبار المتقدمين، فتتلوها عليهم.

* * *

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾ ناحية الجبل .

﴿ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ ليلة المناجاة، والمعنى: لو لم نوح إليك هذا كله، ما علمت .

﴿ وَلَـٰكِن ﴾ أعلمناك ﴿ رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا ﴾ هم أهل مكة .

﴿ مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ لأن أهل مكة لم يجئهم نذير قبل محمد ﷺ، وكانوا في فترة بينه وبين عيسى عليه السلام، وهي مدة تقرب من ست مئة سنة .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظون .

***

﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾ عقوبة ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من الكفر والمعاصي، وجواب (لولا) محذوف يقتضيه الكلام، تقديره: لعاجلناهم بما يستحقونه من العقوبة .

﴿ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ ﴾ هلاَّ ﴿ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ ينذرنا .

﴿ فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المصدقين، فأرسلناك؛ لتزول حجتهم، وينقطع عذرهم ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

[٤٨] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا ﴾ يعني: القرآن، ومحمد ﷺ.

﴿ قَالُواْ ﴾ كفار مكة: ﴿ لَوۡلَآ أُوتِيَ ﴾ هلاَّ أُعطي محمد.

﴿ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ ﴾ من التوراة وغيرها من الآيات.

قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ ﴾ أي: فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد ﷺ.

﴿ قَالُواْ سِحۡرَانِ ﴾ أي: موسى ومحمد ﴿ تَظَٰهَرَا ﴾ تعاونا، وهذا قول العرب، وقيل المراد: موسى وهارون، وهو قول من لم يؤمن بهما في زمانهما. قرأ الكوفيون: (سِحْرَانِ) بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف قبلها؛ أي: التوراة والقرآن، يعني: كل سحر يقوي الآخر، نسب التظاهر إلى السحرين على الاتساع، وقرأ الباقون: بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء، على المعنى الأول(١).

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ ﴾ منهم من كتبهم ﴿ كَٰفِرُونَ ﴾ وكان العرب قد بَعثوا إلى رؤساء اليهود بالمدينة، فسألوهم عن محمد ﷺ، فأخبروهم أنه صادق، وأن نعته وصفته عندهم.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦).

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا ﴾ يعني: التوراة والقرآن ﴿أَتَّبِعْهُ﴾ جواب ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم.

* * *

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ولما كان (فأتوا) أمراً، والأمر يقتضي الإجابة، قال:

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ﴾ دعاءك إلى الإتيان بكتاب.

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ ﴾ في كفرهم.

﴿ وَمَنْ ﴾ استفهام نفي.

﴿ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ ﴾؟ المعنى: لا أحد أضل ممن اتبع هواه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ أنفسهم باتباع الهوى.

* * *

﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ أي: أنزل عليهم القرآن متواصلاً.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ الأدلة، فيؤمنون.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢ ﴾ .

[٥٢] ونزل في علماء المؤمنين من أهل الكتاب: عبد الله بن سلام وأصحابه، مبتدأ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ ﴾[1] الضمير للقرآن، وخبر (الذين): ﴿ هُم بِهِۦ ﴾ بمحمد ﷺ ﴿ يُؤۡمِنُونَ ﴾ لأنه مذكور في كتبهم.

* * *

﴿ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ۝٥٣ ﴾ .

[٥٣] ﴿ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾ القرآن ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ ﴾ أي: من قبل وجوده ونزوله ﴿ مُسۡلِمِينَ ﴾ مؤمنين بمحمد ﷺ.

* * *

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٥٤ ﴾ .

[٥٤] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ ﴾ أي: يضعف لهم أجرهم ضعفين؛ لإيمانهم بالكتابين ﴿ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ على العمل بالشريعتين ﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ ويدفعون بالطاعة المعصية المتقدمة ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ في الطاعة.

* * *

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/٢٩٨٨ـ٢٩٨٩).

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ ﴾ القبيحَ من القول، واللغو من الكلام: ما هو ساقط العبرة، وهو الذي لا معنى له ﴿ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب، ويقولون: تباً لكم، تركتم دينكم، فيُعرضون عنهم، ولا يردون عليهم.

﴿ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ فكلٌّ مطالب بعمله.

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ سلام توديع ومتاركة، وليس هو سلام التحية؛ أي: لا نعارضكم في شيء ما؛ لأنا.

﴿ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ لا نطلب صحبتهم؛ لئلا نكون مثلهم، والجهل نقيصة، وهو معرفة الشيء على خلاف ما هو عليه، وهذا منسوخ بآية السيف.

* * *

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ولما حرص النبي ﷺ في إيمان أبي طالب، نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾(١) هدايته ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ فيدخله في الإسلام.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧١)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قصة أبي طالب، ومسلم (٢٤)، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره =

﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ بالمستعدين لذلك.

* * *

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ ﴾ أي: يأخذنا العرب لقتلنا، والقائلون قريش، وسبب نزولها: أن الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن الذي تقول حق، ولكنا إن اتبعناك على دينك، خفنا أن تخرجنا العرب من أرض مكة، والاختطاف: الانتزاع بسرعة، فنزل توبيخاً لهم:

﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ ﴾(١) نسكنهم ﴿ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ يأمنون فيه العدو والخسف مع كفرهم، فكيف لو أسلموا؟! إن العرب كانت تغير بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمِنون؛ حيث كانوا لحرمة الحرم.

﴿ يُجْبَىٰٓ ﴾ يجمع، ويحمل ﴿ إِلَيْهِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (تُجْبَى) بالتاء على التأنيث؛ لأجل الثمرات، وقرأ الباقون: بالياء

= الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة، عن سعيد المسيب، عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ.

(١) انظر: «السنن الكبرى» للنسائي (١١٣٨٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٥).

على التذكير؛ للحائل بين الاسم المؤنث والفعل[1] ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ مما به صلاح حالهم وقوام أمرهم.

﴿رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ ونصبه حال من (ثمرات).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أن ما تقوله حق؛ لأنهم جهلة لا يتفطنون له.

* * *

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥٨﴾.

[٥٨] ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن﴾ أهل ﴿قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ﴾ والبطر: الطغيان في النعمة. قال ﷺ: «[فاضوا] في البطر، فأكلوا رزق الله، وعبدوا الأصنام»[2].

﴿فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ﴾ أي: يسكنها المارة والمسافرون ساعة أو يوماً.

﴿وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ جميعَ المخلوقات.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٨).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٤٤٨)، عن عطاء من قوله.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ في كل زمان.

﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ أي: في أعظمها ﴿رَسُولًا﴾ ينذرهم؛ لأن الرسل إنما تبعث غالباً إلى الأشراف، وهم غالباً يسكنون المدن، وقيل: المراد بأم القرى هاهنا: مكة، وبالرسول: محمد ﷺ. قرأ حمزة، والكسائي: (إِمِّهَا) بكسر الهمزة حالة الوصل إتباعاً، وإذا ابتدأا، ضماها، وبه قرأ الباقون في الحالين[(١)].

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ ترغيباً وترهيباً.

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ أي: مشركون؛ أي: أهلكتهم بظلمهم.

* * *

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾ من أسباب الدنيا ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ تتمتعون بها أيام حياتكم، ثم أنتم وهي إلى فناء.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ لأنه مستمر.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٩).

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن الباقي خير من الفاني. قرأ أبو عمرو: (يَعْقِلُونَ) بالغيب، وهو أبلغ في الموعظة، وقرأ الباقون: بالخطاب، وهو وجه من أبي عمرو، إلا أن الأشهر عنه الغيب(١).

* * *

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] فبعد ذكر الحياة الدنيا، وما عند الله، وتفاوتهما، عَقَّبه بالفاء مدخلاً عليها همزة الاستفهام، فقال تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ هو الجنة.

﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ صائر إليه.

﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ويزول عن قريب.

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ في النار؟!

روي أنها نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل، وقيل: نزلت في حمزة وعلي وأبي جهل، وقيل: في عمار والوليد بن المغيرة، وقيل: في المؤمن والكافر(٢). قرأ الكسائي، وقالون، وأبو جعفر بخلاف عنه: (ثُمَّ هْوَ) بإسكان الهاء تخفيفاً، والباقون: بضمها(٣).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٩).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٩٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٥).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

في الحديث: «من كانت الدنيا همّه، جعل الله فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له، ومن كانت الآخرة همّه، جعل الله الغناء في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»(١).

* * *

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ وَيَوْمَ ﴾ أي: واذكر يوم.

﴿ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أنهم شركائي في الدنيا؟

* * *

﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ ثبت عليهم مقتضاه، وهو: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٩] وهم رؤوس الكفر:

﴿ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ أي: أضللناهم كما ضللنا، لم نُكرههم على الغي، إنما غووا باختيارهم، مع تسويلنا لهم.

﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ﴾ منهم ومن كفرهم، فصرنا أعداء، وكذبوا علينا.

﴿ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ إنما عبدوا أهواءهم.

* * *

= (٢/ ٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣٠).

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٥)، كتاب: الزهد، باب: الهم بالدنيا، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٠)، وغيرهما، عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ وَقِيلَ ﴾ لمن عبد غير الله توبيخاً وتهديداً:

﴿ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ﴾ استعينوا بآلهتكم؛ لتخلصكم من العذاب.

﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ ﴾ لم يجيبوهم بنفع؛ لعجزهم.

﴿ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾ لأربابهم ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴾ جوابه محذوف؛ أي: لما اتبعوهم في الدنيا، ولما رأوا العذاب في الأخرى.

***

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ أي: يسأل الله الكفارَ.

﴿ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الذين دعوهم إلى الله، وهذا النداء كالأول، ويحتمل أن يكون كل منهما بواسطة من الملائكة، ويحتمل غير ذلك.

***

﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ فَعَمِيَتْ ﴾ خفيت ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ ﴾ الأخبار.

﴿ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً عن خبر.

***

﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

[٦٧] ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ الناجين، و(عَسَى) حرف ترَجٍّ، وهو من الله واجب .

* * *

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

[٦٨] ولما قال المشركون: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني: الوليد بن المغيرة، أو عروة بن مسعود الثقفي، نزل جواباً لهم: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾(١) لا مانع له .

﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ أي: ليس لهم الاختيار في شيء، ثم نزه نفسه تعالى فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ به .

* * *

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

[٦٩] ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ﴾ تخفي .

﴿ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ يُظْهِرون .

* * *

---

(١) انظر: «أسباب نزول» للواحدي (ص: ١٩٥).

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ ﴾ أي: هو مستحقُّه.

﴿ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ﴾ يحمده أولياؤه في الدارين.

﴿ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ فصلُ القضاء بين الخلائق.

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ بالنشور. قرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم(١).

* * *

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أخبروني يا أهل مكة.

﴿ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا ﴾ دائماً.

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ لا نهار معه.

﴿ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ﴾ بنهار تطلبون فيه المعيشة.

﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ سماعَ فهم وقبول، وقرن بالضياء السمع؛ لأن السمع [يدرك] للأبصار البصر. قرأ قنبل عن ابن كثير: (بِضِئَاءٍ) بهمزتين، والباقون: بفتح الياء والهمز بعدها(٢)، واختلاف القراء في (أَرَأَيْتُمْ)

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«الغيث» للصفاقسي=

كاختلافهم في (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) في سورة الفرقان [الآية: ٤٣].

***

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ لا ليل فيه.

﴿ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ﴾ استراحةً عن متاعب الأشغال.

﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ قدرةَ الله، فتوحدون؟! وقرن بسكون الليل البصر؛ لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما لا تبصر أنت من السكون.

***

﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ أي: في الليل.

﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ بالنهار.

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نعمَ الله سبحانه.

***

= (ص: ٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣١).

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يومَ.

﴿يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ وكرر هذا المعنى إبلاغاً وتحذيراً، وهذا النداء هو ظهور كل ما وعد الرحمن على ألسنة المرسلين؛ مِن وجوب الرحمة لقوم، والعذاب لآخرين، ومن خضوع كل جبار، وذلة الكل لعزة رب العالمين، فيتوجه حينئذ توبيخ الكفار، فيقول الله لهم على معنى التوبيخ: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾؟!

***

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

[٧٥] ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا في ذلك اليوم ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: شاهداً، وهو رسولها، وفي هذا الموضع حذف يدل عليه الظاهر، تقديره: ليشهد الشهيد على الأمة بخيرها وشرها.

﴿فَقُلْنَا﴾ للأمم على جهة استبراء الحجة والإعذار في المحاورة: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ حجتكم بأن لله شريكاً، فيسقط حينئذ في أيديهم.

﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ في الإلهية، لا شريك له.

قال ابن عطية: ومن هذه الآية انتزع قول القاضي عند إرادة الحكم: أبقيتَ لك حجة؟[1]

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٢٩٧).

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من الباطل في الدنيا.

***

﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ (٧٦)﴾.

[٧٦] ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ هو اسم أعجمي؛ كهارون، فلذلك لم ينصرف، وهو ابن عم موسى على الأشهر؛ لأنه يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب، وموسى بن عمران بن فاهث، وفد من بني إسرائيل بإجماع، وآمن بموسى، واتبعه، وكان يلقب: المنور؛ لحسن صوته، وكان يقرأ التوراة من قلبه، وكان عاملاً لفرعون.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ ترفع وجاوز الحد على بني إسرائيل؛ بظلمه وكفره وكثرة ماله، وخالف موسى، وكَذَّبه.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ الأموالَ المدخرة ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ (ما) موصولة، و(مفاتحه) جمع مفتاح ـ بالكسر ـ، وهو الذي يُفتح به الباب.

﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ أي: تُثقلهم، وتميل بهم إذا حملوها، وكان فقيراً جداً، فتعلم صنعة الكيمياء من كلثوم أخت موسى، وكانت تعرف ذلك، فرزق مالاً عظيماً يُضرب به المثل على طول الدهر، وكان مفاتيح كنوزه تحمل على أربعين بغلاً، وقيل غير ذلك.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ متعلق بقوله ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ والمراد بقومه: المؤمنون منهم ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ﴾ بحطام الدنيا.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ البَطِرين بالمال، ولم يشكروا على ما أُعطوا.

* * *

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ ﴾ اطلبْ فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة الجنةَ، وهو أن تشكره على نعمه، وتنفقَ المال في رضاه.

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ هو أن تأخذ ما يكفيك.

﴿ وَأَحْسِن ﴾ إلى عباد الله ﴿ كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ فيما أنعم عليك ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ لا تعصِ؛ لأن من عصى الله، فقد طلب الفساد في الأرض.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ لسوء أفعالهم.

* * *

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ ﴾ أي المال.

﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ من ﴿ عِندِىٓ ۚ ﴾ أي: علم الله فيَّ خيراً، فرآني أهلاً لذلك، ففضلني بالمال عليكم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (عِنْدِيَ) بفتح

الياء، والباقون: بإسكانها، واختلف عن ابن كثير[1]، قال الله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الكافرة.

﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال، وهذا توبيخ له؛ لأنه كان قد علم حال من تقدمه وهلاكه، فلم ينزجر.

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ لعلمه بهم، بل يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال.

* * *

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ في زينته على بغلة شهباء عليها سرج ذهب، ومعه أربعة آلاف فارس[2] ﴿فِى زِينَتِهِۦ ۖ﴾ عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر، وعن يمينه ثلاث مئة غلام، وعن يساره ثلاث مئة جارية، عليهم الحلي والديباج[3] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ من المال ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ جَدٌّ وبَخْتٌ عظيم من الدنيا.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣٢).

(٢) «فارس» ساقطة من «ش».

(٣) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣/ ٤٣٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ١٢٩).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ وهم أحبار بني إسرائيل الزاهدون في الدنيا لغابطي قارون: ﴿ وَيْلَكُمْ ﴾ وأصل وَيْل: الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر.

﴿ ثَوَابُ ٱللَّهِ ﴾ في الآخرة ﴿ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ ﴾ صَدَّق بتوحيد الله.

﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ مما أُوتي قارون في الدنيا.

﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ أي: يوفق لهذه الكلمة التي قالها العلماء، وقيل: لا يرزق الأعمال الصالحة.

﴿ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ على طاعة الله.

* * *

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] وسبب هلاك قارون: أنه بغى على موسى، وكان أول طغيانه: أن أوحي إلى موسى: أنْ مُرْ بني إسرائيل أن يعلقوا أرديتهم خيوطاً أربعة خضراً على لون السماء يذكرون إذا رأوها أن كلامي نزل منها، قال موسى: ألا نأمرهم بجعلها كلها خضراً؛ فإنهم يحقرون هذه الخيوط؟ فقال: يا موسىٰ! إن من أمري ليس بصغير وإن هم لم يطيعوني في الصغير، لم يطيعوني في الكبير، فأمرهم، ففعلوا، وامتنع قارون، ولما عبروا البحر، جعل موسى الجودة والقربان في هارون، فقال: يا موسىٰ! تذهب بالرسالة، وهارون

بالقربان والجودة، فما يبقى لي، وأنا أقرأ بني إسرائيل للتوراة؟! ليس لي على هذا صبر، فقال موسى: من الله، فقال: لا أصدقك حتى تأتي على ذلك بآية، فأمر موسى أشراف قومه بوضع عصيهم في بيت، ففعلوا، وباتوا يحرسونها، فأصبحت عصا هارون مورقة خضراء، فقال قارون: ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، واعتزل موسى، وجعل موسى يداريه؛ لما بينهما من القرابة، وهو لا يلتفت إليه، وبنى داراً، وصَفَّحها بالذهب، وجعل أبوابها ذهباً، وتكبر بسبب كثرة ماله على موسى، ولما نزلت الزكاة، صالحه موسى على أن يعطيه عن كل ألف دينار ديناراً، وعن كل ألف درهم درهماً، وعن كل ألف شاةٍ شاة، ثم رجع موسى إلى بيته، فجمعها، فرآها جملة عظيمة، فلم تسمح بذلك نفسه، فمنعها، وخرج عن طاعة موسى، وأحضر امرأة بَغِيّاً، وأمرها بقذف موسى بنفسها، فلما كان يوم العيد، قام موسى خطيباً، فقال: من سرقَ قطعناه، ومن زنى غيرَ محصَنٍ جلدناه، ومن زنى محصناً رجمناه، فقال قارون: ولو كنت أنت؟! قال: وإن كنت أنا، فقال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة، فأُحضرت، فأنشدها موسى بالله أن تصدق، فقالت: جعل لي قارون جُعلاً على أن أرميكَ بنفسي، فخرَّ موسى ساجداً يبكي، وقال: يا ربِّ! إن قارون قد بغى علي، فأقبل موسى حتى دخل قارون، وقال: يا عدو الله! تبعث إلي المرأة على رؤوس بني إسرائيل تريد فضيحتي؟! يا أرض خذيه، فساخت داره في الأرض ذراعاً، وسقط قارون عن سريره، فأخذته الأرض إلى ركبتيه، فقال: يا موسىٰ! أغثني، فقال: يا عدو الله! تبني مثل هذه الدار، وتشرب في آنية الذهب والفضة، وأنا أدعوك إلى [حظك] فلا تقبله، وتقول: إنما أوتيته على علم عندي؟! يا أرض خذيه، فأخذته، روي أنه ناشده سبعين مرة،

وهو لا يلتفت إليه؛ لشدة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيه، فانطبقت عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1] من دون عذابه، فأوحى الله إلى موسى: ما أغلظَ قلبَكَ، استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه؟! فوعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة، لأغثته.

﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ الممتنعين مما حل به.

روي أنه خُسف به إلى الأرض السفلى، ولما خسفت به، قال بنو إسرائيل: إنما دعا عليه ليستبد بأمواله، فدعا موسى، فخسف بجميع أمواله[2].

***

﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ ﴾ أي: صار أولئك الذين تمنوا ما رزق من المال والزينة.

﴿ بِٱلْأَمْسِ ﴾ أي: بالوقت القريب منهم، استعاره هنا؛ لأن أمس عبارة عن اليوم الذي قبل يومك، يتندمون.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٥٥-٤٥٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٥٦-٤٥٧).

و﴿ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيق.

﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ فلم يعطنا ما تمنينا.

﴿ لَخَسَفَ بِنَا ﴾ لتوليده فينا ما ولده فيه، فخسف به لأجله.

﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ لنعمة الله؛ كقارون. (وَيْكَأَنَّ) كتبت موصولة كلمة واحدة في جميع المصاحف، وكذلك (وَيْكَأَنَّهُ) لكثرة الاستعمال؛ لأن أصلها: (وَيْ) تعجب و(ما) متصلة بـ(أن) عند البصريين، ولذلك فتحت الهمزة، فصار معناها الندامة، والتنبيه على الخطأ، وعند الكوفيين أن (وَيْكَ) ويلك، ومعناها: ألم تر، واختلف في الوقف عليهما، فوقف أبو عمرو: (وَيْك) على الكاف مقطوعة من الهمزة، وإذا ابتدأ، ابتدأ بالهمزة (أَنَّ)، و(أَنَّهُ)، ووقف الكسائي (وَيْ) على الياء مقطوعة من الكاف، وإذا ابتدأ، ابتدأ بالكاف (كَأَنَّ) و(كَأَنَّهُ)، ووقف الباقون (وَيْكَأَنَّ) (وَيْكَأَنَّهُ) موصولة اتباعاً للمصحف، وهذا هو الأولى والمختار في مذاهب الجميع؛ اقتداء بالجمهور، وأخذاً بالقياس الصحيح[1]، وقرأ يعقوب، وحفص عن عاصم: (لَخَسَفَ) بفتح الخاء والسين، الفاعل الله تعالى، وقرأ الباقون: بضم الخاء وكسر السين مجهولاً[2].

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦١)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣٣-٣٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣٤).

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾ أي: الجنة.

﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا ﴾ بَغْياً.

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ عَمَلاً بالمعاصي ﴿ وَٱلْعَاقِبَةُ ﴾ المحمودة ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

عن علي رضي الله عنه: أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل القدوة(١).

***

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ أي: بعمل صالح.

﴿ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ أي: من ثوابها الموازي لها.

﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أخبر تعالى أن السيئة لا يُضاعف جزاؤها؛ فضلاً منه ورحمة.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ولما خرج رسول الله ﷺ من الغار مهاجراً إلى المدينة، سار في

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٤٤٤).

غير الطريق مخافة الطلب، فلما أمن، رجع إلى الطريق، ونزل الجحفة بين مكة والمدينة، فاشتاق إلى مكة، فنزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[1] أنزله شيئاً بعد شيء ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ إلى مكة، ولما وُعد ﷺ بالعَوْد إلى مكة بعد قول المشركين له: إنَّكَ لفي ضلال مبين، نزل:

﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: هو أعلم بالفريقين، فيجازي كلاً بعمله. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

***

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

[٨٦] ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: يوحى إليك القرآن.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ﴾ نصب على أنه استثناء منقطع؛ أي: لكن رحمة من ربك، فأعطاك القرآن.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ مُعيناً ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ عبادتهم.

***

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٢٦)، عن الضحاك.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤).

﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ ﴾ لا يصرفُنَّكَ.

﴿ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ عن قراءتها، والعمل بها.

﴿ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ﴾ أي: بعد وقت إنزالها إليك، و(إذ) تضاف إلى الزمان؛ كحينئذ. قرأ يعقوب: (يَصُدُّنْكَ) مجزوم النون، والباقون: بفتحها مشددة(١).

﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ إلى توحيده ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الخطاب الظاهر للنبي ﷺ، والمراد: أهل دينه، وجميع الآية يتضمن المهادنة والموادعة، وهذا كله منسوخ بآية السيف، وسبب هذه الآية: ما كانت قريش تدعو رسول الله ﷺ من تعظيم أوثانهم، وعند ذلك ألقى الشيطان في أمنيته أمرَ الغرانيق كما تقدم في سورة الحج.

* * *

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ نهي عما هم بسبيله، فهم المراد، وإن عري اللفظ عن ذكرهم.

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ أي: إلا هو.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣٥)، والقراءة المشهورة على يعقوب كقراءة الجمهور.

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ فصلُ القضاء، وإنفاذُ القدرة في الدارين.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إخبار بالحشر والعودة من القبور. **قرأ** يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم حيث وقع؛ من رجوع الآخرة، **وقرأ** الباقون: بضم التاء وفتح الجيم[١]، قال ابن عطية: **وقرأ** أبو عمرو بالوجهين[٢]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣٥).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٠٤).

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

مكية، إلا الصدر منها العشر الآيات، فإنها مدنية، نزلت في شأن من كان من المسلمين بمكة، وآيها: تسع وستون آية، وحروفها: أربعة آلاف ومئة وخمسة وتسعون حرفاً، وكلمها: تسع مئة وثمانون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١﴾.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ تقدم الكلام عليه أول سورة البقرة، وملخصه: أن معناه: أنا الله أعلم، وتقدم الخلاف في الحروف التي في أوائل السور أول سورة مريم. قرأ أبو جعفر: بتقطيع الحروف، يسكت على كل حرف سكتة يسيرة كما تقدم التنبيه عليه غير مرة.

***

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ قرأ ورش: (آلمَ احَسِبَ النَّاسُ) بفتح الميم وحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على الميم تخفيفاً، ويجوز بالمد والقصر في (ميم) كما تقدم عن الجمهور حالة الوصل في أول سورة آل عمران،

لكن الوصل هنا مختص بمذهب ورش، وقرأ الباقون: بإسكان الميم وفتح الهمزة[1].

﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ استفهام تقريع وتوبيخ، والمعنى: أظنوا تركهم غيرَ مفتونين؛ لقولهم: آمنا؟! والفتنة: الامتحان بالشدائد، تلخيصه: لا بد من امتحانهم، وإذا أحب الله عبداً، جعله للبلاء غرضاً.

نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، فكانت صدورهم تضيق لذلك[2]، فنزلت الآية تسلية ومعلمة أن هذه سيرة الله في عباده اختباراً للمؤمنين؛ ليعلم الصادق، ويرى ثواب الله له، ويعلم الكاذب، ويرى عقاب الله إياه.

قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب في هذه الجماعة، فهي في معناها باقية في أمة محمد ﷺ موجود حكمها بقية الدهر[3].

***

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ﴾ كالأنبياء والأولياء، فمنهم من نُشر

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ١٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣٩).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٥-١٩٦).

(٣) «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٠٥).

بالمنشار، وعذب بأنواع العذاب، فلم ينصرف عن دينه.

﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ﴾ بالامتحان ﴿ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ﴾ في الإيمان.

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ أي: فليظهرن الصادق من الكاذب.

* * *

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (أم) معادلة للألف في قوله: (أَحَسِبَ)، المعنى: أظن المسيئون، وهم الكفار.

﴿ أَن يَسْبِقُونَا ﴾ أي: يفوتونا، فلا نقدر على الانتقام منهم؟!

﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ بئس حكماً يحكمون لأنفسهم بهذا الظن.

* * *

﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ ﴾ يأمل ثوابه، ويخشى البعث والحساب.

﴿ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ ﴾ هو الأمد المضروب للثواب والعقاب ﴿ لَءَاتٍ ﴾ لكائن. روي عن يعقوب، وقنبل: الوقف بالياء على (لَآتِي).

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فلا يفوته شيء.

* * *

﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ وَمَن جَٰهَدَ ﴾ جهاد حرب، أو جهاد نفس؛ بالصبر على مضض الطاعة.

﴿ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ﴾ لأن ثوابه لها.

و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فلا حاجة به إلى جهادهم.

***

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ لنبطلنها بسترها وترك العقوبة عليها.

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: نضاعف لهم الحسنات.

***

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ونزل في سعد بن أبي وقاص، وهو من السابقين الأولين لما أسلم، فحلفت أمه ألاَّ تأكل ولا تشرب حتى يكفر بمحمد، فقال: والله! لو كان لك مئة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما كفرت: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ ﴾(١) نصب بـ(وصينا)؛ أي: وصيناه أن يفعل بهما ما يحسن.

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ أنه لي شريك.

﴿ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ ﴾ في ذلك، وجاء في الحديث: «لا طاعة للمخلوق في

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٧٧)، و«أسباب نزول» للواحدي (ص: ١٩٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٥٢١).

معصية الخالق»[1]، ثم أوعد بالمصير إليه، فقال:

﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من صالح أعمالكم وسيئها، وأجازيكم عليها.

* * *

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي﴾ زمرة.

﴿الصَّٰلِحِينَ﴾ وهم الأنبياء والأولياء، وهي الجنة.

* * *

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ أي: طاعته والإسلام.

﴿جَعَلَ فِتْنَةَ﴾ أي: عذاب ﴿النَّاسِ﴾ إياه هنا ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ فساوى بين العذابين، فخاف العاجل، وأهمل الآجل، وهم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا مسهم أذى من الكفار، صرفهم عن الإيمان.

﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ دولة للمؤمنين ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ أي: المرتدون.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٦٦)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٦٠٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٧٣)، وغيرهم عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ﴾ على دينكم، ولكنا أُكرهنا على الكفر، فقال تعالى: تكذيباً لهم:

﴿ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ من الإيمان والكفر؟!

* * *

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ حقيقةً، فثبتوا على الإيمان عند البلاء.

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ في إيمانهم؛ بترك الإسلام عند البلاء. وهذه الآيات العشر من أول السورة إلى هنا مدنية، وباقي السورة مكية.

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا ﴾ الطريق الذي نسلكه في ديننا ﴿ وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾ أوزاركم؛ أي: إن كان فيها إثم، فنحتمله، فأخبر الله عز وجل أن ذلك باطل، وأنهم لو فعلوه، لم يتحمل عن أحد من هؤلاء المغترين بهم شيء من خطاياهم التي تختص بهم بقوله تعالى:

﴿ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فيما يزعمون؛ لأنهم لو يعلمون أنهم لا يقدرون على ذلك، وهذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم.

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ﴾ أوزار أعمالهم التي عملوها.

﴿ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ هي أثقال الذين أضلوهم.

﴿ وَلَيُسْـَٔلُنَّ ﴾ سؤال توبيخ.

﴿ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ على الله من الكذب.

***

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ ﴾ بقي ﴿ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ ينذرهم فلا يلتفتون إليه، وفسر العدد بسنة، ثم بعام؛ استثقالاً لتكرير لفظ واحد بلا فائدة، ولما جاء بقصة نوح تهويلاً لما جرى عليه من قومه، ذكر الألف أولاً؛ ليكون أفخم في أذن السامع، ثم أخرج منها الخمسين؛ إيضاحاً لمجموع العدد.

وقد وقع في كلام المؤرخين أن نوحاً عاش العدد المذكور فقط، وظاهر الآية الشريفة يخالفه؛ لأنه يدل على أنه لبث العدد المذكور في قومه بعد إرساله إليهم ينذرهم، وأن الطوفان وقع بعد ذلك، وقد روي أنه عاش ألفاً وأربع مئة وخمسين سنة، وهو يوافق الآية الشريفة؛ لأن ظاهرها يدل على أنه عاش أكثر مما ذكره المؤرخون، وتقدم ذكر نسبه وتاريخ مولده ومحل قبره في سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا ﴾

[الآية:٣٣]، وتقدم ذكر الاختلاف في عمره حين بعثه الله إلى قومه في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الآية:٥٩]، وتقدم ذكر تاريخ ركوبه في السفينة، وخروجه منها، وما بين الطوفان والهجرة الشريفة النبوية المحمدية في سورة هود عند آخر القصة.

فلما أنذرهم هذه المدة، وهي تسع مئة وخمسون سنة، فلم يؤمنوا، أذن له في الدعاء، فدعا عليهم.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ ما أطاف وأحاط بغلبة؛ كالسيل، فغرقوا.

﴿وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ مشركون.

***

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ من الغرق.

﴿وَجَعَلْنَـٰهَآ﴾ أي: السفينة، أو العقوبة.

﴿ءَايَةً﴾ علامة على قدرة الله تعالى في شدة بطشه ﴿لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ يقتضي أنه أخذ قومه فقط، وقد اختلف في ذلك، فقالت فرقة: إنما غرق في الطوفان طائفة من الأرض، وهي المختصة بقوم نوح، وقالت فرقة هي الجمهور: وإنما غرقت المعمورة كلها، وهذا هو ظاهر الأمر؛ لاتخاذه السفينة، وغير ذلك من الدلائل.

فإن قيل: كيف غرق الجميع، والرسالة إلى البعض؟ فالوجه في ذلك أن يقال: إن اختصت شيء بأمة ليس هو بألاَّ يهدي غيرها ولا يدعوها إلى توحيد الله تعالى، وإنما هو بألاَّ تؤخذ بفعال غيرها، ولا يبث العبادات

فيهم، لكن إذا كانت نبوة قائمة هذه المدة الطويلة، والناس حولها يعبدون الأوثان فلا محال أن دعاءه إلى توحيد الله قد كان بلغ الكل، فنالهم الغرق؛ لإعراضهم وتماديهم.

* * *

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ عطف على نوح؛ أي: وأرسلنا إبراهيم.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ أطيعوا الله وخافوه، وهذه القصة تمثيل لقريش، وكان نمرود وأهل مدينته عَبَدَةَ أصنام، فدعاهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى عبادة الله، ثم فرد لهم ما هم عليه من الضلال.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الكفر ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشر.

* * *

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾(١) أصناماً.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ تخلقون كذباً.

---

(١) من قوله: «بخيط في الخرزة...» (ص: ١٣٦) من سورة النمل الآية (٣٦) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ من سورة العنكبوت سقط من «ت»، وذلك بمقدار إحدى عشرة لوحة من النسخ الخطية.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا ﴾ لا يستطيعون أن يرزقوكم.

﴿ فَٱبۡتَغُواْ ﴾ فاطلبوا ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ ﴾ فإنه المالك له.

﴿ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ ﴾ على نعمه.

﴿ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ بالمعاد والحشر. قرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم(١).

* * *

﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨ ﴾.

[١٨] ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ ﴾ رسلَهم، فأهلكوا.

﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ وكل أحد بعد ذلك مأخوذ بعمله.

* * *

﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ ﴾.

[١٩] ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾ بالدلائل والنظر. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (تَرَوْا) بالخطاب، والباقون: بالغيب على الحكاية(٢).

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، =

﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ يخلقه ابتداءً نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم شخصاً سوياً، ثم يميته ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ حياً وقتَ البعث.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لا يفتقر في فعله إلى شيء.

***

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟﴾ إلى ديارهم وآثارهم.

﴿كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ﴾ أي: خلقه ابتداء على غير مثال.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ﴾ وهي نشأة القيام من القبور، المعنى: إذا قَدَر على بدء الخلق أولاً، فهو على إنشائه وإحيائه بعد الموت أقدرُ. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (النَّشَاءَةَ) بفتح الشين والمد حيث وقع، والباقون: بسكون الشين مقصورة، وهما لغتان[1]؛ كالرأفة والرآفة، ووقف حمزة على وجهين في ذلك: أحدهما: أن يلقي حركة الهمزة على الشين، ثم يسقطها طرداً للقياس، والثاني: أن يفتح الشين، ويبدل الهمزة ألفاً إتباعاً للخط، ومثله قد سمع من العرب[2].

= و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٣).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ فيقدر على النشأة الأخرى كما قدر على الأولى.

* * *

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ٢١﴾.

[٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ بتيسيره لأعمال من حق عليه العذاب.

﴿وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ﴾ بتيسيره لأعمال من سبقت عليه[١] الرحمة، لا معترض عليه.

﴿وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾ ترجعون.

* * *

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٢٢﴾.

[٢٢] ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ الله، وإن هربتم.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا﴾ تعجزونه.

﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لو كنتم فيها، المعنى: لا مخلَصَ لكم من الله.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾ يمنعكم منه[٢].

﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾ ينصركم من عذابه، والوليُّ أخصُّ من النصير.

* * *

---

(١) في «ت»: «له».

(٢) في «ت»: «فيه».

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ بدلائل وحدانيته ﴿ وَلِقَائِهِ ﴾ بالبعث ﴿ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي ﴾ أي: ييئسون منها يوم القيامة، فعبر عنها بالماضي؛ للتحقيق والمبالغة.

﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ بكفرهم، فهذه الآيات في تذكير أهل مكة، وتحذيرهم، وهي معترضة في قصة إبراهيم عليه السلام.

***

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ثم عاد إلى قصة إبراهيم، فقال تعالى:

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾ حين دعاهم إلى الإيمان.

﴿ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ﴾ وجعلها عليه برداً وسلاماً.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يصدقون.

***

﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَقَالَ ﴾ إبراهيم لقومه: ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ

﴿بَيۡنِكُمۡ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ورويس: (مَوَدَّةُ) رفعاً بلا تنوين (بَيْنِكُمْ) خفضاً بالإضافة على معنى: إن الذين اتخذوا من دون الله هي مودة بينكم في الحياة الدنيا، ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة، وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم، وروح عن يعقوب: (مَوَدَّةَ) نصباً من غير تنوين على الإضافة بوقوع الاتخاذ عليها، وقرأ الباقون: (مَوَدَّةً) بالنصب والتنوين (بَيْنَكُمْ) بالنصب[1]، معناه: إنما اتخذتم هذه الأوثان مودةً بينكم.

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ تتوادُّون على عبادتها، وتتواصلوْن عليها في الدنيا.

﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ﴾ أي: يتبرأ القادة من الأتباع.

﴿وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ المعنى: يلعن الأتباعُ القادةَ.

﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ﴾ جميعاً، العابدون والمعبودون، والتابعون والمتبعون.

﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يُخلصونكم منها.

***

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾ أي: لإبراهيم ﴿لُوطٞۘ﴾ لما رأى النار لا تحرقه، وهو أول من آمن به.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٤-٤٥).

﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ﴾ حيث أمرني.

﴿رَبِّيٓ﴾ بالهجرة إليه، فهاجر من كوثا سواد الكوفة إلى حران، ثم إلى فلسطين، وهو أول من هاجر، ومعه لوط وسارة، وهو ابن خمس وسبعين سنة، وقيل غير ذلك، ومنه قيل: لكل نبي هجرة، ولإبراهيم هجرتان. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي يمنعني من أعدائي.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي يأمرني بما فيه صلاحي.

***

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فلم يبعث الله نبياً بعد إبراهيم إلا من نسله ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد به: الجنس؛ ليتناول التوراة والزبور والإنجيل والقرآن ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ هو الثناء الحسن.

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: في زمرتهم، وهم الأنبياء وأتباعهم صلوات الله عليهم أجمعين.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٦).

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ وهي إتيان الرجال.

﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (إِنَّكُمْ) بالإخبار، وقرأ الباقون، وهم: أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (أَئِنَّكُمْ) بالاستفهام، فأبو عمرو يحقق الهمزة الأولى، ويسهل الثانية، وهو على أصله في إدخال ألف بينهما، والباقون: يحققون الهمزتين[1].

* * *

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴾ طريق المارة، كانوا يجلسون عليها، فمن مر بهم، أخذوه، فأخبثوا به. اتفق القراء على الاستفهام في هذا الحرف، وهم على أصولهم، فنافع، وابن كثير،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٠ و٥٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢ـ١٧٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٦٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٧٢ـ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٦ـ٤٧).

وأبو جعفر، وأبو عمرو، ورويس عن يعقوب: يحققون الهمزة الأولى، ويسهلون الثانية بين الهمزة والياء، ويفصل بين الهمزتين بألف: أبو جعفر، وأبو عمرو، وقالون، واختلف عن هشام، والباقون، وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: يحققون الهمزتين[1].

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ أي: مجلسكم ومتحدَّثكم، والنادي والنديُّ: مجلس القوم ما داموا فيه، فإذا خرجوا منه، فليس بنادي ﴿الْمُنكَرَ﴾ هو إتيان الرجالِ بعضِهم بعضاً في المجالس، روي أنهم كانوا يجلسون على الطريق، وعند كل واحد منهم[2] قصعة فيها حصًا، فمن مر بهم، حذفوه، فمن أصابه منهم، فهو أحق به، فيأخذ ما معه، وينكحه، ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاض يقضي بينهم بذلك، ومنه: هو أجورُ من قاضي سدوم، وكان من أخلاقهم مضغ العلك، وتطريف الأصابع بالحناء، وفرقعتها، وحل الأزرار، والسباب والفحش، ورمي البندق، واللعب بالحمام.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ لما أنكر عليهم.

﴿إِلَّا أَن قَالُوا﴾ له استهزاءً:

﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما تعدنا من نزول العذاب.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٦٣ و٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٧).

(٢) «منهم» ساقطة في «ت».

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] فعند ذلك ﴿ قَالَ ﴾ لوط: ﴿ رَبِّ ٱنصُرۡنِي ﴾ بتصديق قولي.

﴿ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ لحملهم الناس على ما لا يجوز.

* * *

﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ ﴾ من الله بإسحاق ويعقوب. قرأ هشام: (أَبْرَاهَامَ) بالألف.

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ ﴾ هي سدوم.

﴿ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ بالكفر والمعاصي.

* * *

﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم للرسل؛ إشفاقاً على المؤمنين، ومجادلة عنهم: أرأيتم إن كان فيهم مئة بيت من المؤمنين، أتتركونهم؟ قالوا: ليس فيهم ذلك، فجعل يتحدر حتى انتهى إلى عشرة أبيات، فقالت الملائكة: ليس فيها عشرة، ولا خمسة، ولا ثلاثة، ولا اثنان، فحينئذ قال إبراهيم:

﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ ﴾ سُمِّيَ بذلك؛ لأن حبه لِيطَ بقلب عمّه إبراهيم؛ أي: تعلق ولصق، وكان إبراهيم يحبه حباً شديداً، فراجعوه حينئذ، و﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ ﴾ لا تخف أن يقع حَيْف على مؤمن.

﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: بإسكان النون الثانية، وتخفيف الجيم، والباقون: بفتح النون وتشديد الجيم(١).

﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين في العذاب.

***

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ ظن أنهم من الإنس.

﴿سِىٓءَ بِهِمْ﴾ فأجأته المساءة والغم خيفة عليهم من قومه. قرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (سِيءَ) بإشمام السين الضم(٢).

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أصله أن الرجل إذا طالت ذراعه، أدرك ما لم يدرك القصير، فجعل ضيق الذراع عبارة عن تحمل ما لا يطاق، والمعنى: اغتم غماً شديداً؛ خوفاً أن يخبث قومه بهم.

﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني: الملائكة ﴿لَا تَخَفْ﴾ علينا ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ بإهلاكنا إياهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٨).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٩).

﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (مُنْجُوكَ) بإسكان النون وتخفيف الجيم، والباقون: بفتح النون وتشديد الجيم[1].

* * *

﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ ﴾ قرأ ابن عامر: بفتح النون وتشديد الزاي، والباقون: بإسكان النون[2] وتخفيف الزاي.

﴿ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا ﴾ عذاباً.

﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ بسبب فسقهم.

* * *

﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ﴾ أي: من القرية[3].

﴿ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً ﴾ آثار منازلهم الخربة.

﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ يتدبرون الآيات تدبُّرَ ذوي العقول.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٠).

(٣) «أي: من القرية» زيادة من «ت».

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ نصب بأرسلنا مقدرة.

﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾ افعلوا ما ترجون به العاقبة.

﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾.

* * *

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلة.

﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ باركين على الركب ميتين.

* * *

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ ﴾ نصب بمضمر؛ أي: أهلكناهما. قرأ حمزة، ويعقوب، وحفص: (وَثَمُودَ) بغير تنوين على تأويل القبيلة، والباقون: بالتنوين، فمن نون، وقف بالألف، ومن لم ينون، وقف بغير ألف، وإن كانت مرسومة، فبذلك جاءت الرواية عنهم منصوصة[١].

﴿ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم ﴾ يا أهل مكة.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩-٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٠).

﴿ مِن مَّسَٰكِنِهِمْۖ ﴾ أي: منازلهم بالحِجْر واليمن ما وصف من إهلاكهم.

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الطريق السوي.

﴿ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ عقلاء متمكنين من النظر.

* * *

﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ ﴾ أي: وأهلكناهم.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ والدلالات

﴿ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴾ فائتين عذابنا.

* * *

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ فَكُلًّا ﴾ منهم ﴿ أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ ﴾ عاقبناه به.

﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾ وهم قوم لوط، والحاصب: الريح التي تحمل الحصباء، وهي الحصا الصغار.

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ يعني: ثمود.

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ يعني: قارون وأصحابه.

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ يعني: قوم نوح، وفرعون وقومه.

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ فيعاقبهم بغير جرم.

﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بالتعريض للعذاب.

* * *

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (٤١) ﴾.

[٤١] ولما كانت العنكبوت أضعف الحيوان، وبيته أضعف البيوت، ضرب مثلاً للأصنام وعابديها، فقيل: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ﴾ يعني: الأصنام، يرجون نفعها ونصرها.

﴿ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ تأوي إليه، وهو في غاية الضعف، لا يدفع عنها حراً ولا برداً، وكذلك الأوثان لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضراً.

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ أن نفعهم بمعبوديهم كنفع العنكبوت ببيتها، لما عبدوهم.

وروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: «طهروا بيوتكم من نسيج العنكبوت؛ فإن تركه يورث الفقر»(١).

* * *

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٨٠).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ أي: قل للكفرة: إن الله يعلم ﴿ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ قرأ أبو عمرو: (يَعْلَم مَّا) بإدغام الميم في الميم، والباقون: بالفك[١]، وقرأ أبو عمرو، وعاصم، ويعقوب: (يَدْعُونَ) بالغيب؛ لذكر الأمم، وقرأ الباقون: بالخطاب[٢]، فأما موضع (ما) من الإعراب، فقيل: معناه: أن الله يعلم الذين تدعون من دون الله من جميع الأشياء: أن حالهم هذه، وأنهم أمر لا قدرة له، و(من) تبيين، المعنى: الله مطلع عليكم وعلى أعمالكم، فيجازيكم.

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ القاهر على كل شيء ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الذي لا يفعل شيئاً إلا بحكمة وتدبير.

* * *

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] وكان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون: إن ربَّ محمد يضرب

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٤/ ٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥١).

المثل بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، فنزل: ﴿وَتِلْكَ﴾ أي: وهذه.

﴿ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ الأشباه، والمثل: كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول، يريد: أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة.

﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ لكفار مكة.

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ يعلم[1] فائدة ضربها.

﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ الذين يعقلون عن الله، فيعملون بطاعته، ويجتنبون سخطه.

***

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل، وهو أن تكون مساكن عباده، وعبرة للمعتبرين منهم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ لدلالة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ على عظم قدرته وتوحيده.

***

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن.

---

(١) في «ت»: «يفهم».

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المعروفة.

﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ ما قَبُحَ من الأعمال ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ ما لا يُعرف في الشرع، قال ﷺ: «من لم تَنْهَهُ صلاتُه عن الفحشاء والمنكر، لم يَزْدَدْ من الله إلا بُعداً»(١).

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ أي: أفضل الطاعات؛ لأن ثواب الذكر الذكر، قال الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وسئل ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «أن تفارقَ الدنيا ولسانُك رَطْبٌ من ذكر الله»(٢).

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ لا يخفى عليه شيء.

***

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ تخاصموا ﴿أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: باللين إذا بذلوا الجزية ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ بالمعاندة، استثناء من الجنس؛ أي: إلا الذين أبوا أن يعطوا الجزية، ونصبوا الحرب، فأولئك

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٢٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٦)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٤٤).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨١٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٩٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٦)، عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ.

انتصِرُوا منهم، وجادلوهم بالسيف حتى يؤمنوا[1]، أو يُقِرُّوا بالجزية.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ المعنى: أخبروهم أنكم مؤمنون بالله، وجميع كتبه.

روي أن رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود، ومُرَّ بجنازة، فقال: يا محمد! هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أعلم»، فقال اليهودي: إنها تتكلم، فقال ﷺ: «ما حدثكم أهلُ الكتاب، فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان باطلاً، لم تصدِّقوه، وإن كان حقاً، لم تكذِّبوه»[2].

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧﴾.

[٤٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكإنزالنا التوراة ﴿أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وهم من أسلم من كفار مكة ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وذلك أن اليهود عرفوا أن محمداً نبي، والقرآن حق، فجحدوا.

* * *

---

(١) في «ت»: «يسلموا».

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤٤)، كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٠٦)، عن ابن أبي نملة الأنصاري، عن أبيه.

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ من قبل القرآن.

﴿ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ ﴾ تكتبه ﴿ بِيَمِينِكَ ۖ ﴾ وقوله: بيمينك؛ لأن الكتابة غالباً تكون باليمين، المعنى: لم تكن قارئاً ولا كاتباً، ولو كنت تعرف شيئاً من ذلك.

﴿ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ في نبوتك، وقالوا: الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ، وإنما أخذه من كتب من تقدمه.

* * *

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ بَلْ هُوَ ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ أي: ذو آيات واضحات.

﴿ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ ﴾ لأنهم يجدونه في كتبهم كذلك لا يكتب ولا يقرأ، وقيل: المعنى: بل القرآن آيات بينات في صدور المؤمنين الذين حفظوه؛ لأن من خصائص القرآن كونه معجزاً، وهو محفوظ في الصدور، بخلاف سائر الكتب؛ لأن من تقدم كانوا لا يقرؤون كتبهم إلا نظراً، فإذا أطبقوه، لم يعرفوا منه شيئاً، سوى الأنبياء، وما نقل عن قارون.

﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ اليهود.

* * *

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ ﴾ أي: هلاَّ ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (آيَةٌ) على التوحيد إرادة الجنس، وقرأ الباقون: (آياتٌ) على الجمع؛ كالناقة، والعصا، والمائدة[1].

﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ في قدرته، ينزلها إذا شاء، وليس إلي من ذلك شيء.

﴿ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ كُلِّفت الإنذارَ وإبانته بالدلائل الواضحة.

* * *

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن.

﴿ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ بصدقك، وهو أعظم الآيات؛ لأنه ثابت على مرور الأيام؛ بخلاف سائر الآيات؛ فإنها انعدمت.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ القرآن الذي هو آية مستمرة.

﴿ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ ﴾ تذكيراً ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٢).

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًاۖ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ولما لم يصدقوا بالقرآن، نزل: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًاۖ ﴾ لي بالبلاغ، وعليكم بالتكذيب؛ لأنه ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ ﴾ فلا يخفى عليه حالي وحالكم.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ أي: بغير الله.

﴿ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ والمغبونون؛ لاشترائهم الكفر بالإيمان.

* * *

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ونزل فيمن استعجل العذاب استهزاءً: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾ بقولهم: ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ في اللوح المحفوظ؛ أنهم يعذبون فيه، وهو يوم القيامة.

﴿ لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ ﴾ عاجلاً.

﴿ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً ﴾ فجأة في الدنيا؛ كيوم بدر، والآخرة عند نزول الموت بهم.

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بإتيانه.

﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾ أعاده تأكيداً.

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ جامعة لهم.

* * *

﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ﴾ يُصيبهم ﴿ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ أي: من جميع جوانبهم، المعنى: إذا غشيهم العذاب، أحاطت بهم جهنم.

﴿ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ ﴾ جزاء ﴿ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من المعاصي. قرأ نافع، والكوفيون: (وَيَقُولُ) بالياء؛ أي: ويقول لهم الموكَّلُ بعذابهم، وقرأ الباقون: بالنون[1]، وهي إما نون العظمة، أو نون جماعة الملائكة.

* * *

﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ونزل فيمن كان يؤذى بمكة من ضعفاء المسلمين، ويخشى الجوع إن خرج ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ﴾ فاخرجوا، فأنا رازقكم حيث كنتم.

﴿ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ والفاء في (فَإِيَّايَ) جواب شرط محذوف، تقديره: إن

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٣).

لم تتمكنوا من العبادة بأرض؛ لكثرة المعاصي، فاعبدون بغيرها، في الحديث: «من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبراً من الأرض، استوجبَ الجنةَ، وكان رفيقَ إبراهيمَ ومحمدٍ»[1]. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم: (يَا عِبَادِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2]، وقرأ ابن عامر: (أَرْضِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[3]، وقرأ يعقوب: (فَاعْبُدُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[4].

***

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ثم شجَّع المهاجرين بقوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ أي: مرارته؛ كما يجد الذائق طعم المذوق، المعنى: كل أحد ميت أينما كان، فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت.

﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ فنجازيكم بأعمالكم. قرأ أبو بكر عن عاصم:

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٨٨) عن الحسن مرسلاً، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٣٥١).

(٢) انظر «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٤).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٢-٥٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٤).

(٤) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٤).

(يُرْجَعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب، ويعقوب: على أصله في فتح التاء وكسر الجيم[1].

* * *

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ (٥٨)﴾.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (لَنُثْوِيَنَّهُمْ) بالثاء المثلثة ساكنة بعد النون، وإبدال الهمزة ياء؛ من الثواء، وهي الإقامة، يقال: ثوى الرجل: إذا أقام، وأثويته: إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه، وقرأ الباقون: بالباء الموحدة وفتحها وتشديد الواو وهمز بعدها[2]، وأبو جعفر: على أصله في إبدال الهمزة ياء مفتوحة[3]؛ من التبوء وهو المنزل؛ أي: لننزلنهم.

﴿مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ علالي ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣/ ٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٤-٥٥).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٥).

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ على الشدائد ومفارقة الأوطان وأذى المشركين.

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ يعتمدون.

* * *

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ولما قال النبي ﷺ للمؤمنين الذين كانوا بمكة، وقد آذاهم المشركون: «هاجروا إلى المدينة»، فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة، وليس لنا فيها دار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا؟! فأنزل الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن ﴾(١) أي: وكم.

﴿ مِّن دَآبَّةٍ ﴾ هي كل نفس تدب على الأرض من الحيوان. وتقدم اختلاف القراء في (وَكَأَيِّنْ) في سورة الحج عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ [الآية: ٤٥].

﴿ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ لا تطيق حمله؛ ضعفاً عن حمله وكسبه.

﴿ ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ حيث كنتم.

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالكم: لا نجد ما ننفق في المدينة.

﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بما في ضمائركم.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٢١).

قال ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِماصاً، وتروح بطاناً»(١).

* * *

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ يعني: كفارَ مكة.

﴿ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود، وإن اعترفوا بذلك.

فقل: ﴿ فَأَنَّىٰ ﴾ أي: فكيف ﴿ يُؤْفَكُونَ ﴾ يصرفون عن طاعته وتوحيده، مع اعترافهم أنه خالق الأشياء العظام التي هي دلائل القدرة؟! والاستفهام فيه للتوبيخ والتقريع.

* * *

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: يُضَيِّق ﴿ لَهُۥٓ ﴾ والضمير في قوله: (يَقْدِرُ لَهُ) لمن يشاء، فكأن بسط الرزق وقدره جُعلا لواحد، ويحتمل أن يكون تقديره: ويبسط لمن يشاء، ويقدر لمن يشاء، فحذف من يشاء، ووضع الضمير موضعه.

---

(١) تقدم تخريجه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ ما يصلح العباد، وما يفسدهم.

* * *

﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ معترفين بأنه الموجد للممكنات بأسرها.

﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ ﴾ على ثبوت الحجة عليكم.

﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ ما يقولون؛ لأنهم مع إقرارهم بذلك يشركون.

* * *

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٌ ﴾ واللهو: هو الاستمتاع بملذات الدنيا.

﴿ وَلَعِبٌۚ ﴾ أي: عبث، وسميت بذلك؛ لتشاغلهم بها، وسرعة فنائها.

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ أي: حياتها ﴿ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ ﴾ أي: حياة لا موت فيها، وسميت بالحيوان؛ لأن في الحيوان زيادة مبالغة على الحياة، وهو مصدر حَيِيَ، وقياسه حَيَيَان، قلبت الياء واواً؛ لئلا تحذف إحدى الألفات، والحياة حركة، والموت سكون، والحيوان مقر الحياة، وهو ضربان: ماله الحاسة، والآخر ماله البقاء الدائم، تلخيصه: لهم البقاء السرمدي.

﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك، لم يؤثروا الدنيا على الآخرة.

* * *

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) ﴾.

[٦٥] ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا ﴾ أي: الكفار ومعهم أصنامهم.

﴿ فِي الْفُلْكِ ﴾ في البحر، وخافوا الغرق.

﴿ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أي: لم يشركوا أحداً معه في الدعاء.

﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ عناداً.

* * *

﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) ﴾.

[٦٦] ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ من النعم، لفظه أمر، ومعناه التهديد.

﴿ وَلِيَتَمَتَّعُوا ﴾ بما بأيديهم من النعم. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، وقالون: (وَلْيَتَمَتَّعُوا) بإسكان اللام أمراً تهديداً، وقرأ الباقون: بكسرها[١]، جعلوها لام كي، تلخيصه: لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر والتمتع.

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة ذلك حين يُعاقبون.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٨).

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

[٦٧] ﴿ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ أهلُ مكة .

﴿ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يأمنون فيه .

﴿ وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ ﴾ كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون .

﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ الأصنام والشياطين ﴿ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ محمد والإسلام ﴿ يَكْفُرُونَ﴾ وهذا تذكير لأهل مكة .

* * *

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

[٦٨] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بزعمه الشريكَ والولدَ لله تعالى .

﴿ أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾ محمدٍ والقرآن ﴿ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ﴾ من غير توقف عناداً .

﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ مقام للكافرين؟ استفهام بمعنى التقرير؛ لأن همزة الإنكار إذا أدخلت على النفي، صار إيجاباً؛ أي: ألا يستوجبون الثواء فيها، وقد افتروا هذا الكذب الشنيع؟!

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

[٦٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ أي: من أجلنا؛ لنصرة ديننا .

﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير. قرأ أبو عمرو: (سُبْلَنَا) بإسكان الباء، والباقون: بضمها[1]، وكذلك اختلافهم في (رسلنا) و(رسلهم) و(رسلكم) حيث وقع.

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ بالنصر والمعونة، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٩).

سورة الروم

مكية، إلا قوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾، آيها: ستون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وخمس مئة وأربعة وثلاثون حرفاً، وكلمها: ثمان مئة وتسع عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الم ۝١﴾.

[١] نقل المفسرون أنه كان بين فارس والروم قتال، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم؛ لأنهم أصحاب كتاب مثلهم، والمشركون يحبون ظهور فارس؛ لأنهم كانوا مجوساً لا كتاب لهم كالمشركين، فبعث كسرى ملك فارس جيشاً، وبعث قيصر ملك الروم جيشاً، فالتقيا فغلب فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشق عليهم، وفرح به كفار مكة، وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، وإنكم إن قاتلتمونا، لنظهرن عليكم، فأنزل الله ـ عز وجل ـ: ﴿الم﴾[1] تقدم التنبيه على

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٨٥)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٢٥)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٥٤)، =

معناه، ومذهب أبي جعفر في تقطيع الحروف أول سورة العنكبوت.

***

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾.

[٢] ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ حين قاتلهم الفرس.

***

﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾.

[٣] ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أقربها، وهي أذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ الفرسَ.

***

﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾.

[٤] ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ هو ما بين ثلاث إلى عشر، فلما نزلت الآيات، قال أبو بكر: «لا يقر الله أعينكم، ستكون لهم الغلبة عليكم» فَنَاحَبَهُ؛ أي: راهنه أُبي بن خلف على عشر قلص إلى ثلاث سنين، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال: «إنما البضع من الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر، وماده في الأجل»، وذلك قبل تحريم القمار، فجعلا المناحبة على مئة قلوص إلى تسع سنين، فمات أُبي بن خلف من طعنة النبي ﷺ حين بارزه، ثم نصرت الروم بعد سبع سنين، وكان يوم الحديبية أو بدر، فأخذ أبو بكر الرهن من

= و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٤٧٨).

ورثة أُبي، وجاء به يحمله إلى النبي ﷺ، فقال له: «تصدق به»[(١)]. وقرأ عبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، والحسن، وعيسى بن عمر: (غَلَبَتِ الرُّومُ) بفتح الغين واللام، و(سَيُغْلَبُونَ) بضم الياء وفتح اللام[(٢)]، وقالوا: نزلت حين أخبر النبي ﷺ غلبة الروم فارس، ومعنى الآية: غلبت الروم فارس في أدنى الأرض إليكم، وهم من بعد غلبهم سيغلبهم المسلمون في بِضع سنين، وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم، قال البغوي: والأول أصح، وهو قول أكثر المفسرين[(٣)].

وقد حكى بعض المؤرخين في معنى ذلك: أن بيت المقدس لما فتح على يد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في سنة خمس عشرة، أو ست عشرة من الهجرة الشريفة، واستمر بأيدي المسلمين أربع مئة وسبعاً وسبعين سنة، ثم تغلب عليه الفرنج، واستولوا عليه في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة من الهجرة الشريفة، واستمر بأيديهم إحدى وتسعين سنة، إلى أن فتحه الله على يد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ رحمه الله ـ في يوم الجمعة سابع عشري رجب سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة، ووقع من الاتفاقات العجيبة أن الناصر صلاح الدين كان قبل ذلك استولى على مدينة حلب في صفر سنة تسع وسبعين وخمس مئة فامتدحه القاضي محي الدين بن الزكي قاضي دمشق بقصيدة منها:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ١٧ـ١٨).

(٢) انظر: «القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٣).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٨٧).

وَفَتْحُكُمْ حَلَباً بِالسَّيْفِ فِي صَفَرٍ   مبشـرٌ بفتـوحِ القـدسِ فـي رَجَـبِ

فكان كما قال، وفتح القدس في رجب كما تقدم، فقيل له: من أين لك هذا؟ فقال: أخذته من تفسير ابن مرجان[1] في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾، وكان الإمام أبو الحكم بن مرجان الأندلسي قد صنف تفسيره المذكور في سنة عشرين وخمس مئة، وبيت المقدس يومئذ بيد الفرنج لعنهم الله.

قال ابن خلكان في «تاريخه» في ترجمة ابن الزكي: ولما وقفت أنا على هذا البيت وهذه الحكاية، لم أزل أتطلب تفسير ابن مرجان حتى وجدته على هذه الصورة، ولكن رأيت هذا الفصل مكتوباً في الحاشية بخط الأصل، ولا أدري هل كان من أصل الكتاب، أم هو ملحق، قال وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراج ذلك حين حزره من قوله تعالى: ﴿بِضۡعِ سِنِينَ﴾، انتهى[2]، وقد صحح البغوي الأول كما تقدم.

﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ من قبل قتالهم وبعده، فأي الفريقين كان له الغلبة، فهو بأمر الله وقضائه.

﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾ أي: يوم يغلب الروم فارس.

﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

* * *

---

(١) «برجان» في: «ت».

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ٢٢٩-٢٣٠).

﴿ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ ﴾ من له كتاب على من لا كتاب له .

﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ ﴾ فينصر هؤلاء تارة، وهؤلاء أخرى .

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب .

﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بالمؤمنين .

* * *

﴿ وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِۖ ﴾ نصب على المصدر؛ أي: وعد الله وعداً بظهور الروم على فارس .

﴿ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ صحة وعده؛ لجهلهم .

* * *

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ من أمر معاشهم، ولا فرق بين عدم العلم وبين العلم المقصور على الدنيا .

﴿ وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ ساهون لا يتفكرون فيها، وكرر الضمير تأكيداً .

* * *

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ ﴾ .

[٨] ثم وبخهم على ترك النظر فيما يدلهم على المطلوب منهم فقال :

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمۗ﴾ أي: ألم يحدثوا الفكرة الصالحة في قلوبهم.

فيقولوا: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لم يخلقهما عبثاً، بل لحكم ظاهرة ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ﴾ آتٍ[1] لوقت معلوم، إذا انتهت إليه، فنيت، وهو يوم القيامة.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث والجزاء.

﴿لَكَٰفِرُونَ﴾ جاحدون، يظنون بقاء الدنيا، وعبر عنه بلقاء الله؛ لأنه عظم الأمر، وفيه النجاة والهلكة.

***

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ أهل مكة.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ المعنى: ألم يسافروا، فيعترفوا[2] مصارع المهلكين؛ كعاد وثمود بعد أن.

﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ حرثوها وقلبوها للزراعة، وسمي الثور ثوراً؛ لإثارته الأرض؛ كما سميت بقرة لبقرها الأرض.

---

(١) «آتٍ» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «فيعتبروا».

﴿وَعَمَرُوهَآ﴾ أي: المدمَّرين ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أكثر من عمارة أهل مكة، فأُهلكوا، فما الظن بأهل مكة، وهم دونهم في العدد والعُدَد وقوة الجسد.

﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ فلم يؤمنوا، فأهلكهم الله.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيدمرهم من غير جرم.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بكفرهم.

***

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ﴾ أي: آخر أمر ﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟﴾ العمل بكفرهم.

﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ، وهو الأقبح، يعني: الخلة التي تسوْؤهم، وهي جهنم.

﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ أي: لأجل أن كذبوا(١).

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ محمد ﷺ، والقرآن.

﴿وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (عَاقِبَةُ) بالرفع اسم كان، وخبرها (السُّوءَى)، وقرأ الباقون: بالنصب على خبر كان(٢)، وتقديره: ثم كان السوءى عاقبة الذين أساؤوا.

---

(١) «أي: لأجل أن كذبوا» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ﴾ ينشئهم ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ بالبعث بعد الموت.

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ فيجزيهم بأعمالهم. قرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: (يُرْجَعُونَ) بالغيب مع ضم حرف المضارعة، واختلف عن يعقوب، فقرأ رويس: بالخطاب، وروح: بالغيب، وكل منهما يفتح حرف المضارعة على أصل يعقوب، وقرأ الباقون: بالخطاب مع الضم(١).

* * *

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ ﴾ أي: ييئس.

﴿ الْمُجْرِمُونَ ﴾ المشركون من كل خير.

* * *

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ ﴾ الذين عبدوهم دون الله.

﴿ شُفَعَٰٓؤُا ﴾ يجيرونهم من عذاب الله.

﴿ وَكَانُوا بِشُرَكَآئِهِمْ ﴾ أي: بآلهتهم ﴿ كَٰفِرِينَ ﴾ جاحدين، يتبرأ كل

= (٢/ ٢٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٥).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨ و٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٧).

واحد منهم من الآخر، وكتب (شُفَعَؤُاْ) بواو قبل الألف؛ كما كتب (عُلَمَؤُاْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) في الشعراء [الآية: ١٩٧]، و(السُّوأَى) بألف قبل الياء إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها.

* * *

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ بعد الحساب إلى الجنة والنار، فلا يجتمعون أبداً.

* * *

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ ﴾ بستان مخضر في الجنة.

﴿ يُحْبَرُونَ ﴾ يُسرون، وكل أرض ذات نبات وماء روضة، ونكرت إرادةً الجنس، وتفخيماً لها.

* * *

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ بالبعث يوم القيامة.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ لا يغيبون عنه.

* * *

﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن المواقيت الخمس، هل هي في كتاب الله تعالى؟ قال: «نعم»، ثم تلا: ﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ ﴾(١) أي: نزهوا الله.

﴿ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ تدخلون في المساء، والمراد: صلاتا المغرب والعشاء.

﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ أي: تدخلون في الصباح، وهو صلاة الفجر.

***

﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس: «يحمده أهل السموات والأرض ويصلون»(٢)، ﴿ وَعَشِيًّا ﴾ هي صلاة العصر.

﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ تدخلون في الظهيرة، وهي صلاة الظهر.

واتفق الأئمة على أن الصلوات المفروضات في اليوم والليلة خمس، وعلى أنها سبع عشرة ركعة، الظهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع، والفجر ركعتان، وتجب الصلاة بأول الوقت لغير معذور، وعليه بآخره بالاتفاق.

فأول وقت الظهر: إذا زالت الشمس، وهو ابتداء طول الظل بعد تناهي

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/١٠٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/٢٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٤١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٢٢١).

قصره بالاتفاق، وآخر وقتها: إذا صار ظل الشيء مثله بعد الذي زالت فيه الشمس عند الشافعي وأحمد، وقال مالك: هو آخر وقت الظهر، وهو بعينه أول وقت العصر المختار يكون وقتاً لهما ممتزجاً بينهما، فإذا زاد زيادة بينة، خرج وقت الظهر المختار، واختص الوقت بالعصر، وعند أبي حنيفة آخر وقت الظهر مصير ظل الشيء مثليه، وخالفه صاحباه، فوافقا الشافعي وأحمد.

ثم العصر، ووقتها من خروج وقت الظهر على الاختلاف بينهم، وآخر وقتها المختار مصير ظل كل شيء مثليه عند مالك والشافعي وأحمد، ووقت الضرورة عند الشافعي وأحمد إلى غروب الشمس، وهو آخر الوقت عند أبي حنيفة، وقال مالك: وقت الضرورة ببقاء خمس ركعات من النهار يدرك بها الظهر والعصر، وما دون ذلك يدرك بها العصر دون الظهر.

ثم المغرب، ووقتها من مغيب الشمس بالاتفاق، قال مالك: وقت المغرب في الأخبار مغيب الشمس، وهو وقت واحد مضيق غير ممتد، لا يؤخر عنه، مقدر آخره بالفراغ منها في حق كل مكلف، وآخر وقتها عند الشافعي وأحمد مغيب الشفق الأحمر بالأفق، وهو من بقايا شعاع الشمس، وعند أبي حنيفة هو البياض الذي يبقى بعد الحمرة؛ خلافاً لصاحبيه.

ثم العشاء، ووقتها من مغيب الشفق على الاختلاف بينهم، وآخر وقتها المختار عند مالك والشافعي وأحمد ثلث الليل الأول، ووقت الضرورة عند مالك بقاء أربع ركعات من الليل قبل طلوع الفجر يدرك بها المغرب والعشاء، وما دون ذلك يدرك بها العشاء وحدها، وعند الشافعي وأحمد وقت الضرورة إلى طلوع الفجر الثاني، وهو البياض الذي يبدو من قبل

المشرق معترضاً بالأفق ولا ظلمة بعده، وهو آخر الوقت عند أبي حنيفة.

ثم الفجر، ووقتها من طلوع الفجر الثاني وهو الصادق إلى طلوع الشمس بالاتفاق، وتعجيلها أفضل عند الثلاثة، وعند أبي حنيفة يستحب الإسفار، فمن أدرك قبل الشمس ركعة، فقد أدرك الصلاة عند الشافعي، وعند مالك مع الطمأنينة، وعند أحمد يدرك الوقت بتكبيرة الإحرام، وكذا الحكم عندهم في جميع الصلوات، وعند أبي حنيفة إذا طلعت الشمس وهو في صلاة الفجر بطلت صلاته، وليس كذلك إذا خرج الوقت في بقية الصلوات، والزائد على قدر واجب في الصلاة في قيام ونحوه نفل بالاتفاق.

* * *

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة.

﴿ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ عكسه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (الْمَيِّت) بالتشديد في الحرفين، والباقون: بالتخفيف(١).

﴿ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ ﴾ بالمطر وإخراج النبات ﴿ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ ﴾ يبسها.

﴿ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ أي: كذلك نحييكم عند البعث. قرأ حمزة،

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٤ـ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٨).

والكسائي، وخلف: (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء وضم الراء، والباقون: بضم التاء وفتح الراء، واختلف عن ابن ذكوان[1].

***

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ دلائله الدالة على قدرته ووحدانيته.

﴿أَنْ خَلَقَكُم﴾ أي: خلق أصلكم، وهو آدم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ تنبسطون في الأرض، و(إِذَا) للمفاجأة؛ أي: فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين.

***

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ حواء من ضلع آدم، والنساء بعدها من أصلاب الرجال ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ لتأووا إلى أزواجكم.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً ﴾ الجماع ﴿وَرَحْمَةً ﴾ الولد، فبرحمة الله يتعاطفون، ويرزق بعض بعضاً.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في عظمة الله وقدرته.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٧)، و«التيسير» للداني (٣/ ٤٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٩).

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾ باللغات.

﴿ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ أبيض وأسود وغيرهما.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾ ظاهرة ﴿ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ قرأ حفص عن عاصم: بكسر اللام الثالثة، جمع عالم، وهو ذو العلم، وخص العلماء؛ لأنهم أهل النظر والاستدلال، دون الجهال المشغولين بحطام الدنيا وزخارفها، وقرأ الباقون: بفتح اللام[١]، جمع العالم، وهم الخلق، معناه: الآيات حجة على كل مخلوق.

***

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم ﴾ أي: نومكم ﴿ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾.

﴿ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ أي: جعل الليل للسكنى، والنهار للتصرف في طلب المعاش.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تدبر واعتبار.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٩).

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا ﴾ من الصواعق.

﴿ وَطَمَعًا ﴾ في الغيث.

﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ بالنبات ﴿ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ يبسها.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (وَيُنْزِلُ) بالتخفيف، والباقون: بالتشديد(١).

***

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ أي تدوما قائمتين إلى أجلهما.

﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: من القبور ﴿ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ المعنى: من دلائله على ألوهيته قيام السموات والأرض، ثم خروج الموتى حين يقال: يا أهل القبور اخرجوا، فيخرجون بلا توقف ولا إباء.

***

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٩).

﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ مطيعون لا يمتنعون عليه، والمراد: طاعة الإرادة، لا طاعة العبادة.

***

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ﴾ ينشئه من العدم أولاً.

﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ بعد الموت للبعث.

﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ أي هو هين عليه، وما شيء عليه بعزيز.

﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: الوصف الذي ليس لغيره مثله.

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ صفتان موافقتان لمعنى الآية؛ لأنه وصف الوحدانية.

***

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ثم عقبه بصفات التشريك فقال: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي: بين لكم شبهاً من حالكم، و(مِنْ) هذه ابتدائية؛ أي: أخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم، وهي أنفسكم، ثم بين المثل فقال: ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا

﴿مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أي: من عبيدكم وإمائكم، و(مِنْ) هنا تبعيض.

﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من المال، و(مِنْ) هنا زائدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ﴿فَأَنتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ﴾ في المال.

﴿سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ﴾ أي: تخافون مواليكم خيفة ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: أمثالكم من الأحرار، المعنى: هل ترضون أن يشارككم مَنْ ملكت أيمانكم فيما رزقناكم، فتكونوا سواء، فتخافونهم أن ينفردوا بأمر دونكم، كما تخافون الشركاء الأحرار؟ فإذا لم ترضوا ذاك، فكيف ترضون لله بشريك فيما يملكه؟ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كهذا التفصيل ﴿نُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم.

* * *

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] فلما لم ينزجروا، أضرب عنهم فقال: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أنفسَهم بالكفر ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بل تقليداً للجهالة ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ﴾ أي: أضلَّه.

﴿ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانعين من العذاب.

* * *

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أخلصْ دينك لله، وذكر الوجه؛ لأنه جامع

حواس الإنسان وأشرفه ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه عن جميع الأديان المحرفة المنسوخة.

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ خلقة الله. وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي[1]، ويعقوب: (فِطْرَهْ) بالهاء[2]، وهو نصب على الإغراء؛ أي: الزم فطرة الله.

﴿ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي الإسلام.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ خبر بمعنى النهي؛ أي: لا تبدلوا دين الله.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ استقامته؛ لعدم تدبرهم.

***

﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٣١)﴾.

[٣١] ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ أي: فأقم وجهك أنت وأمتك منيبين؛ أي: راجعين إليه بالتوبة؛ لأن مخاطبته ﷺ تدخل معه فيها الأمة.

﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

***

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)﴾.

[٣٢] وقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ بدل من المشركين؛ أي:

---

(١) «والكسائي» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٠).

جعلوه فرقاً مختلفة فيما يعبدونه على اختلاف[1] أهوائهم. **قرأ** حمزة، والكسائي: (فَارَقُوا) بألف بعد الفاء وتخفيف الراء؛ أي: خرجوا من دينهم وتركوه، **وقرأ** الباقون: بغير ألف مشدداً على المعنى الأول[2].

﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ أي: صاروا فرقاً مختلفة.

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من الدين.

﴿فَرِحُونَ﴾ مسرورون؛ ظناً منهم أنه الحق.

***

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣)﴾.

[٣٣] ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ قحط وشدة ﴿دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ﴾ منقلبين.

﴿إِلَيْهِ﴾ بالدعاء.

﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ خصباً ونعمة.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ فأجاء فريق منهم بالإشراك.

***

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤)﴾.

[٣٤] ثم أمرهم إيعاداً وتهديداً فقال: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي: بسبب ما أتيناهم، ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا هذا خطاب تهديد.

فقال: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ حالكم في الآخرة.

---

(١) «اختلاف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧١).

﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

[٣٥] ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ﴾ أي : حجة .

﴿ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾ أي : يبين عذرهم عن شركهم .

***

﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

[٣٦] ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً ﴾ نعمة من مطر ونحوه .

﴿ فَرِحُوا بِهَا ﴾ فرح البطر .

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ قحط ونحوه .

﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من أعمالهم الخبيثة .

﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ فأجاؤا القنوط، وهو الإياس من رحمته تعالى . قرأ أبو عمرو، ويعقوب، والكسائي، وخلف : (يَقْنِطُونَ) بكسر النون، والباقون : بفتحها[1] .

***

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾ يوسّعه ﴿ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيق .

---

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٢) .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ فيستدلون بها على قدرته وحكمته.

* * *

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ بأن تبره وتصله ﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ﴾ من الزكاة، وتقدم الكلام عليهما في سورة التوبة، واختلاف الأئمة فيهما، وفي بقية الأصناف الثمانية ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ يطلبون ثوابه.

﴿ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ حيث حصلوا بما بسط لهم من[1] النعيم المقيم.

* * *

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا ﴾ قرأ ابن كثير: (أَتَيْتُمْ) بقصر الهمزة، وقرأ الباقون: بالمد[2]؛ أي: أعطيتم، ومن قصر، فمعناه: ما جئتم من ربا ذلك على وجه الإعلام[3]؛ كما تقول: أتيت خطأً، وأتيت صواباً، فهو يؤول في المعنى إلى قول من مد ﴿ لِّيَرْبُوَا۟ ﴾ أي: يزيد ﴿ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ قرأ

---

(١) «من» ساقطة في «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٢).

(٣) في «ت»: «ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء».

نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: (لِتُرْبُوا) بالتاء المضمومة وسكون الواو على الخطاب؛ أي: لتربوا أنتم، وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس، وقرأ الباقون: بالغيب وفتح الياء والواو، وجعلوا الفعل للربا[1]؛ لقوله: ﴿فَلَا يَرْبُوا۟﴾ أي: لا ينمو ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ولا يبارك فيه.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ﴾ تبتغون ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ اتفق القراء على مد (مَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ) من أجل قوله: (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ)، ثم رجع من الخطاب إلى الغيبة.

فقال: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ تُضاعَف حسناتهم.

***

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ المعنى: هو المختص بهذه الأشياء ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ فلم يجيبوا عجزاً.

فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من المعبودين. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (تُشْرِكُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[2].

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٩٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٥١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٣).

﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ ﴾ الجدب وقلة البركة ﴿ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ السواحل والمدن التي على ظهر البحر والأنهار، وقال الحسن بن أبي الحسن: البر والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة، قال ابن عطية: وهذا هو القول الصحيح، وظهور الفساد فيهما هو بارتفاع البركات، ونزول رزايا وحدوث فتن، وتغلب عدو، وهذه الثلاثة توجد في البر[١] والبحر[٢].

﴿ بِمَا كَسَبَتۡ ﴾ أي: جزاءً بما كسبت.

﴿ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ ﴾ من الذنوب.

﴿ لِيُذِيقَهُم ﴾ قرأ روح عن يعقوب، وقنبل بخلاف عنه: (لِنُذِيقَهُمْ) بالنون، والباقون: بالياء[٣] أي عقوبة ﴿ بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ ﴾ من الذنوب ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ عن معاصيهم بالتوبة.

* * *

﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ ﴾ ليروا

---

(١) «البر» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٤٠).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٤).

منازلهم ومساكنهم خاوية ﴿ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ فأهلكوا بكفرهم .

***

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣) ﴾ .

[٤٣] ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾ تقدم تفسيره .

﴿ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ المستقيم ، وهو دين الإسلام .

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ ﴾ هو يوم القيامة ﴿ لَّا مَرَدَّ لَهُ ﴾ لا يقدر أحد على رده ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ . قرأ حمزة : (لاَ مَرَدَّ لَهُ) بالمد بحيث لا يبلغ الإشباع[١] .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ يتفرقون : فريق إلى الجنة ، وفريق إلى النار .

***

﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤) ﴾ .

[٤٤] ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾ أي : وَبالُ كفره .

﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ يوطِّئون منزلاً في الجنة .

***

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٤٥) ﴾ .

[٤٥] ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ﴾ من عطائه .

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ لا يُظهر عليهم أمارات الرحمة ، ولا يرضاه لهم ديناً .

---

(١) سلفت عند تفسير الآية (٢) من سورة البقرة .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ ﴾ الشمال والصبا والجنوب ؛ فإنها رياح الرحمة ، وأما الدبور ، فريح العذاب ﴿ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ بالمطر .

﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ المنافع التابعة لها .

﴿ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ ﴾ في البحر بالرياح .

﴿ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ لتطلبوا من رزقه بتجارة البحر .

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نعمة الله .

***

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالدلالات على صدقهم .

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ﴾ عذبنا الذين كذبوهم .

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بإنجائهم من العذاب لإيمانهم .

***

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

[٤٨] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (الرِّيح)

بغير ألف على التوحيد إرادة الجنس، والباقون: بألف على الجمع[1]، ولا خلاف في الحرف المتقدم قبل هذا أنه على الجمع.

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: تنشره ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: نحوها.

﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من قلة وكثرة.

﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ قرأ ابن عامر، وأبو جعفر: بإسكان السين على التوحيد، وقرأ الباقون: بفتح السين جمع كسفة؛ أي: قطعاً، واختلف عن هشام[2] ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ أي: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ وسطه.

﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ أي: بالودق.

﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بالمطر.

* * *

﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩)﴾.

[٤٩] ﴿وَإِن كَانُوا﴾ أي: الخلق ﴿مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ المطر.

﴿مِن قَبْلِهِ﴾ من قبل السحاب ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ آيسين.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٤-٧٥).

﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم: (أَثَرِ) بقصر الهمزة وحذف الألف بعد الثاء على التوحيد، وقرأ الباقون: بمد الهمزة وألف بعد الثاء على الجمع[١]، وأمال الدوري عن الكسائي فتحة الثاء[٢]، و(رَحْمَتِ) رسمت بالتاء في سبعة مواضع، ووقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب[٣]، المعنى: انظر إلى تأثير المطر.

﴿ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ ﴾ بالنبات والأشجار وأنواع الثمار.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ أي: محييها بعد الموت.

﴿ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ وهو الله تعالى.

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ من البعث وغيره.

* * *

﴿ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا ﴾ مضرة على زرعهم، فأفسدته ﴿ فَرَأَوۡهُ ﴾ أي:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٤ـ٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٦).

(٣) سلفت عند تفسير الآية (٢١٨) من سورة البقرة.

النبات ﴿مُصْفَرًّا﴾ بعد خضرته ﴿لَّظَلُّوا۟﴾ أي: ليظلُّنَّ ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعد اصفراره ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يجحدون ما سلف من النعم.

***

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾.

***

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ تقدم تفسير نظير هاتين الآيتين. واختلاف القراء فيهما مستوفى في سورة النمل [الآية: ٨١]، وكذا الحكم في التفسير والاختلاف هنا.

***

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ أي: من النطف ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ أي: من بعد ضعف الطفولة قوة الشباب. قرأ أبو عمرو: (خَلَقكُّمْ) بإدغام القاف في الكاف، وقرأ: (مِنْ بَعْد ضَّعْفٍ) بإدغام الدال في الضاد[1]، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ أي: قوة الشباب ﴿ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٧-٧٨).

ضعف الشيخوخة وشيبها. قرأ حمزة، وعاصم بخلاف عن رواية حفص: بفتح الضاد في الأحرف الثلاثة، والباقون: بضم الضاد فيهما، فالضم لغة قريش، والفتح لغة تميم(١).

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ من ضعف وقوة وشبيبة وشيبة.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

* * *

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ التي فيها القيامة.

﴿يُقْسِمُ﴾ يحلف ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ استقلوا ذلك لما استقبلوا من هول يوم القيامة، ويكذبون ثَمَّ، فيفتضحون.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ ذلك الصرف عن الصدق ﴿كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ يُصرفون إلى الكذب في الدنيا. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (كَذَلِك كَّانُوا) بإدغام الكاف الأولى في الثانية(٢).

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٥ـ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٨).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ من الملائكة والإنس مُنْكِرين عليهم كذبَهم:

﴿ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أي: فيما كتبه الله لكم في سابق علمه من اللُّبث في القبور.

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾ والفاء بعد جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام، تقديره: إن شككتم في يوم البعث.

﴿ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ ﴾ الذي كنتم تنكرونه في الدنيا.

﴿ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أنه حق. قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، ويعقوب، وخلف: (لَبِثْتُمْ) و(لَبِثْتَ) حيث وقع بإظهار الثاء عند التاء، والباقون: بالإدغام[1].

***

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ اعتذارهم ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ أي: لا تُطلب منهم العتبى؛ أي: لا يقال لهم: أَرضوا ربكم

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٨).

بالتوبة والطاعة[1] كما دُعوا إليه في الدنيا؛ من قولهم: استعتبني فلان، فأعتبته؛ أي: استرضاني، فأرضيته، وحقيقة أعتبته: أزلت عَتْبه، والعتب في معنى الغضب. قرأ الكوفيون: (يَنْفَع) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث[2].

* * *

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ وصفناهم فيه بأنواع الصفات التي هي في الغرابة كالأمثال. قرأ ابن كثير: (القُرَانِ) حيث وقع بالنقل، والباقون: بالهمز[3].

﴿ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ عناداً:

﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾ أي: أصحاب باطل.

* * *

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثلَ ذلك الطبع، وهو الختم.

﴿ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ﴾ الجهلَة ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ توحيد الله.

---

(١) «الطاعة» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٨).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٨).

﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾ على أذاهم ﴿ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾ بنصرك، وإظهار دينك، لا بد من إنجازه ﴿ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ﴾ لا يحملنك على الخفة والطيش ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ بالبعث، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد: أمته. قرأ رويس عن يعقوب: (يَسْتَخِفَّنْكَ) بتخفيف النون، والباقون: بالتشديد[١]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٩).

سورة لقمان

مكية غير ثلاث آيات، أولهن: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾، آيها: أربع وثلاثون آية، وحروفها: ألفان ومئة وعشرة أحرف، وكلمها: خمس مئة وثمان وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢)﴾.

[١] ﴿الم﴾.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الكتب المتقدمة أنها في القرآن معنى.

﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ أي: ذي الحكمة.

* * *

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٣)﴾.

[٣] ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ قرأ حمزة: (وَرَحْمَةٌ) بالرفع على الابتداء؛ أي:

هو هدى ورحمة، وقرأ الباقون: بالنصب على الحال من الآيات[1] ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بيان لإحسانهم.

* * *

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الظافرون بطلبتهم.

* * *

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾.

[٦] وكان النضر بن الحارث بن كلدة يَتَّجِر، فيأتي الحيرة، فيشتري أخبار الأعاجم، ويحدث بها قريشاً، ويقول: إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه، ويتركون سماع القرآن، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٣).

﴿مَن يَشۡتَرِي﴾[1] يستبدل ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ باطله، وقيل: نزلت فيمن يشتري المغنيات، قال ﷺ: «لا يحل شراء المغنيات، ولا بيعهن، وأثمانهن حرام»[2]؛ لأن في مثل هذا نزلت هذه الآية.

﴿لِيُضِلَّ﴾ ليصير آخر أمره إلى الضلال.

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ بل بجهل.

﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ أي: السبيل ﴿هُزُوًا﴾ سخرية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ لإهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه. **قرأ** ابن كثير، وأبو عمرو: (لِيَضِلَّ) بفتح الياء (وَيَتَّخِذُهَا) برفع الذال عطفاً على (يشتري)، و(هُزُؤاً) بضم الزاي والهمز، **وقرأ** حفص عن عاصم: (لِيُضِلَّ) بضم الياء، (وَيَتَّخِذَهَا) بنصب الذال عطفاً على (لِيُضِلَّ)، و(هُزُواً) بضم الزاي وفتح الواو منونة بغير همز، **وقرأ** حمزة، وخلف: (لِيُضِلَّ) بضم الياء (وَيَتَّخِذَهَا) بفتح الذال (هُزْءاً) بإسكان الزاي مع الهمز، **وقرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (لِيُضِلَّ) بضم الياء (وَيَتَّخِذَهَا) بفتح الذال (هُزُؤاً) بضم الزاي والهمز[3].

---

(١) انظر: «أسباب نزول» للواحدي (ص: ١٩٨).

(٢) رواه الترمذي (٣١٩٥)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة لقمان، وقال: حديث غريب، وعلي بن يزيد يضعَّف في الحديث، وابن ماجه (٢١٦٨)، كتاب: التجارات، باب: مالا يحل بيعه، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٧)، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٤ و١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٥ و٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٣ـ٨٤).

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا ﴾ لا يعبأ بها.

﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ ﴾ وهو الثقل الذي يغير إدراك المسموعات. قرأ نافع: (أُذْنَيْهِ) بإسكان الذال، والباقون: بضمها[١].

﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وذكر البشارة على التهكم.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾ لما ذكر الكفرة وتوعدهم بالنار، عقب بذكر المؤمنين، ووعدهم بجنات النعيم؛ ليبين الفرق.

* * *

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ حال من ضمير (لَهُمْ) ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ ﴾ مصدران مؤكِّدان، الأول مؤكد لنفسه؛ لأن معنى ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾ وعدهم بها، فأكد معنى الوعد بالوعد، ﴿ وَهُوَ ﴾ دال على معنى الثبات، أكد به معنى الوعد، وأكدا جميعاً ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يغلبه شيء ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في أفعاله.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٥).

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ ﴾ جمع أعمدة، وهي جمع عمود البيت؛ يعني: السواري ﴿ تَرَوۡنَهَا ﴾ استشهاد برؤيتهم لها كذلك، والمراد: نفي العمد أصلاً، وهو الأصح، فهي واقفة كالقبة، والقدرة أعظم من ذلك.

﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ ﴾ جبالاً رست؛ أي: ثبتت في الأرض.

﴿ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ ﴾ لئلا تضطرب بكم.

﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ ﴾ ثم رجع من الغيبة إلى الحضور.

فقال: ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴾ والزوج في اللغة: النوع والصنف، وليس بالذي هو ضد الفرد، وقوله: ﴿ كَرِيمٍ ﴾ أي: كثير المنفعة.

***

﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ ﴾ يعني: الذي ذكرتُ مما تعاينون مخلوقُ الله.

﴿ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ من آلهتكم التي تعبدونها.

﴿ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ أي: بل هذا الذي قريش فيه ضلال مبين، فذكرهم بالصفة التي تعم معهم سواهم ممن فعل فعلهم من الأمم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ﴾ وهو ابن ناعور ابن أخت أيوب عليه السلام، وقيل غير ذلك ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ العقل والعلم، ولم يكن نبياً، وكان قاضياً في بني إسرائيل في زمن داود عليه السلام، روي أنه خيره الله بين النبوة والحكمة، فاختار الحكمة.

وروي عن ابن عمر: أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «حقاً أقوله، لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً كثيرَ التفكر، حسنَ اليقين، أحب الله تعالى، فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة»(١) انتهى، وكان يؤازر داود؛ لحكمته، وعاش ألف سنة، وقبرُ لقمان بقرية صرفند ظاهر مدينة رملة فلسطين، وعليه مشهد، وهو مقصود للزيارة، وقال قتادة: قبره بالرملة ما بين مسجدها وسوقها، وهناك قبور سبعين نبياً ماتوا بعد لقمان جوعاً في يوم واحد، أخرجهم بنو إسرائيل من القدس، فألجؤوهم إلى الرملة، ثم أحاطوا بهم هناك، فتلك قبورهم.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ أي: وقلنا له: أن اشكر لله على ما أعطاك من الحكمة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وخلف: (أَنُ اشْكُرْ) بضم النون في الوصل، والباقون: بالكسر(٢).

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٣٨٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٨٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٥).

﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثوابه له.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ نعمةَ ربه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود على صنعه.

* * *

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ واسمه أنعم، وقيل: أشكم.

﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ يذكره بالآخرة ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. قرأ ابن كثير: (يَا بُنَيْ) بإسكان الياء مخففة [في هذا الحرف، وقرأ حفص عن عاصم: (يَا بُنَيَّ) بفتح الياء مشددة في الأحرف الثلاثة على قولك: يَا بُنَيَّا، ووافقه البزي في: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ)، وقرأ قنبل: (يَا بُنَيْ أَقِمِ الصَّلاَةَ) بإسكان الياء مخففة][١]، وقرأ الباقون: بكسر الياء مشددة في الثلاثة على إدغام إحدى الياءين في الأخرى[٢].

* * *

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: توالى

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٦).

عليها ضعف على ضعف؛ لأن الحمل ضعف، والطلق ضعف، والوضع ضعف ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي: مدة فطامه ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ وفيه دليل على أن أقصى مدة الرضاع حولان.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ أي: وصيناه بشكرنا، وشكر والديه. قرأ أبو عمرو: (أَنِ اشْكُر لِّي) بإدغام الراء في اللام، ورُوي عنه الإظهار، والوجهان صحيحان عنه[1].

﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع، قال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس، فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات الخمس، فقد شكر والديه[2].

***

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ باستحقاقه الإشراك.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الشرك.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: صِحاباً معروفاً، وهو البر والصلة.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٦).

(٢) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ٢٨٢).

﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ ﴾ أي: دينَ ﴿ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ أقبلَ على طاعتي، وهو النبي ﷺ وأصحابه.

﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ وجيء بهاتين الآيتين اعتراضاً في قصة لقمان؛ لمناسبة بينهما؛ لأن فيهما نهياً عن الشرك كما في القصة.

* * *

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ثم قال لقمان مخاطباً ابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ ﴾ أي: زِنَةَ حبةٍ من حب الخردل. قرأ نافع، وأبو جعفر: (مِثْقَالُ) برفع اللام؛ أي: إن وقع زنة حبة، وقرأ الباقون: بالنصب[١] على معنى: إن كان العملُ مثقالَ حبة، وتقدم نظيره في سورة الأنبياء.

﴿ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ ﴾ قال ابن عباس: «هي صخرة تحت الأرضين السبع، وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار، وخضرة السماء منها»[٢].

﴿ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ ﴾ للجزاء.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ ﴾ باستخراجها ﴿ خَبِيرٞ ﴾ بمكانها، لا يفوته شيء،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٧).

(٢) انظر: «تفسير الصنعاني» (٣/ ١٠٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٣٠٦٤)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٤٧) وقال: كأنه من متلقى الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

ويجازي به، روي أن آخر كلمة تكلمها هذه، ثم انشقت مرارته؛ لهيبتها، فمات.

* * *

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ وابدأ بنفسك، وتقدم تفسير المعروف والمنكر والحكم فيه في سورة التوبة.

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ ﴾ من الأذى بسبب ذلك؛ فإنه يورث المحن.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ مما عزمه الله؛ أي: قطعه قطعَ إيجاب.

* * *

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ لا تُعرض بوجهك عن الناس تكبراً واحتقاراً لهم. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: (تُصَعِّرْ) بتشديد العين من غير ألف، والباقون: بتخفيفها وألف قبلها[١]، ومعناهما واحد؛ من الصَّعَر: داء يأخذ الإبل، فتميل أعناقها منه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٨).

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ بطراً .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾ متبختر في مشيته .

﴿ فَخُورٍ ﴾ على الناس صاحبُ خيلاء .

***

﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ اعدل ، فلا تَدِب ، ولا تَثِب .

﴿ وَٱغْضُضْ ﴾ انقص .

﴿ مِن صَوْتِكَ ﴾ واخفضه في محل الخطاب دون الإرهاب للعدو .

﴿ إِنَّ أَنكَرَ ﴾ أقبح ﴿ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ لأن أوله زفير ، وآخره شهيق ؛ كصوت أهل النار .

***

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ بأن جعله سبباً لمنافعكم ﴿ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بأن مكنكم من الانتفاع به .

﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ ﴾ أكملَ عليكم ﴿ نِعَمَهُۥ ﴾ قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم : (نِعَمَهُ) بفتح العين وضم الهاء على الجمع

والتذكير؛ لأن أنعمه كثيرة، وقرأ الباقون: بإسكان العين وتاء منونة منصوبة على التأنيث والتوحيد[1]؛ إرادة الجنس.

﴿ظَٰهِرَةً﴾ هي حسن الصورة وتسوية الأعضاء ﴿وَبَاطِنَةً﴾ هي المعرفة، ولما كان النضر بن الحارث، وأُبي بن خلف، وأمية بن خلف، وأشباههم يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته.

نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2] مستفادٍ من دليل.

﴿وَلَا هُدًى﴾ راجع إلى الرسول.

﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ أنزله الله، بل بالتقليد.

***

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (٢١)﴾.

[٢١] كما قال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ وجواب (أَوَ لَوْ) محذوف، تقديره: أتتبعون الشيطان، وإن كان يدعوهم إلى عذاب السعير؟ والتقليد لغة: وضع الشيء في العنق محيطاً به، ومنه القلادة، ثم

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥١٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٩)، والقراءة جاءت بخلاف عن أبي عمرو وابن كثير وعاصم.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥١٢).

استعمل في تفويض الأمر إلى الغير؛ كأنه ربطه في عنقه، واصطلاحاً: قبول قول الغير بلا حجة، فيخرج الأخذ بقوله عليه السلام؛ لأنه حجة في نفسه.

* * *

﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: يخلص دينه لله.

﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ في عمله[١].

﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ أي: اعتصم بالعهد الأوثق، وهو: لا إله إلا الله.

﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ فيعطي كلاً جزاءه.

* * *

﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾ فإنه لا يضرك. قرأ نافع: (يُحْزِنْكَ) بضم الياء وكسر الزاي، والباقون: بفتح الياء وضم الزاي[٢] ﴿ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ في الدارين.

---

(١) في «ت»: «علمه».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٩٠).

﴿ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ ﴾ بالإهلاك والتعذيب .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ فمُجازٍ عليه .

* * *

﴿ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ﴾ نمهلهم مدة آجالهم ﴿ ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ ﴾ نلجئهم .

﴿ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾ شديد .

* * *

﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ لوضوح الدليل المانع من إسناد الخلق إلى غيره بحيث اضطروا إلى إذعانه .

﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ ﴾ على إلزامهم وإلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم .

﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ التوحيدَ ووجوبَه عليهم .

* * *

﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ لا يستحق العبادةَ فيهما غيرُه .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ﴾ الذي لا حاجة له في وجوده وكماله إلى شيء .

﴿ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ المحمود؛ أي: كذلك هو بصفته وذاته .

* * *

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ولما نزل بمكة: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، أتاه أحبار اليهود، وقالوا: يا محمد ما تريد بقولك: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إيانا أم قومك؟ فقال: كُلاًّ، فقالوا: أليست التوراة فينا؟ قال: هي في علم الله قليل.

فنزل: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾[١] أي: شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة إلا قد بُريت أقلاماً.

﴿ وَٱلْبَحْرُ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (وَالْبَحْرَ) بالنصب عطفاً على (ما) التي هي اسم (أن)، وقرأ الباقون: بالرفع على أنه ابتداء، وخبره في الجملة التي بعده[٢].

﴿ يَمُدُّهُۥ﴾ يزيده، وينصبُ فيه ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[٣]؛ أي: من خلفه ﴿ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٨١). وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٩).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٩٠-٩١).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٩٠-٩١).

﴿مَا نَفِدَتْ﴾ المعنى: لو أن جميع أشجار الأرض أقلام، وتنصبُّ في البحر سبعة أبحر، ومياهها مداد، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد، لنفدت الأقلام والمداد، ولم تنفد ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ﴾؛ يعني: علمه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

***

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ونزل رداً على منكري البعث: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ﴾ مع كثرتكم.

﴿إِلَّا كَنَفْسٍ﴾ أي: إلا كخلق نفس ﴿وَٰحِدَةٍۚ﴾ وبعثها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ فلا يفوته شيء.

***

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ يُدخل أحدَهما في الآخر.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى منتهى معلوم: الشمس إلى آخر السنة، والقمر إلى آخر الشهر، وقيل: الأجل المسمى: القيامة التي تنقضي فيها هذه البنية.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ عالم بكنهه.

* * *

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠﴾.

[٣٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: لتعلموا أن الله ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: صفة الألوهية حق ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأصنام ﴿ٱلۡبَٰطِلُ﴾ المعدوم. قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (يَدْعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب(١).

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ على كل شيء ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ عن أن يكون له شريك.

* * *

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٣١﴾.

[٣١] ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي: إن ذلك من نعمة الله عليكم، و(نِعْمَتِ) رُسمت بالتاء في أحد عشر موضعاً، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب(٢).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٩٢).

(٢) سلفت عند تفسير الآية (٢٣١) من سورة البقرة.

﴿ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾ من عجائبه .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ ﴾ صبور على أمر الله .

﴿ شَكُورٍ ﴾ لنعمه .

* * *

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢) ﴾ .

[٣٢] ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم ﴾ يعني: الكفار، وهم في البحر ﴿ مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ ﴾ لأن موج البحر يرتفع ويتراكب كالظلل، وهي السحب.

﴿ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ لا يذكرون معه[١] سواه .

﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ عدل، موف في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له، قيل: نزلت في عكرمة بن أبي جهل، هرب عام الفتح إلى البحر، فجاءهم ريح عاصف، فقال عكرمة: لئن أنجاني الله من هذا، لأرجعن إلى محمد، ولأضعن يدي في يده، فسكنت الرياح، فرجع عكرمة إلى مكة، فأسلم وحسن إسلامه[٢] .

﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ الدالة على قدرتنا ﴿ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ ﴾ غدّار .

﴿ كَفُورٍ ﴾ للإحسان إليه .

* * *

---

(١) «معه» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥١٥) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا ﴾ أي: عذابَ يوم.

﴿ لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا ﴾ أي: لا يقضي عنه، و(يُجزي) ـ بالضم ـ: يغني، والتلاوة بالأول.

﴿ مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ ﴾ ما روي عن يعقوب وقنبل: الوقف بالياء على (جَازِي)[١].

﴿ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ ﴾ بالثواب والعقاب ﴿ حَقّٞۖ ﴾ لا خُلْفَ فيه.

﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ الشيطان، والغرور: التطميع بما لا يحصل، ومعنى الآية: أن تعمل بالمعصية، وتتمنى المغفرة.

* * *

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ولما سئل النبي ﷺ عن الساعة، وعن نزول الغيث، وعن وضع الحمل، والكسب، والموت، نزل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[٢] وقتُ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٢١).

(٢) انظر: «أسباب نزول» للواحدي (ص: ١٩٩ـ٢٠٠).

قيامها ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ في محله المعين له في علمه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وعاصم: (وَيُنَزِّلُ) بفتح النون وتشديد الزاي، والباقون: بإسكان النون وتخفيف الزاي[1] ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ من ذكر وأنثى، وأسود وأبيض، وغير ذلك.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير وشر ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ من برٍّ وبحر، قال ﷺ: «مفاتحُ الغيبِ خمسة» وتلا هذه الآية[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بالأشياء كلها ﴿خَبِيرٌ﴾ يعلم بواطنَها وظواهرَها، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٩٤).

(٢) رواه البخاري (٤٣٥١)، كتاب: التفسير: باب: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

سورة السجدة

وتسمى: سورة المضاجع، مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ إلى تمام ثلاث آيات، وآيها: ثلاثون آية، وحروفها: ألف وخمس مئة وثمانية عشرة حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وثمانون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ (١)﴾.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ اختلفوا في إعراب أوائل السور على ثلاثة أقوال: قيل: محلها رفع على أنها خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه ألف لام ميم، أو مبتدأ وما بعده خبر، وقيل: محلها نصب على إضمار فعل؛ أي: اقرأ ألف لام ميم، وقيل: في محل جر على إضمار جر بالقسم؛ أي: وألفٍ لام ميم، وتقدم تفسيره واختلاف القراء فيه غيرَ مرة.

***

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢)﴾.

[٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك في الكتاب أنه تنزيل.

﴿ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ لأنه معجز، وإذا تؤُمِّل، وُجد كذلك.

* * *

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ أي: بل أيقولون: ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ أي: اختلق محمدٌ القرآنَ.

﴿ بَلْ هُوَ ﴾ أي: القرآنُ ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا ﴾ هم العرب.

﴿ مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ لأن العرب لم يُبعث إليهم أحد قبل النبي ﷺ؛ لأنهم كانوا في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ بإنذارك إياهم.

* * *

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ ﴾ تقدم الكلام فيه في سورة طه ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ من دون عذابه.

﴿ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ ﴾ المعنى: إذا خالفتموه، فلا ناصر يذب عنكم، ولا شافع يشفع لكم.

﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ بمواعظ الله؟!

* * *

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ يقضي القضاء وينزله ﴿ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ واختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ) كاختلافهم فيهما من قوله: (عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ ﴾ يصعد ﴿ إِلَيْهِ ﴾ المعنى: ينزل الملك بالوحي من السماء إلى الأرض، ثم يرجع إلى مقره منها.

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ من أيامكم؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة(١)، فيكون هبوط الملك وصعوده في قدر يوم واحد، وأما قوله: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤] فهو مدة المسافة بين سدرة المنتهى والأرض، ثم عوده إلى السدرة، فالملك يسيره في قدر يوم واحد من أيام الدنيا.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المدبِّرُ ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي: يعلم الظاهر والباطن ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالبُ ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بعباده.

* * *

---

(١) في «ت»: «عام».

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾ قرأ نافع، والكوفيون: (خَلَقَهُ) بفتح اللام؛ أي: كل شيء[١] خلقه حسن، وقرأ الباقون: بإسكانها[٢]؛ أي: أحسنَ كمل[٣] خلقَ كلِّ شيء؛ أي: أتقنه وأحكمه.

﴿ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ ﴾ أي: آدم ﴿ مِن طِينٍ ﴾.

* * *

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ ﴾ ذريته.

﴿ مِن سُلَٰلَةٍ ﴾ من نطفة؛ لأنها تُسل من الإنسان.

﴿ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ ضعيف.

* * *

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ ﴾ .

[٩] ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾ قوّمه وسوّى خلقه ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ ﴾ أي: جعل فيه الشيء الذي اختص تعالى به، ولذلك أضافه إليه، فصار بذلك حياً حساساً بعد أن كان جماداً، لا أن ثَمَّ حقيقة نفخ، ثم عاد إلى ذريته فقال:

---

(١) «شيء» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٩٨).

(٣) «كمل» ساقطة في «ت».

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ بعد أن كنتم نُطفاً.

﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يعني: لا تشكرون إلا شكراً قليلاً.

***

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ منكرو البعث: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ذهبنا وصرنا تراباً، و(ضَلَلْنَا) بالصاد المهملة: تغيرنا، والتلاوة بالأول ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ المعنى: أنبعث بعد موتنا وانعدامنا؟ واختلف القراء في (أَئِذَا) (أَئِنَّا) في الإخبار بالأول منهما، والاستفهام بالثاني، وعكسه، والاستفهام فيهما، فقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: (إِذَا) بالإخبار (أَئِنَّا) بالاستفهام، وابن عامر: يحقق الهمزتين، وأبو جعفر: يسهل الثانية ويفصل بينهما بألف، واختلف عن هشام راوي ابن عامر في الفصل مع تحقيق الهمزتين، وقرأ نافع، والكسائي، ويعقوب: (أَئِذَا) بالاستفهام (إِنَّا) بالإخبار، فنافع يسهل الهمزة الثانية، ورواية قالون: يفصل بينهما بألف، ووافقه رويس عن يعقوب في التسهيل، والكسائي: يحقق الهمزتين، وافقه روح عن يعقوب، وقرأ الباقون: (أَئِذَا) (أَئِنَّا) بالاستفهام فيهما، فابن كثير وأبو عمرو: يسهلان الهمزة الثانية منهما، وأبو عمرو: يفصل بينهما بألف، وعاصم وحمزة وخلف: يحققون الهمزتين[١]، فمن قرأ بالاستفهامين، فذلك

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٦٢-٣٦٤ و٣٧٢-٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٩٩).

للتأكيد، ومن استفهم في الأول فقط، فإنما يقصد بالاستفهام الموضع الثاني، تقديره: أنبعث ونحشر إذا، ومن استفهم في الثاني فقط، فمعناه: إذا كنا تراباً، أنبعث؟

قال الله عز وجل: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ أي: بالبعث بعد الموت.

***

﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم﴾ يقبض أرواحكم ﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: وكل بقبض أرواحكم، وهو عزرائيل ـ عليه السلام ـ، والتوفي: هو استيفاء العدد، معناه: أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليهم الموت.

روي أن الدنيا لملك الموت كراحة اليد، يأخذ منها صاحبها ما أحب بلا تعب، فهو يقبض أنفس الخلق في مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، روي أن أعوانه ينزعون الروح، فإذا بلغت ثغرة النحر، نزعها هو(١).

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت أحياءً، فيجزيكم بأعمالكم. قرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم(٢).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٤١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠٠).

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ أي: وليتك يا محمد ترى ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ﴿نَاكِسُوا۟﴾ مطأطِئو ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ خجلاً وندماً ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة، فتمنى تعالى أن يراهم نبيُّه ـ عليه السلام ـ على الحالة الرديئة؛ لأنهم آذوه.

﴿رَبَّنَآ﴾ أي: ويقولون: ربَّنا ﴿أَبْصَرْنَا﴾ صدقَ وعدِك.

﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديقَ رسلك، تقديره: لو رأيت حالهم، لرأيت العجب.

﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ فيها.

﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ هنا بما أنكرنا ثَمَّ.

* * *

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ رشدَها إلى الإيمان، وأجبرناها عليه.

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ﴾ أي: ثبت ﴿ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ بالوعيد، وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ أي: الشياطين ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وهو قوله لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥].

* * *

﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ثم يقال: ﴿فَذُوقُواْ﴾ هذا الذي أنتم فيه؛ من التنكيس والخزي.

﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾ بسبب نسيانكم ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ وهو يوم القيامة، واشتغالكم بملذاتكم عن الاعتداد له ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تركناكم.

﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الدائم في جهنم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

***

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ثم أثنى ـ عز وجل ـ على المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وعظوا ﴿بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ سقطوا على وجوههم ساجدين خوفاً منه.

﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ نزهوا الله عما لا يليق به، حامدين له على ما وفقهم.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ على الإيمان به، والسجود له، وهذا محل سجود بالاتفاق، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في حكم سجود التلاوة وسجود الشكر ملخصاً عند سجدة مريم، ويُسن عند الشافعي وأحمد أن يقرأ في فجر الجمعة في الركعة الأولى: ﴿الٓمٓ﴾ السجدة، وفي الثانية ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان] وكره أحمد المداومة عليهما؛ لئلا يُظن أنها مفضلة

بسجدة، وعند أبي حنيفة ومالك: لا يسن، بل كره أبو حنيفة تعيين سورة غير الفاتحة بشيء من الصلوات؛ لما فيه من هجران الباقي، وكره مالك قراءة السجدة في صلاة الفرض جهراً أو سراً، فإن قرأ، هل يسجد؟ فيه قولان.

* * *

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ ترتفع ﴿ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ جمع مضجع، وهو الفِراش، وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون للصلاة.

وقال ابن رواحة يمدح النبي ﷺ:

وَفِينا رسولُ الله يَتْلو كتابَهُ   إذا انشقَّ معروفٌ من الفجرِ ساطعُ
أرانا الهدى بعدَ العمى فقلوبُنا   بـه موقِناتٌ أَنَّ ما قالَ واقعُ
يبيتُ يُجافي جَنْبَهُ عن فِراشِهِ   إذا استثقلَتْ بالكافرينَ المضاجِعُ(١)

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا ﴾ من النار ﴿ وَطَمَعًا ﴾ في الجنة.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ يتصدقون تطوعاً.

* * *

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ لا مَلَكٌ مقرَّب، ولا نبي مرسَل.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٩٩)، كتاب: الأدب، باب: هجاء المشركين، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ مَآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾ هو ما تقر به أعينهم. قرأ حمزة، ويعقوب: (أُخْفِي) بسكون الياء معلوماً مستقبلاً؛ أي: أخفي أنا، وقرأ الباقون: بفتحها مجهولاً على بناء الفعل للمفعول(١).

﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ من الخير.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بَلْهَ ما اطلعتم عليه»(٢)، و(بَلْهَ)؛ أي: غيرَ.

* * *

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ ﴾.

[١٨] ولما وقع تنازع بين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وبين الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخي عثمان لأمه، فقال الوليد: لعلي: اسكت، فإنك صبي، فقال له علي: «اسكت؛ فإنك فاسق»، نزل قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴾(٣) عند الله، أفرد مؤمناً وفاسقاً حملاً على لفظ (مَنْ) وجمع (لا يَسْتَوُونَ) حملاً على معناها؛

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٢٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠١).

(٢) رواه البخاري (٤٥٠٢)، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾، ومسلم (٢٨٢٤)، في أول كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٠٧)، عن عطاء، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠١-٢٠٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

لأنها للعموم؛ لأنه لم يرد مؤمناً واحداً وفاسقاً واحداً، بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين.

* * *

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ثم بين التفاوتَ بينهما فقال: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ ﴾ استحقاقاً تكرماً منه تعالى ﴿جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ التي يأوي إليها المؤمنون.

﴿ نُزُلًۢا﴾ جزاءً وثواباً ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ بسبب أعمالهم.

* * *

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ عبارة عن خلودهم فيها ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ إهانة لهم، وزيادة في غيظهم، قال هنا: (الَّذي) أراد: العذاب، وفي سبأ (الَّتي) أراد: النار.

* * *

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي: الأقرب عذاب الدنيا من

القتل والأسر والمحن ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة؛ أي: نذيقهم العذاب هنا قبل العذاب.

ثم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ يتوبون.

* * *

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ فلم يتفكروا فيها، و(ثُمَّ) لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها.

﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أجمعين ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ وظاهر الإجرام هنا: أنه الكفر، وروى معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ: أنه قال: «ثلاث من فعلهن فقد أجرم: من عقدَ لواءً في غير حق، ومن عَقَّ والديه، ومن نصر ظالماً»(١).

* * *

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ أي: شك ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أي: من لقاء موسى ليلة الإسراء، قاله ابن عباس وغيره ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: المنزَل على موسى، وهو التوراة ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ روي أن

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٦١). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٥٥٥).

التوراة إنما جعلت هدى لبني إسرائيل خاصة دون بني إسماعيل.

* * *

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل ﴿أَيِمَّةً﴾ قادة في الخير يُقتدى بهم؛ يعني: الأنبياء الذين كانوا فيهم. واختلاف القراء في (أَئِمَّةً) كاختلافهم فيه في الحرف المتقدم في سورة الأنبياء [الآية: ٧٣] ﴿يَهْدُونَ﴾ يدعون إلى الطاعة ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ قرأ حمزة، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (لِمَا) بكسر اللام وتخفيف الميم؛ أي: بصبرهم، وقرأ الباقون: بفتح اللام وتشديد الميم[١]؛ أي: حين صبروا على دينهم، وعلى البلاء من عدوهم.

﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ إمعانهم فيها النظر.

* * *

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ يقضي بين الأنبياء وأممهم.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠٤).

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يُبيِّنْ ﴿لَهُمْ﴾ أي: لأهل مكة. قرأ زيد عن يعقوب: (نَهْدِ) بالنون، والباقون: بالياء[1]، فالفاعل على القراءتين مضمر؛ أي: الله.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ أي: الأمم؛ كعاد وثمود ﴿يَمْشُونَ﴾ أهل مكة ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ يمرون على ديارهم في متاجرهم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ المواعظَ فيتعظون؟!

***

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أي: اليابسة المعدومة النبات. واختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (الْمَاءَ إِلَى) كاختلافهم فيهما من قوله: (أَوْلِيَاءَ إِنَّا) في سورة الكهف [الآية: ١٠٢]، المعنى: ألم يستدلوا على قدرتنا بسوقنا المطر إلى الأرض التي لا نبات فيها؟! قال ابن عباس: «هي أرض باليمن»[2].

---

(١) انظر: «القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٢٧).

﴿فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ﴾ كالتبن ﴿وَأَنفُسُهُمۡۚ﴾ كالحبوب والفواكه.

﴿أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾ ذلك فيؤمنون؟!

* * *

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٨﴾.

[٢٨] ولما قال الكافرون للمؤمنين استهزاء: متى الساعة فيقضي بيننا وبينكم؟! نزل: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ﴾[١] أي: القضاء والحكم.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في الوعد.

* * *

﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٢٩﴾.

[٢٩] ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ﴾ وهو يوم القيامة.

﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ أي: يُمْهَلون؛ فإنه يوم نصر للمسلمين على الكفرة، والفصل بينهم.

* * *

﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ٣٠﴾.

[٣٠] ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ يا محمد، وهو منسوخ بآية السيف.

﴿وَٱنتَظِرۡ﴾ وعدي بنصرك ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ هلاكك.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ١١٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٥٥٧).

عن جابر - رضي الله عنه -، قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ: ﴿تَبَارَكَ﴾، و﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾(١)، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الترمذي في (٢٨٩٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة الملك، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٥٤٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٤٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٧)، وغيرهم.

سُورَةُ الأَحْزَابِ

مدنية، وآيها: ثلاث وسبعون آية، وحروفها: خمسة آلاف وسبع مئة وستة وتسعون حرفاً، وكلمها ألف ومئتان وثمانون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١)﴾.

[١] رُوي أن أبا سفيان بن حرب، وعِكْرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور بنَ سفيان السلمي قدموا المدينة، فنزلوا على عبد الله بن أُبي رأس المنافقين بعد قتال أُحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وطُعمة بن أُبيرق، ومعتب بن قُشير، وجَدُّ بن قيس، فقالوا للنبي ﷺ، وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة، وقل: إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربَّكَ، فشق على النبي ﷺ قولُهم، فقال عمر: يا رسول الله! ائذن لي في قتلهم، فقال: «إني قد أعطيتُهم الأمانَ»، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي ﷺ عمرَ أن يخرجهم من المدينة، فأنزل الله

تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾[1]، ولم يقل: يا محمد؛ كـ: يا آدم، ويا موسى، ويا عيسى؛ تشريفاً له، وأما تصريحه باسمه في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] فللإعلام أنه كذلك، وللتنبيه على اتباعه. قرأ نافع: (النَّبِيء) و(النَّبِيئُونَ) و(النَّبِيئِينَ) و(نَبِيئُهُمْ) و(الأَنْبِئاء) و(النُّبُوءة) بالمد والهمز حيث وقع، فيكون معناه: المخبر؛ من أنبأ ينبىء؛ لأنه إنباء عن الله، وخالفه قالون في حرفين من هذه السورة يأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى، وقرأ الباقون: بترك الهمزة وتشديد الياء[2]، وله وجهان: أحدهما: هو أيضاً من الإنباء، تركت الهمزة فيه تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمال، والثاني: هو بمعنى الرفع، مأخوذ من النبوَة، وهو المكان المرتفع.

﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ دُمْ على التقوى.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ من أهل مكة؛ يعني: أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور.

﴿وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ من أهل المدينة: عبد الله بن أُبي، وعبد الله بن سعد، وطعمة، فيما يخالف شريعتك، ويعود بوهن في الدين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يخلق، وهذا تسلية للنبي ﷺ؛ أي: لا عليك منهم، ولا من إيمانهم، فالله عليم بما ينبغي لك، حكيم في هدى من يشاء، وإضلال من يشاء.

* * *

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٢-٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠٩).

﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ ﴾ من القرآن ﴿ مِن رَّبِّكَۚ ﴾ واعمل به.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ قرأ أبو عمرو: (يَعْمَلُون) بالغيب، يعني: الكفرة والمنافقين؛ أي: إن الله خبير بمكائدهم، فيدفعها عنك، وقرأ الباقون: بالخطاب(١)، وقوله: (كان) في هاتين الآيتين هي التي تقتضي الدوام(٢)؛ أي: كان ويكون(٣)، وليست الدالة على زمان مخصوص للمضي.

* * *

﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ ثِقْ به ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ حافظاً ورازقاً لك، والوكيل: القائم بالأمر، المغني فيه عن كل شيء.

* * *

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ولما قال الكفار: إن لمحمد قلبين: قلب معنا، وقلب مع أصحابه، نزل:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٨ـ٥١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠٩).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٢).

(٣) «أي: كان ويكون» زيادة من «ت».

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ وقيل: نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري، وكان لبيباً حافظاً، وكان يقول: إن لي قلبين، أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ﷺ، فانهزم مع المشركين ببدر، وإحدى نعليه بيده، والأخرى في رجله، فقيل له في ذلك، فقال: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان، ما نسي نعله في يده(١).

﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي ﴾ جمع التي. قرأ أبو عمرو، والبزي عن ابن كثير: (اللاَّيْ) بياء ساكنة بدلاً من الهمزة في الحالين، وروي عنهما تسهيل الهمزة بين بين، والوجهان صحيحان، وقرأ أبو جعفر، وورش عن نافع: بتسهيل الهمزة كذلك، وقرأ قالون عن نافع، وقنبل عن ابن كثير، ويعقوب: بتحقيق الهمزة، وحذف الياء بعدها؛ لأن الهمزة المكسورة بدل الياء، وقرأ الكوفيون، وابن عامر: بإثبات الياء ساكنة بعد الهمزة، وكلها لغات معروفة(٢)، وكذلك التعليل والاختلاف في (المجادلة)، وموضعَي (الطلاق).

﴿ تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ قرأ عاصم: (تُظَاهِرُونَ) بضم التاء وتخفيف الظاء، وألف بعدها، وكسر الهاء مع تخفيفها؛ كـ(تقاتلون)، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: كذلك، إلا أنهم بفتح الياء والهاء، أصله:

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧ـ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠٩ـ١١٠).

تتظاهرون، حذفت إحدى التاءين، وقرأ ابن عامر: كذلك، إلا أنه بتشديد الظاء على إدغام إحدى التاءين في الظاء، وقرأ الباقون، وهم: نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو[1]، ويعقوب: (تَظَّهَّرُونَ) بفتح التاء وتشديد الظاء والهاء وفتحها من غير ألف بينهما، أصله: تتظهرون، وأدغمت التاء في الظاء، فشددت[2].

وصورة الظهار: أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي؛ أي: حرام كبطن أمي؛ لقربه من الفرج، وكنِّي عنه بالظهر؛ لأنه قوام البنية، المعنى: ما جعل نساءكم اللاتي تقولون لهم هذا في التحريم كأمهاتكم، ولكنه منكر وزور، وفيه كفارة، وسيأتي الكلام على ذلك، وعلى الكفارة فيه، واختلاف الأئمة في حكمه في (سورة المجادلة) إن شاء الله تعالى.

وكان الرجل في الجاهلية يتبنى ولد غيره، فينسب إليه، ويتوارثان، وكان النبي ﷺ قد أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وتبناه قبل الوحي، وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة، قال المنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه، وهو ينهى الناس عن ذلك.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ﴾[3] من تبنيتموه ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾ حقيقة

---

(١) «وأبو عمرو» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١١٠ـ ١١١).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٢).

في الحكم والحرمة والنسب، ونُسخ التبني بهذا، والأدعياء: جمع دَعِيّ، وهو من دُعي إلى غير أبيه، تلخيصه: ممتنع أن يكون لرجل قلبان، وأن تكون زوجة الرجل أمه، وأن يكون شخص واحد ابن رجلين، إنما.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ النسب ﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ لا حقيقة له.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ وهو أن غير الابن لا يكون ابناً.

﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ الطريق المستقيم.

***

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥)﴾.

[٥] وكان زيد يدعى بابن محمد ﷺ، فنزل: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾(١) الذين ولدوهم.

﴿هُوَ﴾ أي: دعاؤهم بآبائهم ﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾ فتنسبوهم إليهم، ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ أولياؤكم، المعنى: إذا جهل نسبه، يقول: يا أخي! يا مولاي! يريد: الأخوة في الدين، والولاية فيه.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ والخطأ هنا بمعنى: النسيان.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٠٤)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾، ومسلم (٢٤٢٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ﴾ أي: لا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم: يا بني! سهواً، وقيل: خطؤهم: التسمية قبل النهي، قال ابن عطية: وهذا ضعيف، لا يوصف ذلك بخطأ إلا بعد النهي، وإنما الخطأ هنا بمعنى النسيان، وما يكون مقابل العمد، والخطأ مرفوع عن هذه الأمة عقابه، وقد قال ﷺ: «رُفع عن أمتي الخطأُ والنسيان وما أُكرهوا عليه»(١).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يريد: لما مضى من فعلهم في ذلك، ثم هي صفتان لله تعالى تطَّرِد في كل شيء.

***

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ﴾ في كل شيء من أمر الدين والدنيا، فيحكم فيهم بما يشاء. قرأ نافع: (النَّبِيءُ أَوْلَى) بالمد والهمز في (النَّبيء)، وإبدال الهمز الثاني واواً محضة مفتوحة(٢).

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ أي: كأمهاتكم في وجوب تعظيمهن، وتحريم

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٤٥)، كتاب: الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٠١)، وغيرهم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٦٩).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١١٢).

نكاحهن، لا في النظر إليهن، والخلوة بهن؛ فإنه حرام في حقهن؛ كما في حق الأجانب، ولا يقال لبناتهن: أخوات المؤمنين، ولا لإخوانهن وأخواتهن: هم أخوال المؤمنين وخالاتهم، قالت عائشة: «لستُ بأم نسائِكم، وإنما أنا أم رجالكم»[1]، فبان بهذا أن معنى هذه الأمومة تحريم نكاحهن.

﴿وَأُولُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾ وذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في التوارث.

﴿فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوح المحفوظ.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ يعني: ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرثوا بالإيمان والهجرة، وكان في صدر الإسلام يتوارثون بالهجرة والمؤاخاة، فنسخ بهذه الآية، وصارت بالقرابة، وتقدم حكم ميراث ذوي الأرحام واختلاف الأئمة فيه آخر سورة الأنفال.

﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن فعلكم ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم﴾ الذين يتولونكم من المعاقدين ﴿مَّعْرُوفًا﴾ بالوصية جائزٌ.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ يعني: نسخ الميراث بالهجرة، ورده إلى ذوي الأرحام.

﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوباً.

* * *

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٠٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٠).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾.

[٧] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ حين استُلُّوا من نسل[١] آدم مثل الذر ﴿مِيثَـٰقَهُمْ﴾ عهودهم بتبليغ الرسالة، وأن يصدق بعضهم بعضاً، وخُصَّ محمد مع جماعة منهم بالذكر[٢]؛ لأنهم أصل الشرائع صلوات الله عليهم أجمعين، وكان محمد ﷺ أول الأنبياء في الخلق، وآخرهم في البعث، فلذلك قدم هنا تشريفاً له، فقال:

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فهؤلاء هم أولو العزم من الرسل.

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ عظيم الشأن على الوفاء بما حملوا.

* * *

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾.

[٨] ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ أي: فعلنا ذلك ليسأل الله الأنبياء الذين صدقوا عن الوفاء بميثاقهم في إبلاغ الرسالة، والحكمة في سؤالهم، مع علمه أنهم صادقون، تبكيتُ من أُرسلوا إليهم، وإثبات الحجة عليهم، ويعطف على ﴿أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

﴿وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ بالرسل ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ المعنى: أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه؛ لأجل إثابة المؤمنين، وأعد للكافرين عذاباً أليماً.

---

(١) في «ت»: «ظهر».

(٢) «بالذكر» زيادة من «ت».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ ﴾ .

[٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ يوم الخندق.

﴿ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ ﴾ هم الأحزاب، وكان ذلك في شوال من السنة الخامسة من الهجرة، وسببها أن نفراً من اليهود حَزَّبوا الأحزابَ على رسول الله ﷺ، وقدموا على قريش بمكة يدعونهم إلى حربه؛ لأن رسول الله ﷺ أجلى بني النضير من ديارهم، فلما علم رسول الله ﷺ بذلك(١)، أمر بحفر الخندق حول المدينة برأي سلمان الفارسي يحول بين المؤمنين(٢) والكفار، وعمل فيه بنفسه، وفرغ من الخندق، وأقبلت قريش ومن تبعهم من بني قريظة، مقدَّمُهم أبو سفيان، وكانوا عشرة آلاف نزلوا قريباً من الغابة، والنبي ﷺ في ثلاثة آلاف، واشتد البلاء حتى ظن المؤمنون كل الظن، وأقام رسول الله ﷺ والمشركون بضعاً وعشرين ليلة، لم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالحصا والنبال.

﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا ﴾ ليلاً، وهي الصبا، فأطفأت النيران، وأكفأت القدور، قال ﷺ: «نُصِرْت بالصَّبا، وأُهلكت عاد بالدَّبور»(٣).

---

(١) في «ت»: «فلما بلغ النبي ﷺ ذلك».

(٢) في «ت»: «المسلمين».

(٣) رواه البخاري (٩٨٨)، كتاب: الاستسقاء، باب: قول النبي ﷺ: «نصرت بالصبا»، ومسلم (٩٠٠)، كتاب: صلاة العيدين، باب: في ريح الصبا والدبور، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ هم ألف ملك، فكبرت في جوانب العسكر، وقلعت الأوتاد وأطناب الفساطيط، ولم تقاتل يومئذ، وماجت الخيل بعض في بعض، وقذف الرعب في قلوبهم، فقال طليحة بن خويلد الأسدي: النجاءَ النجاءَ من سحر محمد، فارتحلوا ليلاً منهزمين بغير قتال، وانقلبوا خاسرين، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «الآن نغزوهم ولا يغزونا»[1]، فكان ذلك حتى فتح مكة.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ قرأ أبو عمرو: (يَعْمَلُونَ) بالغيب؛ أي: بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة، وقرأ الباقون: بالخطاب[2]؛ أي: بما تعملون من حفر الخندق.

***

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ (١٠) ﴾.

[١٠] ﴿ إِذْ جَآءُوكُم ﴾ بدل من (إِذْ جَاءَتْكُمْ) ﴿ مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ من أعلى الوادي من قبل المشرق: بنو غطفان ﴿ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ من بطن الوادي من قبل المغرب: قريش.

﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ مالت حيرة وشخوصاً من الرعب.

﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ جمع حنجرة، وهي منتهى الحلقوم.

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٣)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق، عن سليمان بن صرد ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠٩).

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ أي: اختلف الظنون، فظن المؤمنون النصر لهم، وظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (الظُّنُونَا هُنَالِكَ)، و(الرَّسُولاَ وَقَالُوا)، و(السَّبِيلاَ رَبَّنَا) بألف في الثلاثة وصلاً ووقفاً؛ لأنها مثبتة في المصاحف، وقرأ أبو عمرو، وحمزة، ويعقوب: بغير ألف في الحالين على الأصل، وقرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: بألف في الوقف دون الوصل، واتفقت المصاحف على رسم الألف في الثلاثة دون سائر الفواصل[1].

* * *

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: ثَمَّ ﴿ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا بالحصر والقتال؛ ليتبين المخلص من المنافق ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ حُرِّكوا حركة شديدة من شدة الفزع.

* * *

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ معتب بن قشير وأصحابه.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٨ـ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٣ـ١١٤).

﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك وضعف اعتقاد: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ وعداً باطلاً، وهو قول أهل النفاق: يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس، وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، هذا والله الغرور.

* * *

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: من المنافقين، وهم أوس بن قيظي وأصحابه: ﴿يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ اسم أرض، والمدينةُ في ناحية منها.

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (مُقَامَ) بضم الميم؛ أي: لا إقامة لكم. وقرأ الباقون: بالفتح[1]؛ أي: لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه.

﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ أمروهم بالهروب من عسكر رسول الله ﷺ.

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ هم بنو سلمة وبنو حارثة.

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي: خالية ضائعة غير حصينة، وهي مما تلي العدو، ويخشى عليها السراق، فكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ بل هي حصينة.

﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ من القتال.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١١٤).

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم ﴾ أي: المدينة ﴿ مِّنْ أَقْطَارِهَا ﴾ نواحيها، المعنى: لو دخل الأحزاب المدينة من جوانبها.

﴿ ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ ﴾ الردة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين.

﴿ لَءَاتَوْهَا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: (لأَتَوْهَا) بقصر الهمزة؛ أي: لجاؤوها وقبلوها، وقرأ الباقون: بالمد[١]؛ أي: لأعطوها السائلين.

﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ ﴾ أي: ما احتبسوا عن الفتنة ﴿ إِلَّا يَسِيرًا ﴾ ولأسرعوا الإجابة إلى الشرك طيبةً به أنفسُهم، وقيل: وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد إلا قليلاً حتى هلكوا.

وحَدُّ حرم المدينة: ما بين ثَوْر إلى عَيْر، وهما جبلان، فثور جبل صغير إلى الحمرة بتدوير خلف أُحد من جهة الشمال، وغير مشهور بها، وقدر الحرم: بريد ببريد، وقد ورد في الحديث: «اللهم إني أُحَرِّمُ ما بين لابَتَيْها»[٢]، وفي رواية: «ما بينَ جَبَلَيها»[٣]، وفي رواية: «ما بين

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١١٦).

(٢) رواه البخاري (٥١٠٩)، كتاب: الأطعمة، باب: الحيس، ومسلم (١٣٦٥) (٢/ ٩٩٣)، كتاب: الحج، باب: فضل المدينة، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه مسلم (١٣٧٤)، كتاب: الحج، باب: الترغيب في سكنى المدينة، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

مَأْزِمَيْها»[1]، ولابتا المدينة: هما الحرَتَّان الشرقية والغربية، والحرة هي: الأرض ذات الحجارة السود، ورواية «ما بين لابتيها» أرجح؛ لتوارد الرواة عليها، ورواية «جبليها» لا تنافيها، فيكون عند كل لابة جبل، فما بين لابتيها بيان لحد حرمها من جهتي المشرق والمغرب، وما بين جبليها بيان لحده من جهتي الجنوب والشمال، وأما رواية «مَأْزِمِيها»، فالمأزم: المضيق بين الجبلين، وقد يطلق على الجبل نفسه، وهذا يدل على أن صيدها وشجرها محرم، وهو قول الثلاثة؛ خلافاً لأبي حنيفة، ولا جزاء فيه بالاتفاق، والله أعلم، وتقدم ذكر حدود الأرض المقدسة في المائدة، وحرم مكة في التوبة.

* * *

﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ هم بنو حارثة، هموا يوم أُحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل، عاهدوا الله من قبل حفر الخندق.

﴿ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ ﴾ منهزمين، فوقع يوم الخندق من بني حارثة هذا الاستئذان.

﴿ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾ عنه، وهذا توعُّد.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣٢)، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل الخدمة في الغزو، ومسلم (١٣٦٥) (٢/ ٩٩٣)، كتاب: الحج، باب: فضل المدينة، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ قُل ﴾ لهم : ﴿ لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ ﴾ لأن من حضر أجلُه ، مات أو قتل ﴿ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ ﴾ بعد هذا الفرار .

﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي : إلا مدة آجالكم ، وهي قليل .

* * *

﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي : يمنعكم منه .

﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا ﴾ هزيمة ﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ نصرة .

﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا ﴾ قريباً ينفعهم .

﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ ناصراً يمنعهم .

* * *

﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ أي : المثبطين الناسَ عن رسول الله ﷺ .

﴿ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ أي : أقبلوا إلينا ، ودعوا محمداً وأصحابه ، نزلت في أخوين كان أحدهما مؤمناً ، والآخر منافقاً ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ ﴾ لا يحضرون الحرب ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ رياء من غير احتساب .

﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ بُخلاءَ بالنفقة في سبيل الله ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ في تلك الحالة.

﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ في الرؤوس؛ من الخوف والجبن.

﴿ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ لأن من قرب من الموت، وغشيه أسبابه، يذهب عقله، ويشخص بصره فلا يَطْرِف.

﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم ﴾ آذوكم ﴿ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ سليطة.

﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ أي: عند الغنيمة يشاحون المؤمنين، ويقولون: أعطونا؛ فإنا شهدنا معكم القتال، فلستم أحقَّ بالغنيمة منا، وعند البأس هم أجبن قوم.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ صدقاً ﴿ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أبطل جهادهم؛ لنفاقهم.

﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الإحباط ﴿ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ هيناً.

* * *

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ يَحْسَبُونَ ﴾ أي: المنافقون ﴿ ٱلْأَحْزَابَ ﴾ الطوائفَ المختلفة.

﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ عن قتالهم جبناً وفرقاً.

﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ كرة ثانية ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ يتمنوا لو كانوا في بادية مع الأعراب؛ من الخوف والجبن.

﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (يَسَّاءَلُونَ) بتشديد السين وفتحها وألف بعدها؛ أي: يتساءلون، وقرأ الباقون: بإسكانها من غير ألف(١) ﴿عَنْ أَنبَآئِكُمْ﴾ يتعرفون أحوالكم.

﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ يعني: هؤلاء المنافقين ﴿فِيكُم﴾ في الخندق.

﴿مَّا قَـٰتَلُوٓا إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياءً؛ رمياً بالحجارة والنبال يقيمون به عذرهم.

***

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ أيها المخلفون ﴿فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قدوة صالحة؛ لأنه يقتدى به. قرأ عاصم: (أُسْوَةٌ) بضم الهمزة، والباقون: بكسرها، وهما لغتان(٢).

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ﴾ أي: ثوابه ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ ونعيم الآخرة.

﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في جميع أوقاته وأحواله.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٥٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١١٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١١٨).

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ ﴾ واجتماعهم عليهم، ثم رأوا زلزلتهم وخوفهم ورحيلهم منهزمين. واختلاف القراء في (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ) كاختلافهم في (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ) في سورة (الكهف) [الآية: ٥٣] ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ من النصر، وهو قوله تعالى في البقرة: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [الآية: ٢٤١]، فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثلُ ذلك البلاء، فلما رأوا ما أصاب الأحزابَ من الشدة، قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله.

﴿ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ ﴾ الخوف عند مجيء الأحزاب.

﴿ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ لأمر الله.

* * *

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ﴾ من الثبات مع رسول الله ﷺ.

﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾ نَذْرَه[1]؛ بأن قاتل حتى استُشهد؛ كحمزة، ومصعب بن عمير، وأنس بن النضر، والنحب: النذر، واستعير للموت،

(١) «نذره» زيادة من «ت».

وهو من النفس، قيل: ومنه النحيب؛ لما فيه من التنفس.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ الشهادةَ؛ كعثمان وطلحة، قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ أن ينظرَ إلى رجل يمشي على وجه الأرض قد قضى نحبَهُ، فلينظُرْ إلى هذا» يشير إلى طلحة[1]؛ لأنه وقى النبي ﷺ بيده، فصارت شلاء.

﴿وَمَا بَدَّلُوا﴾ عهدهم[2] ﴿تَبْدِيلًا﴾ شيئاً من التبديل.

***

﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤)﴾.

[٢٤] ثم ذكر تعالى جزاء الفريقين فقال: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ بجزاء وفائهم بالعهد، واللام في (لِيَجْزِيَ) لام الصيرورة والعاقبة، ويحتمل أن تكون لام كي.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بأن يدعهم على النفاق ﴿إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فيهديهم إلى الإيمان. واختلاف القراء في الهمزتين من (إِنْ شَاءَ أَوْ) كاختلافهم فيهما من قوله ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

***

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٨٩٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٣٨٢)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦٩/٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨٨/١)، وغيرهم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) «عهدهم» زيادة من «ت».

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من قريش وغطفان ﴿ بِغَيْظِهِمْ ﴾ لم تُشف صدورُهم بنيل ما أرادوا ﴿ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ ﴾ ظفراً ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ ﴾ بالملائكة والريح.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا ﴾ يقهر أعداءه ﴿ عَزِيزًا ﴾ ينصر أولياءه.

***

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ثم بعد ذهاب الأحزاب إلى بلادهم، رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بأصحابه، فجاءه جبريل ـ عليه السلام ـ، وقال: «وضعتم السلاح؟ إن الملائكة لم تضع أسلحتها منذ أربعين ليلة، إن الله يأمرك بالمسير إلى قريظة، وإني مزلزلٌ حصونَهم»، فأمر رسول الله ﷺ منادياً، فأذن: «أن من كان سامعاً مطيعاً، فلا يصلينَّ العصرَ إلا في بني قريظة»، وأعطى رايته علياً، فسار بالناس حتى دنا من الحصن، فحاصرهم ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، فقالوا لأبي لبابة: أننزل على حكم محمد؟ فقال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، وتقدم خبر أبي لبابة في سورة الأنفال، فطلب بنو قريظة من النبي ﷺ أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأرسل رسول الله ﷺ في طلبه، فجاء راكبَ حمارٍ، وكان رجلاً جسيماً، فقال ﷺ: «قوموا إلى سيدكم»، فأنزلوه، فنزل، فقالوا: يا أبا عمرو! إن

رسول الله ﷺ قد ولاك مواليك لتحكم فيهم، فقال لمواليه: «عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيها ما حكمت؟» قالوا: نعم، قال: «وعلى من هاهنا؟» في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فقال: «أحكمُ فيهم أن يُقتل الرجال، وتُقسم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء»، فكبر النبي ﷺ، وقال: «لقد حكمتَ بحكم الله من فوق سبعةِ أرقعةٍ»، فاسْتُنْزِلوا، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وحبسهم في دار بنت الحارث: امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، فحفر به خندقاً، وضُربت أعناقُهم فيه، وكانوا ستَّ مئة، أو سبع مئة، وقيل: كانوا بين الثمان مئة إلى التسع مئة، ثم قسم الأموال والسبايا، واصطفى لنفسه ﷺ ريحانة بنت شمعون، فكانت في ملكه حتى مات، ولم يستشهد في هذه الغزوة سوى خلاد بن زيد بن ثعلبة، دلت عليه امرأةٌ من بني قريظة رحًى شدخت رأسه، فقال ﷺ: «له أجرُ شهيدين»، وقتلها به(١).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلا الله وحدَه، أعزَّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزابَ وحده، ولا شيء بعده»(٢)، وكانت هذه الغزوة في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة الشريفة، فأنزل الله تعالى في قصة بني قريظة:

---

(١) هذا السياق كله في «سيرة ابن هشام» (٤/ ١٩٩) وما بعدها. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ١٠٣).

(٢) رواه البخاري (٣٨٨٨)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق، ومسلم (٢٧٢٤)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: أعانوهم؛ يعني: الأحزاب ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ حصونهم، وكل ما يُمتنع به أو فيه صيصية. قرأ يعقوب: (صَيَاصِيهُمْ) بضم الهاء، وابن كثير، وأبو جعفر: يضمان الميم، ويصلانها بواو في اللفظ حالة الوصل، واختلف عن قالون[1].

﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ﴾ يعني: بني قريظة ﴿ٱلرُّعْبَ﴾ قرأ ابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب: (الرُّعُبَ) بضم العين، والباقون: بإسكانها[2].

﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ منهم، وهم الرجال.

﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ منهم، وهم النساء والذراري.

* * *

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ﴾ هي كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. قرأ أبو جعفر: (تَطَوْها) بإسكان الواو بغير همز، والباقون: بالهمز[3].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾.

---

(١) سلفت عند تفسير الآية (٦) من سورة البقرة.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٠).

(٣) نظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] كان للنبي ﷺ تسع نسوة، فآذينه، وسألنه زيادة نفقة، وتغايرن، فغمَّه ذلك، فصعد إلى غرفة له، فمكث فيها ولم يخرج إلى أصحابه، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾(١) أمر وجوب في تخييرهن، وهو من خصائصه ﷺ ﴿ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ ﴾ أي: أجبن إلى ما أعرضُ عليكن، ولم يرد حقيقة الإقبال والمجيء ﴿ أُمَتِّعْكُنَّ ﴾ أعطيكنَّ متعة الطلاق ﴿ وَأُسَرِّحْكُنَّ ﴾ أصل التسريح: الإرسال؛ كالطلاق.

وتقدم اختلاف الأئمة فيه في سورة البقرة، وملخصه: أن صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية عند مالك والشافعي ثلاثة: الطلاق، والفراق، والسَّراح، وعند أبي حنيفة وأحمد: هو لفظ الطلاق ﴿ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ طلاقاً للسنة.

واتفق الأئمة على أن السنة في الطلاق أن يطلقها واحدة في طُهر لم يصبها فيه، ثم يدعها حتى تنقضي عدتها، وإن طلق المدخول بها في حيضها أو طهر أصابها فيها، وهي ممن تحبل، فهو طلاق بدعة محرم، ويقع بالاتفاق، وجَمْعُ الثلاث بدعة عند أبي حنيفة ومالك، وقال أحمد: هو محرم؛ خلافاً للشافعي، ويقع بلا خلاف بينهم.

* * *

---

(١) رواه مسلم (١٤٧٨)، كتاب: الطلاق، باب: بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ و(مِنْ) للتبيين[١]؛ لأنهن كلهن كنَّ محسنات، فأخبر بذلك عائشة ـ رضي الله عنها ـ، فاختارت رسول الله، ثم اختارت الباقياتُ الصالحاتُ اختيارها.

واختلف الأئمة فيما إذا قال الزوج لامرأته: اختاري نفسك، فاختارت، فقال أبو حنيفة: تطلق واحدة بائنة، وقال مالك: إذا أطلق التخيير، ولم يقيده بعدد مخصوص، فإنها تطلق ثلاثاً، وقال الشافعي وأحمد: تطلق واحدة يملك فيها الرجعة، وإذا قامت من مجلسها قبل أن تختار نفسها، انقطع التخيير باتفاقهم.

واختلفوا فيما إذا قال: أمرُك بيدك، فقال أبو حنيفة: إذا قال: أمرك بيدك في تطليقة، فاختارت نفسها، يقع طلقة رجعية، وإن نوى الثلاث، صح، فلو قالت: اخترت واحدة، فهي ثلاث، وهو كالتخيير يتوقف على المجلس، قال مالك: إن طلقت نفسها ثلاثاً، فناكرها، وذكر أنه قصد بالتمليك طلقة واحدة، فقوله مع يمينه، وإن لم يكن له نية، فلها أن توقع ما شاءت من عدد الطلاق، ولا مناكرة له عليها، فإن مكنته من نفسها، فوطئها أو باشرها، سقط تمليكها، ولها أن تمنع نفسها لتنظر في أمرها، فإذا أبطأت على زوجها، ومنعته نفسها، ولم توقع طلاقاً، كان له

---

(١) «للتبيين» زيادة من «ت».

مخاصمتها إلى الحاكم، فيوقفها الحاكم ويأمرها أن توقع الطلاق، أو تسقط التمليك، فإن أبت الأمرين، أسقط الحاكم تمليكها، وقال الشافعي: له تفويض طلاقها إليها، وهو تمليك في الجديد، فيشترط لوقوعه تطليقها على الفور، وفي قول عنه: توكيل، فلا يشترط الفور، وعلى القولين له الرجوع قبل تطليقها، ولو قال: طلقي، ونوى ثلاثاً، فقالت: طلقت، ونوتهن، فثلاث، وإلا، فواحدة، ولو قال: ثلاثاً، فوحدت، أو عكسه، فواحدة، وقال أحمد: إذا قال: أمرك بيدك، فلها أن تطلق ثلاثاً، وإن نوى واحدة، وهو في يدها أبداً ما لم يقل: فسختُ، أو يطأها، فيبطل بذلك، والله أعلم.

* * *

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ﴾ معصيةٍ ظاهرةٍ؛ من نشوز، وسوء خلق. قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: (مُبَيَّنَةٍ) بفتح الياء، والباقون: بكسرها(١).

﴿ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر: (نُضَعِّفْ) بالنون وتشديد العين وكسرها من غير ألف قبلها، ونصب (العذابَ)، وقرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُضَعَّفْ) بالياء وتشديد العين وفتحها

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢١).

من غير ألف قبلها، ورفع (العذابُ)، وقرأ الباقون: كذلك، إلا أنهم بتخفيف العين وألف قبلها، وهما لغتان مثل: بَعَّدَ وباعَدَ[1].

﴿ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ مثلين ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: عذابُها ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ هيناً، وتضعيف عقوبتهن على المعصية؛ لشرفهن؛ كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة، وتضعيف ثوابهن؛ لترفع منزلتهن، وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين.

***

﴿۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١﴾.

[٣١] ﴿۞ وَمَن يَقۡنُتۡ﴾ يطع ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قرأ يعقوب: (مَنْ تَأْتِ مِنْكُنَّ) (وَمَنْ تَقْنُتْ) بالتاء على التأنيث فيهما، وقرأ الباقون: بالياء على التذكير[2]؛ لأن (مَنْ) أداة تقوم مقام الاسم، يعبر به عن الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث.

﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ﴾ نعطِها ﴿أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾ أي: مثلَي أجر غيرها. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَيَعْمَلْ) (يُؤْتِهَا) بالياء فيهما نسقاً على

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢١_١٢٢).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٦٠)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢١_١٢٢)، والقراءة المشهورة عن يعقوب كقراءة الجمهور.

قوله: (مَنْ يَأْتِ) و(يَقْنُتْ)، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث في الأول، وبالنون في الثاني[1].

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ واسعاً في الجنة.

***

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: ليس قدرُكن عندي مثلَ قدرِ غيرِكن من النساء الصالحات، أنتن أكرمُ عليَّ، وثوابكن أعظمُ لديَّ، ولم يقل: كواحدة؛ لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين، والجمع، والمذكر والمؤنث ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ أي: إن أردتن أن تكنَّ متقيات.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ﴾ تلِنَّ ﴿بِٱلْقَوْلِ﴾ للرجال، ولا تُرقِقن الكلام. واختلاف القراء في الهمزتين من (النِّسَاءِ إِنِ) كاختلافهم فيهما من (الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ ريبة، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب؛ لقطع الأطماع.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: بعيداً من طمع المريب.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٣).

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم: (وَقَرْنَ) بفتح القاف من القرار؛ أي: الزمْنَ بيوتكن، وقرأ الباقون: بالكسر؛ من الوقار؛ أي: كُنَّ أهلَ وقار وسكون، قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، وورش، وحفص بُيُوتكُنَّ: بضم الباء، والباقون: بكسرها[١].

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ ﴾ تُبرِزْنَ محاسنكن للرجال ﴿ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ الذين كانوا بين آدم ونوح، والأخرى: بين عيسى ومحمد ﷺ، وقيل غير ذلك. قرأ البزي عن ابن كثير: (وَلاَ تَّبَرَّجْنَ) بتشديد التاء[٢].

﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ في أمره ونهيه.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ الإثم ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ نصب نداء، والمراد: زوجات النبي ﷺ، وقال: (عَنْكُمْ)، ولم يقل: عنكن؛ لأنه ﷺ كان بينهن، فغُلِّب.

﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ من الرجس.

وعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «في بيتي أُنزلت: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٤).

﴿ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجلل فاطمة وحسناً وحسيناً بكسائه، وعلي خلف ظهره، ثم قال ﷺ: «اللهم هؤلاء أهلُ بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً»، قالت أم سلمة: فقلت: يا رسول الله! أما أنا من أهل البيت؟ قال: «بلى إن شاء الله»[1].

* * *

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآن.

﴿ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ السنة. تقدم اختلاف القراء في كسر الباء وضمها من (بيوتكن).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا ﴾ بأوليائه ﴿ خَبِيرًا ﴾ بجميع خلقه.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤٧٠٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ١٥٠)، وغيرهم.

[٣٥] روي أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله! ذكر الله الرجال في القرآن، ولم يذكر النساء بخير، فما فينا خير نذكر به؟ إنا نخاف ألاَّ يقبل منا طاعة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾[١] المنقادين لحكم الله ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وهم من آمن حقيقة.

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ العابدين المطيعين لله في الفرض، وللرسول في السنة ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ فيما عوهدوا عليه أن يفوا به ويكملوه ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ عن الشهوات، وعلى الطاعات والرزايا ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ الخائفين لله، المستكينين لربوبيته الوقورين ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ بالفرض والنفل، وهما الزكاة وصدقة التطوع ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ كذلك في الفرض والنفل.

﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ من الزنا وشبهه.

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ بقلوبهم وألسنتهم، قال ﷺ: «من استيقظَ من الليل، وأيقظ امرأته، فصليا جميعاً ركعتين، كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»[٢].

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾ لجميع المؤمنين ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعتهم.

---

(١) رواه الطبراني في «تفسيره» (٢٢/١٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦١٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو داود (١٤٥١)، كتاب: الصلاة، باب: الحث على قيام الليل، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٣١٠)، وابن ماجه (١٣٣٥)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٦٨)، والحاكم في «المستدرك» (١١٨٩)، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ونزل في امتناع زينب وأخيها من تزويج زيد بن حارثة بعد أن خطبها رسول الله ﷺ له ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾(١) لعبد الله بن جحش.

﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ زينب.

﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ هو خطبتها لزيد ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أي: الاختيار ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ المعنى: لا يجوز لأحد أن يريد إلا ما أراد الله ورسوله. قرأ الكوفيون، وهشام عن ابن عامر: (أَنْ يَكُونَ) بالياء على التذكير؛ للحائل بين التأنيث والفعل، وقرأ الباقون: بالتاء؛ لتأنيث الخيرة(٢).

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ أخطأ خطأً ظاهراً.

* * *

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] فرضيت زينب وأخوها، وتزوجت بزيد، وبقيت معه مدة، ثم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٥).

أُلقي في نفس زيد كراهتها، فجاء النبيَّ ﷺ فقال: أريد طلاق صاحبتي، فقال: «أرابك منها شيء؟»، قال: لا والله ولكنها تترفع علي، فقال له: «أمسكْ عليكَ زوجَك»، فنزل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾(١) بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ لا تفارقها، نهي تنزيه. قرأ أبو عمرو، وهشام، وحمزة، والكسائي، وخلف: (وَإِذ تَّقُولُ) بإدغام الذال في التاء، والباقون: بالإظهار(٢).

﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ﴾ ما علمته، وهو ﴿مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي: مظهره، وهو أنه تعالى كان قد أعلمه ﷺ أن زينب ستصير زوجة له.

﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أي: اليهود أن يقولوا: تزوجَ امرأةَ ابنه.

﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ فلا تفعلْ مثل ذلك، وهذا عتاب شديد، قال عمر، وابن مسعود، وعائشة: «ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشدُّ عليه من هذه الآية»(٣)، وعن عائشة: «لو كتم نبيُّ الله شيئاً مما أنزل عليه، لكتم هذه الآية»(٤)، فطلقها زيد، فلما انقضت عدتها، قال لزيد: «اذهبْ

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١١١): غريب بهذا اللفظ، ورواه مسلم في «صحيحه» (١٤٢٨) في النكاح مختصراً من حديث أنس.
(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٦).
(٣) انظر: «عمدة القاري» للعيني (١٩/ ١١٩).
(٤) رواه مسلم (١٧٧)، كتاب: الإيمان، باب: معنى قوله الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾. ورواه البخاري (٦٩٨٤)، كتاب: التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، لكن عن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ.

فاذكرْها عليَّ» فقال زيد: «يا زينب! إن نبي الله أرسلني إليك يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر به ربي»، وقامت إلى مسجدها.

فنزل: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾[1] أرباً، ولم يذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه سوى زيد في هذا المحل ـ رضي الله عنه ـ ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ فدخل ﷺ عليها بغير إذن، ولا عقد نكاح، ولا صَداق، ولا شهود، وأطعم الناس خبزاً ولحماً، المعنى: فعلنا ذلك.

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ إثم ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ وهم الذين تبنوهم ﴿إِذَا قَضَوْا۟﴾ أي: الأدعياء ﴿مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ تلخيصه: فعل ذلك ليعلم أن نكاح زوجة المتبنَّى حلال؛ بخلاف زوجة الابن.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ مكوناً لا محالة، قال أنس: «كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات»[2].

***

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ أي: أحله له ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ نصب مصدر ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ هم الأنبياء عليهم السلام،

---

(١) رواه مسلم (١٤٢٨)، كتاب: النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٠)، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ.

المعنى: لا تؤاخذ بكثرة النساء كالأنبياء قبلك؛ فإنهم كانوا أكثر نساءً؛ كداود وسليمان عليهما السلام.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ قضاءً مقضياً.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هم الأنبياء، أثنى الله عليهم؛ يعني: سنة الله في الأنبياء الذين يبلغون رسالات الله ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: يفعلون ما يؤمرون، ولا يخافون لائمة أحد.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ كافياً للمخاوف.

* * *

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ولما قيل: إن محمداً تزوج امرأة ابنه، نزل: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الذين لم يلدهم، فلا يحرم عليه زوجة من تبناه بعد فراقها وانقضاء عدتها، و(محمد) معناه: المستغرق لجميع المحامد، وهو الذي كثر حمدُ الحامدين له مرة بعد أخرى، وتقدم تفسير (محمد) في سورة آل عمران بأتم من هذا، وكذلك تفسير (أحمد)، وذكر نسبه الشريف، ولا يجري فيه القول الضعيف أنه لا يجوز أن يقال له: أبو المؤمنين [ولا عبرة من منع ذلك في الحسنين من الأمويين؛ للخبر الصحيح الآتي في الحسن:

«إن ابني هذا سيد»[1]، ومعاوية، وإن نقل عنه ذلك، ولكن نقل عنه ما أنه رجع عن ذلك، وغير معاوية من بقية الأمويين المانع بذلك لا يعتد به، وعلى الأصح، فقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ إنما سيق لانقطاع حكم النبي ﷺ لا يمنع من الإطلاق المراد به: أنه أبو المؤمنين في الاحترام والإكرام من هو أحق][2].

﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ نصب اللام والميم عطفاً على خبر (كَانَ). قرأ عاصم: (وَخَاتَمَ) بفتح التاء على الاسم؛ أي: آخرهم، وقرأ الباقون: بكسرها على الفاعل[3]؛ لأنه ختم النبيين، فهو خاتمهم؛ أي: لا يُنَبَّأُ نبي بعده أبداً، وإن نزل عيسى بعده، فهو ممن نبىء قبله، ولأنه ينزل بشريعته، ويصلي إلى قبلته، فكأنه من أمته.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ عموم، والمقصد به هنا: علمه تعالى بما رآه الأصلحَ لمحمد ﷺ، وبما قدره في الأمر كله.

***

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بما هو أهله من التهليل والتكبير

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٠)، كتاب: المناقب، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٨).

والتحميد والتقديس ﴿ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ قياماً، وقعوداً، وعلى جنوبكم، وعلى كل حال.

***

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ أي: صلوا له ﴿بُكْرَةً﴾ وهي صلاة الصبح ﴿وَأَصِيلًا﴾ هي صلاة العصر، وقيل: المراد: التسبيح باللسان، فيقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسميت هذه الكلمات ذكراً كثيراً؛ لأنه يقولها الطاهر والجنب والمحدث.

***

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ صلوات الله: رحمتُه ومغفرته، وصلاةُ الملائكة: الدعاءُ والاستغفار للمؤمنين، المعنى: يفعل الله بكم ذلك.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان، تلخيصه: برحمته وبسبب دعاء الملائكة فزتم.

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ حتى اعتنى بصلاح أمرهم.

***

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ تعالى ﴿سَلَـٰمٌ﴾ أي: يسلم الله عليهم، ويسلمهم من الآفات.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة.

* * *

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ قرأ نافع: (النَّبِيءُ) بالمد والهمز (إِنَّا): بتسهيل الهمزة، واختلف في كيفية تسهيلها، فذهب جمهور القراء المتقدمين إلى أنها تبدل واواً خالصة مكسورة، وذهب بعضهم إلى أنها تجعل بين الهمزة والياء، وهو مذهب أئمة النحو والمتأخرين من القراء، وهو الأوجه في القياس، وقرأ الباقون: بتشديد الياء، وتحقيق الهمزة من (إِنَّا)[1] ﴿شَاهِدًا﴾ على أمتك، والرسلِ بالبلاغ، ونصبه على الحال، وكذلك جميع المنصوبات بعد ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لأهل طاعته بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ لأهل معصيته بالنار.

* * *

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى توحيده ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بتسهيله وأمره، وتقديره ذلك في وقته وأوانه ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: [يهتدى بك في الدين كما يهتدى][2] بالسراج المنير في الظلام، فجعله شاهداً على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة، وهي من خصائصه عليه السلام.

* * *

---

(١) انظرها في تفسير الآية (١) من هذه السورة.

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ تفضلاً جزيلاً، قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية، دعا رسول الله علياً ومعاذاً، فبعثهما إلى اليمن، وقال: «اذهبا، فبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، فإنه قد نزل عليَّ، وقرأ الآية»(١).

* * *

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ في فسخ عهد، لا فيما لا يحل.

﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾ اصبر عليه، ولا تجازهم، ونُسخ بآية السيف.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ فهو كافيك ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ مفوضاً إليه.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ أي: عقدتم عليهن.

﴿ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾ أي: تطؤوهن. قرأ حمزة،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧١٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٨٤١).

والكسائي، وخلف: (تُمَاسُّوهُنَّ) بضم التاء وألف بعد الميم، والباقون: بفتح التاء من غير ألف[1].

﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ تحسبونها بالأقراء والأشهر.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ إذا لم يكن لهن صَداق، وإن كان لهن صداق، فنصفه بلا متعة، وتقدم الحكم في ذلك، واختلاف الأئمة فيه، وفي حكم العدة بالخلوة في سورة البقرة.

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ خلُّوا سبيلهن ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ بلا إضرار بهن، وقوله: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ فيه دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع؛ لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح، فلو قال: متى تزوجتُ فلانة، أو كل امرأة أتزوجها، فهي طالق، لم يقع عليه طلاق إذا تزوج عند الشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: يقع طلاقاً، وقال مالك: إن عين امرأة بعينها، أو من قبيلة، أو بلد، فتزوجها، وقع الطلاق، وإن عَمَّ فقال: كل امرأة أتزوجها من الناس كلهم، فهي طالق، لم يلزمه شيء، والله أعلم.

* * *

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢٩/٥).

أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي: مهورهن، وتقدم قريباً مذهب نافع في الهمزتين من (النَّبيءُ إِنَّا) ﴿ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ من الإماء.

﴿ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ أي: غنَّمَكَ من الكفار؛ كصفية وجويرية، وقد كانت مارية مما ملكت يمينه، فولدت له إبراهيم ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ ﴾ نساء قريش.

﴿ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ﴾ نساء بني زهرة ﴿ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ إلى المدينة، فمن لم تهاجر معه منهن، لم يجز له نكاحها.

عن أم هانىء بنت أبي طالب قالت: «خطبني رسول الله ﷺ لما فتح مكة، فأنزل الله هذه الآية، فلم أحل له؛ لأني لم أكن من المهاجرات، وكنت من الطلقاء»(١)، ثم نسخ شرط الهجرة بقوله: ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً ﴾ [فلا يحل له غير المؤمنة، المعنى: أبحنا لك جميع المذكورات، وأبحنا لك امرأة مؤمنة](٢) ﴿ إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا ﴾ بطلب نكاحها من غير صداق.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢١٤)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأحزاب، وقال: حسن صحيح، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٧٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٥٤).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المعنى: إذا وهبتك مؤمنة نفسها، حلت لك خاصة بلفظ الهبة بلا صداق، كالزيادة على الأربع، وكان من خصائصه ﷺ أن يتزوج بلا ولي ولا شهود، وإذا خطب امرأة، يحرم على غيره خطبتها حتى يتركها(١)، والواهبةُ نفسَها هي أم شريك بنتُ جابر من بني أسد، وقيل: ميمونة بنت الحارث، وقيل: خولة بنت حكيم من بني سليم، وقيل: زينب بنت خزيمة الأنصارية(٢). **قرأ** نافع (لِلنَّبِيءِ إِنْ) بالهمز والمد في (النَّبِيءِ)، وتسهيل الهمز الثاني بين بين، **وقرأ**: (أَرَادَ النَّبِيءُ أَنْ) بالهمز والمد في (النَّبِيءُ)، وإبدال الهمز الثاني واواً محضة مفتوحة، وخالفه قالون في الحرف الأول، وهو (لِلنَّبِيِّ إِنْ)، فقرأ بتشديد الياء، وتحقيق الهمز بعدها؛ كبقية القراء(٣).

واختلف الأئمة في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة، فقال أبو حنيفة: ينعقد بلفظ الهبة والصدقة والتمليك والبيع والشراء، وعنه في لفظ الإجارة خلاف، وقال مالك: ينعقد بلفظ يدل على التأبيد مدة الحياة؛

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١٢٨).

(٢) انظر: «التلخيص الحبير» (٣/ ١٣٨)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٢٥-٥٢٦) قال ابن حجر في «الفتح» بعد أن ذكر من خرَّج الآثار في اللواتي وهبن أنفسهن له صلى الله عليه وسلم، وبعد أن ذكر الحكم الحديثي لكلٍّ، قال: عن عكرمة عن ابن عباس: «لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له» أخرجه الطبري وإسناده حسن. والمراد أنه لم يدخل بواحدةٍ ممَّن وهبت نفسها له وإن كان مباحاً له؛ لأنه راجع إلى إرادته؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾.

(٣) سلفت هذه القراءة في تفسير الآية (١) من هذه السورة.

كأنكحت، وزوجت، وملكت، وبعت، وكذا وهبت بتسمية صداق، وقال الشافعي وأحمد: لا ينعقد إلا بلفظ النكاح والتزويج.

واختلفوا في اشتراط الشهادة لصحة النكاح، فقال مالك: يصح بلا إشهاد بشرط الإعلان، وتركِ التواصي بالكتمان، وقال الثلاثة: تشترط، فعند أبي حنيفة: ينعقد بحضور رجلين، ورجل وامرأتين، ولا تشترط العدالة، وعند الشافعي وأحمد: تشترط الذكورة، والشافعي يشترط العدالة، والصحيح عنه: أنه ينعقد بمستوري العدالة، فلو بان فسق الشاهد عند العقد، فباطل، وأحمد يشترط العدالة في شاهديه ظاهراً فقط، فلو بانا بعده فاسقين، فالعقد صحيح.

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي: أوجبنا على المؤمنين.

﴿ فِي أَزْوَاجِهِمْ ﴾ من الأحكام ألاَّ يتزوجوا أكثر من أربع.

﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ من الإماء مباح لهم فوق أربع زوجات.

﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ ضيق، وهذا يرجع إلى أول الآية؛ أي: أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لئلا يضيق عليك.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴾ لما يعسر التحرز عنه.

﴿ رَحِيمًا ﴾ بالتوسعة في مظان الحرج.

* * *

﴿ ۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) ﴾.

[٥١] ﴿ ۞ تُرْجِى ﴾ تؤخِّر ﴿ مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ ﴾ عنك بطلاق أو غيره ﴿ وَتُـْٔوِىٓ ﴾ تضم.

﴿ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ منهن. قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تُرْجِي) بإسكان الياء بغير همز، وقرأ أبو جعفر: (وَتُووِي) بواوين بغير همز، والباقون: بالهمز فيهما(١)، واختلف المفسرون في معنى الآية، فأشهر الأقاويل أنه في القَسْم بينهن، وذلك أن التسوية بينهن في القَسْم كان واجباً عليه، فلما نزلت هذه الآية، سقط عنه، وصار الاختيار إليه فيهن.

﴿ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ ﴾ أي: طلبت أن تؤوي إليك امرأة.

﴿ مِمَّنْ عَزَلْتَ ﴾ فصلته بالإرجاء.

﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ أي: لا إثم ﴿ عَلَيْكَ ﴾ في فعلك بنسائك، فأباح الله له ترك القسم لهن، حتى إنه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها، ويطأ من يشاء منهن في غير نوبتها، ويرد إلى فراشه من عزلها؛ تفضيلاً له على سائر الرجال، فرضين بذلك، واخترنه على هذا الشرط.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التخيير ﴿ أَدْنَىٰٓ ﴾ أقرب إلى رضاهن.

﴿ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ ﴾ بتخييرهن.

﴿ وَلَا يَحْزَنَّ ﴾ بترك القسم لهن ﴿ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ من

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٣١)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وشعبة ويعقوب: (ترجى).

تقريب وتبعيد، وعزل وإيواء؛ لعلمهن أن ذلك بوحي من الله.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ﴾ من الميل إلى بعض النساء.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ لا يعاجل بالعقوبة.

* * *

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (تَحِلُّ) بالتاء على التأنيث على معنى جماعة النساء، وقرأ الباقون: بالياء على التذكير على معنى جمع النساء[1]، وهما جنسان؛ لأن تأنيث لفظ النساء ليس بحقيقي ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾ أي: من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن واخترنك، ورضين بمرادك ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ غيرهن ﴿مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ قرأ البزي: (وَلاَ أَنْ تَّبَدَّلَ) بتشديد التاء على أصله[2]، وذلك أن النبي ﷺ لما خيرهن، فاخترن الله ورسوله، شكر الله لهن، وحرم عليه النساء سواهن، ونهاه عن تطليقهن، وعن الاستبدال بهن، وهن: خمس من قريش: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان، وأم سلمة، واسمها هند بنت أبي أمية، وسودة بنت أبي زمعة، وغير القرشيات: زينب

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٣٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٣٢).

بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية.

واختلف في أنه هل أبيح له النساء من بعد؟ قالت عائشة: «ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء»[1]، وقال أنس: «مات على التحريم»[2]، وممن قال بحل النساء له: أبي بن كعب، ومجاهد، والضحاك، وغيرهم.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ حسن الأزواج المستبدلة، قال ابن عباس: «يعني: أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب، فلما استشهد جعفر - رضي الله عنه - أراد رسول الله ﷺ أن يخطبها، فنهي عن ذلك[3].

---

(١) رواه النسائي (٣٢٠٤)، كتاب: النكاح، باب: ما افترض الله عز وجل على رسوله - عليه السلام - وحرَّمه على خلقه، والترمذي (٣٢١٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأحزاب، وقال: حسن.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٧٧).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٥٧٨)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٩٤)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٢١)، قال ابن العربي كما ذكره عنه القرطبيُّ -: وهذا حديث ضعيف ١هـ. وقال ابن عادل: وقال بعض المفسرين: ظاهر هذا ناسخ لما كان قد ثبت له عليه الصلاة والسلام من أنه إذا رأى واحدة فوقعت في قلبه موقعاً كانت تحرم على الزوج ويجب عليه طلاقها... ففي أول الأمر أحلَّ الله من وقع في قلبه؛ تفريغاً لقلبه وتوسعاً لصدره لئلا يكون مشغول القلب بغير الله، ثم لما استأنس بالوحي نُسخ ذلك.

﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ قال ابن عباس: «ملك بعد هؤلاء مارية»[1].

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ حافظاً.

وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «انظر إليها؛ فإن في أعين نساء الأنصار شيئاً»[2]، قال الحميدي: يعني: الصغر، فإذا خطب الرجل امرأة، أبيح له النظر إليها بالاتفاق، فعند أحمد: ينظر إلى ما يظهر غالباً، كوجه ورقبة ويد وقدم، وعند الثلاثة: لا ينظر غير الوجه والكفين.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ونزل تأديباً لناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، فيأكلون

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٧٨).

(٢) رواه مسلم (١٤٢٤)، كتاب: النكاح، باب: ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها، والحميدي في «مسنده» (١١٧٢).

ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يتأذى منهم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ ﴾[1] أي: إلا وقت الإذن ﴿ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ ﴾ فيؤذن لكم فتأكلون. قرأ نافع: (بُيُوتَ النَّبِيءِ إِلاَّ) بالمد والهمز وتسهيل الهمزة من (إلاَّ)، وخالفه قالون في هذا الحرف أيضاً، فقرأه بتشديد الياء كبقية القراء كما تقدم في قوله: (لِلنَّبِيءِ إِنْ) وهذان الحرفان اللذان تقدم التنبيه عليهما أول السورة، ونبه عليهما في سورة البقرة.

﴿ غَيۡرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ أي: منتظرين نضجه. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وهشام عن ابن عامر بخلاف عنه: (إِنَاهُ) بإمالة فتحة النون[2].

﴿ وَلَـٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ ﴾ للأكل ﴿ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ ﴾ فرغتم منه ﴿ فَٱنتَشِرُواْ ﴾ اخرجوا من منزله ﴿ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ ﴾ جر عطف على (نَاظِرِينَ) ﴿ لِحَدِيثٍ ﴾ تديرونه بينكم بعد الأكل.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ ﴾ الاستئناسَ بعدَ الأكل ﴿ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡ ﴾ فلا يأمركم بالخروج، وكان ﷺ أشد الناس حياء[3]، وأكثرهم عن العورات غضاءً، والحياء: رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٨٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٩٥)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٥/ ١٣٦)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ٢٢٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٩/ ١٦٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٤٨ـ٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٣٣).

(٣) روىٰ البخاري (٣٣٦٩) كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، ومسلم (٢٣٢٠)، كتاب: الفضائل، باب: كثرة حيائه ﷺ، من حديث أبي سعيد الخدري قال: كان النبي ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها.

كراهته، أو ما يكون تركه خيراً من فعله، والإغضاء: التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: لا يمتنع من تعريفكم الحق والصواب حياء منكم.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي: نساء النبي ﷺ، وإن لم يذكرن؛ لأن الحال تدل عليهن.

﴿مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ أي: من وراء ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله ﷺ متنقبة كانت أو غير متنقبة. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلُوهُنَّ) بالنقل، والباقون: بالهمز[1].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ السؤال ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الريبة.

وقد صح في سبب نزول الحجاب ما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع، وهو صعيد أفيح، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك، فلم يكن يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوجُ النبي ﷺ ليلة من الليالي عشياً، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة! حرصاً على أن ينزل آية الحجاب، فأنزل الله آية الحجاب[2].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٣٤).

(٢) رواه البخاري (١٤٦)، كتاب: الوضوء، باب: خروج النساء إلى البَراز، ومسلم=

وعن أنس قال: قال عمر: «وافقني ربي في ثلاث: قلت: يا رسول الله! لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقلت: يا رسول الله! يدخل عليك البرُّ والفاجر، فلو أمرتَ أمهاتِ المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني بعض ما آذين به رسولَ الله ﷺ نساؤه، قال: فدخلت عليهن، فجعلت أستفزُّ بهن واحدة واحدة، قلت: والله لتنتهُنَّ، أو ليبدلنه الله أزواجاً خيراً منكن، حتى أتيت على زينب، فقالت: يا عمر! أما كان في رسول الله ﷺ يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟! قال: فخرجت، فأنزل الله عز وجل: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ إلى آخر الآية [التحريم: ٥]»(١).

واستدل بعض العلماء بأخذ الناس عن أزواج النبي ﷺ من وراء حجاب على جواز شهادة الأعمى إذا تيقن الصوت، وهو مذهب مالك وأحمد، ولم يجزها أبو حنيفة، وقال الشافعي: يجوز فيما رآه قبل ذهاب بصره، أو يقر في أذنه، فيتعلق به حتى يشهد عند قاض به.

= (٢١٧٠)، كتاب: السلام، باب: إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان.

(١) رواه البخاري (٤٢١٣)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾. قال ابن حجر في «الفتح» (١/ ٥٠٥) وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها؛ لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه، ومن مشهورها قصة أسارى بدر وقصة الصلاة على المنافقين، وهما في «الصحيح».

ولما قال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، قيل: هو طلحة بن عبيد الله: «لئن قبض رسول الله ﷺ، لأنكحن عائشة»، نزل احتراماً له ﷺ، وتطييباً لقلبه:

﴿ وَمَا كَانَ ﴾[1] أي: ما يجوز ﴿ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ بشيء من الأشياء.

﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ إذا مات، أو فارقهن.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ ﴾ يعني: إيذاءه، ونكاحَ نسائه ﴿ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ذنباً.

﴿ عَظِيمًا ﴾ فنكاحُ أزواجه محرم على غيره بالإجماع.

* * *

﴿ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] وبالغ في الوعيد عليه فقال: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا ﴾ لنكاحهن على ألسنتكم.

﴿ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ في صدوركم.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ فيعلم ذلك فيجازيكم.

* * *

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٠١) عن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٥٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٦٩) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ نحوه.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ولما نزلت آية الحجاب، قال ذوو المحارم: ونحن أيضاً لا نكلمهن إلا من وراء حجاب؟ فنزل: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ وإنما لم يذكر العم والخال؛ لأنهما بمنزلة الوالدين، والعرب تسمي العم أباً، والخالة أماً. واختلاف القراء في الهمزتين من (أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ) كاختلافهم فيهما (مِنَ الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور، واختلافهم فيهما من (أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ) كاختلافهم فيهما من (هَؤُلَاءِ آلِهَةً) في سورة الأنبياء [الآية: ٩٩] ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: المسلمات، وتقدم ذكر الخلاف بين الأئمة في الكتابيات في سورة النور.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ﴾ من الإماء، فلا يكون العبد محرماً لمولاته، وقيل: هو عام، فيكون العبد محرماً لمولاته، وتقدم ذكر الحكم في ذلك، واختلاف الأئمة فيه في سورة النور؛ أي: لا إثم عليهن في ترك الاحتجاب عن هؤلاء، ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب فقال: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾ فيما أُمِرْتُنَّ به.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه خافية.

***

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ صلاةُ الله: رحمة، وصلاة الملائكة: الدعاء، وصلاة المؤمنين: سؤال الصلاة عليه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ ﴾ ادعوا له.

﴿ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ حيوه بتحية الإسلام.

سئل رسول الله ﷺ: كيفَ الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: «قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم باركْ على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[1].

واختلف المفسرون وأصحاب المعاني في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾ هل (يصلون) راجعة على الله والملائكة، أم لا؟ فأجازه بعضهم، ومنعه آخرون؛ لعلة التشريك، وخصوا الضمير بالملائكة، وقدروا الآية: إن الله يصلي وملائكته، والملائكة يصلون، واختلف الأئمة في الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير في الصلاة، فقال أبو حنيفة: هي سنة، وتجب في العمر مرة، والمختار في مذهبه أنها مستحبة كلما ذكر، وعليه الفتوى، وقال مالك: هي سنة في الصلاة، ولكنها واجبة في الجملة، وقال الشافعي: هي فرض، وقال أحمد: هي ركن، فتبطل الصلاة عندهما بتركها، عمداً كان أو سهواً.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ ﴾ أي: يخالفون أمره ويعصونه بنسبة الولد

---

(١) رواه البخاري (٤٥١٩) كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾، من حديث كعب بن عُجرة رضي الله عنه.

والشريك إليه سبحانه، هم اليهود، قالوا: عزير ابن الله، ويد الله مغلولة، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، وثالث ثلاثة، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه.

﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ بتكذيبه، وقولهم: شاعر ومجنون.

﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالنار.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ فيحرم أذى النبي ﷺ بالقول والفعل بالاتفاق.

واختلفوا في حكم من سبه والعياذ بالله تعالى من المسلمين، فقال أبو حنيفة والشافعي: هو كفر كالردة يقتل ما لم يتب، وقال مالك وأحمد: يقتل ولا تقبل توبته، [وقتله حداً لا كفراً إن أظهر التوبة منه، ولهذا لا تقبل توبته](١).

وأما الكافر إذا سبه صريحاً بغير ما كفر به؛ من تكذيبه ونحوه، فقال أبو حنيفة: لا يقتل؛ لأن ما هو عليه من الشرك أعظم، ولكن يؤدب ويعزر، وقال الشافعي: ينتقض عهده، فيخير الإمام فيه بين القتل والاسترقاق، والمن والفداء، ولا يبلغ المأمن؛ لأنه كافر لا أمان له، ولو لم يشرط عليه الكف عن ذلك، بخلاف ما إذا ذكره بسوء يعتقده ويتدين به؛ كتكذيب ونحوه، فإنه لا ينتقض عهده بذلك إلا باشتراطه، وتقدم التنبيه على ذلك في سورة التوبة، وقال مالك وأحمد: يقتل ما لم يسلم، واختار جماعة من أئمة مذهب أحمد أن سابه ـ عليه السلام ـ يقتل بكل حال، منهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وقال: هو الصحيح من المذهب، وأما حكم قذفه ﷺ،

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

فعند أبي حنيفة حكمه كالسب من مسلم وكافر كما تقدم، وظاهر كلام أصحاب مالك فيما اطلعت عليه من كتبهم، ومنهم القاضي عياض في «الشفا»[1]: أنه كالسب، يقتل به المسلم، ويسقط القتل عن الكافر بإسلامه، وحكى القاضي عياض عن ابن سحنون أنه أوجب على الذمي إذا قذف النبي ﷺ حد القذف، ثم قال: ولكن انظر ماذا يجب عليه، هل حد القذف في حق النبي ﷺ هو القتل؛ لزيادة حرمته ﷺ على غيره، أم هل يسقط القتل بإسلامه، ويحد ثمانين جلدة؟ فتأمله، انتهى.

وفي مذهب الشافعي ثلاثة أقوال حكاها النووي رحمه الله في «الروضة»: أحدها: أنه كالمرتد، والثاني: أنه يقتل حداً، والثالث: أنه يجلد ثمانين جلدة[2].

ومذهب أحمد ـ رضي الله عنه ـ: أن من قذفه ﷺ، أو قذف أمه، قتل، مسلماً كان أو كافراً، فلا تقبل من المسلم توبة، ولا من الكافر إسلامه.

وحكم من سب سائر أنبياء الله وملائكته حكمُ من سب نبينا عليهم السلام، وأما من سب الله سبحانه وتعالى والعياذ بالله من المسلمين بغير الارتداد عن الإسلام، ومن الكفار بغير ما كفروا به من معتقدهم في عزير والمسيح ونحو ذلك، فحكمه حكم من سب النبي ﷺ، وكل من الأئمة الأربعة ـ رضي الله عنهم ـ على أصله كما قدمته، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

---

(١) انظر: (٢/ ٢٦٦) وما بعد.

(٢) انظر: «روضة الطالبين» للنووي (١٠/ ٣٣٢).

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ونزل في عائشة وصفوان رضي الله عنهما: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ بغير ذنب.

﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ ظاهراً.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] كان زي الحرائر والإماء واحداً، فربما تعرض ببعض الحرائر، فنزل نهياً للحرائر عن التشبه بالإماء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ ﴾ يُرْخين.

﴿ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ﴾ جمع جلباب، وهي الملاءة تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار[1] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الفعل ﴿ أَدْنَىٰٓ ﴾ أقربُ إلى.

﴿ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ ﴾ بأن يتعرض لهن ذو ريبة.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ﴾ لما سلف مع التوبة ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بعباده.

* * *

﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ونزل فيمن كان يظهر خلاف ما يضمر، وفيمن كان يرعب قلوب

(١) «والخمار» زيادة من «ت».

المسلمين: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ عن نفاقهم وكذبهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ فجور؛ يعني: الزناة ﴿ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ بالكذب بما يضعون من الأخبار الكاذبة عن سرايا المسلمين؛ بأنهم قتلوا وكسروا وأخذوا، فترعب قلوب المؤمنين.

﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ لنسلطنك عليهم.

﴿ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إلا زماناً قليلاً حتى يخرجوا منها.

***

﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا (٦١) ﴾.

[٦١] ﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾ مطرودين، نصب على الحال من (لَا يُجَاوِرُونَكَ) ﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾ وجدوا.

﴿ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ أي: الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به.

***

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢) ﴾.

[٦٢] ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ﴾ أي: كسنة الله.

﴿ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾ من المنافقين؛ أي: هذا الحكم فيهم.

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ لأنه لا يبدلها.

***

﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) ﴾.

[٦٣] وكان اليهود والمشركون يسألونه ﷺ عن الساعة امتحاناً

واستهزاءً، فنزل: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: أي شيء يعلمك أمر الساعة؟ ثم أومأ إلى قربها فقال: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ﴾ شيئاً ﴿قَرِيبًا﴾ وانتصابه على الظرف، وفيه تهديد لهم.

* * *

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ﴾ أي: عذب ﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ المكيين بالقتل ببدر.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ناراً في الآخرة.

* * *

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم.

﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع عنهم.

* * *

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾.

[٦٦] ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ ظهراً لبطن حين يُسحبون عليها ﴿يَقُولُونَ﴾ المعنى: اذكر يوم يقول التابع والمتبوع: ﴿يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ في الدنيا.

* * *

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾.

[٦٧] ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ أي: مقدمينا في الكفر.

﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ أخطؤوا بنا طريق الهداية. قرأ ابن عامر، ويعقوب: (سَادَاتِنَا) بكسر التاء وألف قبلها على جمع[1] الجمع، وقرأ الباقون: [بفتح التاء بلا ألف قبلها[2]، وتقدم اختلافهم في (الرَّسُولاَ) و(السَّبِيلاَ) عند (الظُّنُونَا) [الآية: ١٠].

***

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي: عذبهم مثل عذاب غيرهم ﴿وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ قرأ عاصم: (كَبِيراً) بالباء الموحدة من تحت، وقرأ الباقون][3]: بالثاء المثلثة، واختلف عن هشام راوي ابن عامر[4].

***

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾﴾.

[٦٩] ونزل نهياً عن أذى النبي ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾ بأن رموه بالأدرة، وهو مرض الأنثيين، فوضع ثوبه على الحجر

---

(١) «جمع» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٣٦).

(٣) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٣-٥٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٣٦).

ليتوضأ، فهرب الحجر بثوبه حتى وقف به بين ملأ بني إسرائيل، فأدركه فضربه ثنتي عشرة ضربة، فرأوه أحسنَ الناس جسداً[1]، واتهموه بقتل هارون في التيه، فأمر الله الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل، فعرفوا أنه لم يقتله، وقذفوه بالبغي أنه فجر بها، وجعلوه ساحراً مجنوناً.

﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ﴾ بأن أوضح ما نسب إليه، فظهرت براءته منهم.

﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ ذا جاه.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ أي: صواباً.

***

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ يتقبل حسناتكم، ويثيبكم عليها.

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ نال غاية مطلوبه، والطاعة: موافقة الأمر، والمعصية: مخالفته.

***

(١) انظر ما رواه البخاري في (٢٧٤)، كتاب: الغُسل، باب: من اغتسل عُرياناً وحده في الخلوة، ومسلم (٣٣٩)، كتاب: الحيض، باب: جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة، من حديث أبي هريرة.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ هي كل ما افترض على العباد؛ كصلاة وزكاة وصيام وأداء دين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار، فعرضت الأمانة بما فيها.

﴿ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ عرضَ تخيير، فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحسنتن جوزيتن، وإن عصيتن عوقبتن.

﴿ فَأَبَيْنَ ﴾ امتنعن ﴿ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ خِفْن منها خشية ألاَّ يؤدينها، فيلحقهن العقاب.

﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ مع ضعفه، وهو آدم ـ عليه السلام ـ، روي أنه قال: أحمل الأمانة بقوتي أم بالحق؟ فقيل: من يحملها يحملها بنا، فإن ما هو منا لا يحمل إلا بنا، فحملها.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا ﴾ لنفسه بمعصية ربه.

﴿ جَهُولًا ﴾ بأمر الله، وما احتمل من الأمانة.

* * *

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ بما خانوا الأمانة، ونقضوا الميثاق، واللام تعليل.

﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الأمانة، ونصبه عطف على (لِيُعَذِّبَ)، واللام في قوله (لِيُعَذِّبَ) متعلقة بحمل؛ أي: حملها؛ ليعذب العاصي، ويثيب المطيع.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ حيث تاب على فرطاتهم، وأثاب بالفوز على طاعاتهم.

وقد تقدم في تفسير هذه السورة(١) أن من خصائص رسول الله وجوب تخيير نسائه بين فراقه والإقامة معه، وأن يتزوج بأي عدد شاء، وأن يتزوج بلا ولي ولا شهود، وإذا خطب امرأة يحرم على غيره خطبتها حتى يتركها، وله خصائص غير ذلك، منها: أن له أن يتزوج في زمن الإحرام، وكان واجباً عليه السواك والأضحية والوتر، ووجب عليه قيام الليل ولم ينسخ، وفرض عليه إنكار المنكر إذا رآه على كل حال.

ومُنِع من الرمز بالعين، والإشارة بها، وإذا لبس لأْمَة الحرب أن ينزعها حتى يلقى العدو، ومنع أيضاً من الشِّعر والخط وتعليمهما، ومنع من نكاح الكتابية كالأَمَةِ مطلقاً، ومنع من الأخذ من صدقة التطوع.

وأبيح له الوصال في الصيام، وهو ألاَّ يفطر بين يومين فأكثر، وأبيح له خمس خمس الغنيمة وإن لم يحضره، وأبيح له الصفا من المغنم، وهو ما كان يختاره قبل القسمة؛ كجارية وعبد وثوب وسيف ونحوه، ودخول مكة محلاً ساعة، وإذا ادعي عليه أو ادعى هو فقوله بلا يمين، وجعلت تركته صدقة، وله أخذ الماء من العطشان، ويلزم كلَّ أحد أن يقيه بنفسه وماله، فله طلب ذلك، وحرم على غيره نكاح زوجاته فقط، وتقدم في

---

(١) عند تفسير الآية (٥٠).

التفسير، وهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وهن أمهات المؤمنين بمعنى: في حكم الأمهات في تحريم النكاح، وتقدم في التفسير، والنجس منا طاهر منه، ولم يكن له فيء في شمس ولا قمر، لأنه يوارى، والظل نوع ظلمة، وكانت تجتذب الأرض أثقاله، وساوى الأنبياء في معجزاتهم، وانفرد بالقرآن والغنائم، وجُعلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً، ونُصر بالرعب مسيرة شهر، وبُعث إلى الناس كافة، وكل نبي إلى قومه، ومعجزاته باقية إلى يوم القيامة، وانقطعت معجزات الأنبياء بموتهم، وتنام عينه ولا ينام قلبه، فلا ينقض وضوءه بنومه مضطجعاً، ويرى من خلفه كما يرى أمامه، قال الإمام أحمد وجمهور العلماء: هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة، والدفن في البنيان مختص به، قالت عائشة: «لئلا يتخذ قبره مسجداً»، وقال جماعة: لوجهين: أحدهما: قوله: «تدفن الأنبياء حيث يموتون» رواه الإمام أحمد[1]، والثاني: لئلا تمسه أيدي المنافقين، وزيارة قبره ﷺ مستحبة للرجال والنساء، ومنها: أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم، فقال: (يا آدمُ) (يا نوحُ) (يا إبراهيمُ) (يا داودُ) (يا زكريا) (يا يحيى)، ولم يخاطَب هو إلا (يا أيها الرسولُ) (يا أيها النبيُّ)[2] (يا أيها المزملُ) (يا أيها المدثرُ)، وتقدم في التفسير، قال الإمام أحمد رضي الله عنه: خص النبي ﷺ بواجبات ومحظورات ومباحات وكرامات، والله أعلم.

* * *

---

(١) لم أقف عليه هكذا. وقد روى ابن ماجه (١٦٢٨)، كتاب: الجنائز، باب: ذكر وفاته ودفنه ﷺ، من حديث ابن عباس في حديث طويل وفيه: «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض» وإسناده ضعيف كما ذكر الحافظ في «الفتح» (١/ ٥٢٩).

(٢) «يا أيها النبي» سقط من «ت».

سُورَةُ سَبَإٍ

مكية، واختلف في قوله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ﴾ [الآية: ٦]، فقالت فرقة: هي مكية، والمراد: المؤمنون بالنبي ﷺ، وقالت فرقة: هي مدنية، والمراد: من أسلم بالمدينة من أهل الكتاب؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه[١] وأشباههم، آيها: أربع وخمسون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وخمس مئة واثنا عشر حرفاً، وكلمها: ثماني مئة وثلاث وثمانون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾.

[١] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي: الثناء له، والألف واللام لاستغراق الجنس؛ أي: الحمدُ على تنوعه هو لله تعالى ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ملكاً وخلقاً.

﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ كما هو في الدنيا؛ لأن أهل الحمد يحمدونه في

---

(١) «وأصحابه» ساقطة من «ت».

الآخرة كما يحمدونه في الدنيا؛ لأن النعم في الدارين منه، وحذفت إحداهما لدلالة الأخرى عليها.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ المحكِم لأمور الدارين ﴿الْخَبِيرُ﴾ بالأشياء؛ لأن وجودها إنما هو به جلَّت قدرتُه.

* * *

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢)﴾.

[٢] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يدخل فيها من الأموات والكنوز والدفائن وغيرها ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات والأموات عند الحشر، وماء العيون وسائر المخرَجات.

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الوحي والرسل والكتب والأقدار والأمطار والصواعق والشهب.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: يصعد فيها[1] من الملائكة والأعمال.

﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ للمفرِّطين في شكر نعمته.

* * *

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣)﴾.

[٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ استهزاءً واستبطاء للبعث: ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ

---

(١) «فيها» ساقطة من: «ت».

قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ الساعة. قرأ أبو بكر عن عاصم: (بَلَى) بالإمالة[١].

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ورويس عن يعقوب: (عَالِمُ) برفع الميم على الاستئناف؛ أي: هو عالم الغيب، وقرأ الباقون: بخفضها من نعت قوله تعالى: (وَرَبِّي)، وقرأ منهم حمزة، والكسائي: (عَلَّامِ) بتشديد اللام على وزن فَعَّال وجر الميم على المبالغة[٢]، روي أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب، قال: واللات والعزى ما ثَمَّ ساعة تأتي، ولا قيام ولا حشر، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يُقسم بربه مقابلة[٣] لقسم أبي سفيان؛ رداً وتكذيباً وإيجاباً لما نفاه.

﴿لَا يَعْزُبُ﴾ قرأ الكسائي: بكسر الزاي، والباقون: بضمها؛ أي: لا يغيب.

﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾ أي: وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أي: نملة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي: المثقال ﴿وَلَآ أَكْبَرُ﴾ ورفعُهما عطف على (مِثْقَالُ).

﴿إِلَّا﴾ وهو مثبت.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٩ـ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤١ـ١٤٢).

(٣) «بربه مقابلة» زيادة من «ت».

﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ.

***

﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ﴾ اللام في (لِيَجْزِيَ) متعلقة بقوله: (لَا يَعْزُبُ) أي: لا يغيب عنه شيء ليجزي المحسنَ والمسيء.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: المؤمنون ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ وهي تغمد الذنوب.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو الجنة.

***

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ في إبطال أدلتنا ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بتشديد الجيم من غير ألف؛ أي: مُثَبِّطين الناس عن الإيمان، والباقون: بالتخفيف وألف بعد العين(١)؛ أي: مسابقين، يحسبون أنهم يفوتوننا.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ من سيىء العذاب.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٣).

﴿أَلِيمٌ﴾ مؤلم. قرأ ابن كثير، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (أَلِيمٌ) بالرفع صفة (عَذَابٌ)، والباقون: بالجر صفة (رِجْزٍ)[1].

* * *

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾.

[٦] ﴿وَيَرَى﴾ أي: ويعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ هم الصحابة، أو من آمن من أهل الكتاب ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني: القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ أي: يرون المنزل حقاً.

﴿وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ يعني: الإسلام، وليس بمعطوف على ما تقدم؛ لأن الله تعالى لم يُحصِ أعمال الخلق ليهتدوا كلهم إلى صراط مستقيم، لكنه مستأنف على تقدير: وهو يهدي، وقيل: هو معطوف على (الحق) أي: يرون المنزل حقاً وهادياً.

* * *

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾.

[٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ سخرية بنبيهم.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٣).

﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو محمد ﷺ. قرأ الكسائي: (هَل نَّدُلُّكُمْ) وشبهه بإدغام اللام في النون، والباقون: بالإظهار[1].

﴿ يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم، ويقول لكم: ﴿ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ قُطِّعتم كلَّ تقطيع؛ أي: في القبور ﴿ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: تنشؤون خلقاً جديداً بعد تمزيق أجسادكم.

* * *

﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ الألف للاستفهام؛ أي: هو مفتر، أم به جنون؟ فرد الله تعالى ذلك بقوله:

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: البعث.

﴿ فِى ٱلْعَذَابِ﴾ ثم ﴿ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ عن الهدى.

* * *

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ثم أومأ تعالى إلى وحدانيته وعظيم قدرته بقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٤).

﴿أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المعنى: ألم يروا أنهم تحت سمائي وفوق أرضي، فيخافوا عذابي فيؤمنوا؟!

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً﴾ تدل على قدرتنا على البعث.

﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ تائب مقبل على ربه، راجع إليه بقلبه. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَشَأْ) (يَخْسِفْ) (أَوْ يُسْقِطْ) بالياء في الثلاثة خبر عن الله تعالى، وأدغم الكسائي الفاء بالباء، وقرأهن الباقون: بالنون إخباراً عن الله تعالى تعظيماً(1)، وقرأ حفص عن عاصم: (كِسَفاً) بفتح السين جمع كِسْفة؛ أي: قطعاً، وقرأ الباقون: بالإسكان على التوحيد(2)؛ أي: قطعه، وجمعه(3) أكساف وكسوف، واختلافهم في الهمزتين من (السَّمَاءِ إِنْ) كاختلافهم فيهما من (الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

* * *

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ثم ذكر تعالى نعمته على داود وسليمان؛ احتجاجاً على ما منح

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٥).

(٣) «وجمعه» زيادة من «ت».

محمداً؛ أي: لا تستبعدوا هذا، فقد تفضلنا على عبيدنا قديماً بكذا وكذا، فقال تعالى:

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ ﴾ أي: النبوة والملك، وقلنا:

﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى ﴾ رجِّعي ﴿ مَعَهُۥ ﴾ التسبيح، فكان داود إذا سبح، سمع تسبيح الجبال، ويعقل معناه؛ معجزة له؛ كما سمع الخطاب من الشجرة، وعقل معناه ﴿ وَٱلطَّيْرَ ۖ ﴾ أي: وسخرنا له الطير بأصواتها، فكان داود يقول للجبال: سبحي، وللطير: أجيبي، ثم يأخذ في تلاوة الزبور بصوته الحسن، فلا يُرى شيء أحسن من ذلك فمن سمع صدى الجبال. **قراءة** العامة: (وَالطَّيْرَ) بالنصب بإضمار فعل تقديره: وسخرنا الطير، وألنا له الحديد، وقرأ يعقوب: بالرفع رداً على (الجبال)؛ أي: أوبي أنت والطير، ووردت عن عاصم، وأبي عمرو[1].

﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ أي: جعلناه له ليناً كالشمع، فلا يفتقر إلى نار ولا مطرقة.

* * *

﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ ﴾ أمرناه أن اعمل، و(أن) مفسرة لا موضع لها من الإعراب ﴿ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ دروعاً تامة تعم البدن.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٨)، و«القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٦).

﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ أي: اجعل المسامير على قدر الحلَق، والسرد: هو نسج الدروع، وأصل السرد: الوصل، ومنه: سرد كلامه: وصل بعضه ببعض، فكان يعمل كل يوم درعاً، ويبيعها بستة آلاف درهم، ينفق عليه وعلى عياله ألفين، ويتصدق على فقراء بني إسرائيل بأربعة آلاف، وعمل الدروع لأنه كان من عادته أن يَخْرج إلى الناس مُنَكَّراً، ويسأل عن داود وما يقال فيه، فخرج يوماً، فلقيه ملك في صورة آدمي، فسأله عن داود، فقال: نعم العبد هو، إلا أنه يأكل هو وعياله من بيت المال، فتنبه داود، وسأل ربه أن يرزقه سبباً يقوم به، فرزقه صنعة الدروع، قال رسول الله ﷺ: «كان داودُ لا يأكل إلا من كسبِ يدِه»[1] ثم خاطب داود أهله فقال:

﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازيكم عليه.

* * *

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي: وسخرنا له. قرأ أبو بكر عن عاصم: (الرِّيحُ) بالرفع؛ أي: له تسخرت الريح، والباقون: بالنصب، ومنهم

(١) رواه البخاري (٣٢٣٥)، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -. قال ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٤٥٥): فكان ينسج الدروع ويبيعها، ولا يأكل إلا من ثمن ذلك، مع كونه كان من كبار الملوك، قال الله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾.

أبو جعفر، قرأ: (الرِّياح) بفتح الياء وألف بعدها على الجمع[١].

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ جريُها بالغداة مسيرة شهر، وبالعشي كذلك، فكانت تغدو بسليمان وجنوده على البساط من دمشق، فيقيل بإصطخر، وبينهما شهر للراكب المسرع، ويروح من إصطخر، فيبيت بكابل، وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ أذبنا له معدن النحاس، أساله الله حتى صار كالماء، فكان يسيل في الشهر ثلاثة أيام، وكان بأرض اليمن، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان.

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ أي: بأمره، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «سخر الله الجن لسليمان، وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به»[٢].

﴿وَمَن يَزِغْ﴾ يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمرنا به من طاعة سليمان.

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ في الآخرة، وقيل: في الدنيا، وذلك أن الله تعالى وكل بهم ملكاً بيده سوط من نار، فمن زاغ عن أمر سليمان، ضربه ضربة أحرقته.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٦-١٤٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٩٧).

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾ أي: مساجد ﴿ وَتَمَٰثِيلَ ﴾ صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المساجد؛ لينشطوا إلى العبادة والاقتداء بهم، وعملوا له في أسفل كرسيه أسدين، وفي أعلاه نسرين، فإذا صعد، بسط له الأسدان ذراعيهما فارتقى عليهما، فإذا جلس أظله النسران بجناحيهما، ولم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرماً، وكان مما عملوا له بيت المقدس، ابتدأه داود، ورفعه قامة رجل، فأوحى الله إليه أني لم أقض ذلك على يدك، ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضي إتمامه على يده، فلما توفاه الله تعالى، استخلف سليمان ـ عليه السلام ـ، وكان مولده بغزة، وملك بعد أبيه وله اثنتا عشرة سنة، ولما كان في السنة الرابعة من ملكه في شهر أيار سنة تسع وثلاثين وخمس مئة لوفاة موسى ـ عليه السلام ـ، ابتدأ سليمان في عمارة بيت المقدس حسبما تقدم به وصية أبيه إليه، وجمع حكماء الإنس والجن، وعفاريت الأرض، وعظماء الشياطين، وجعل منهم فريقاً يبنون، وفريقاً يقطعون الصخور والعمد من معادن الرخام، وفريقاً يغوصون في البحر فيخرجون منه الدر والمرجان، وكان في الدر ما هو مثل بيضة النعامة، وبيضة الدجاجة، وبنى مدينة بيت المقدس، وجعلها اثني عشر ربضاً، وأنزل كل رَبَض منها سِبْطاً من أسباط بني إسرائيل، وكانوا اثني عشر سبطاً، ثم بنى المسجد بالرخام الملون، وسقفه بألوان الجواهر الثمينة، وفصص سقوفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت، وأنبت الله شجرتين عند باب الرحمة، إحداهما تنبت الذهب، والأخرى تنبت الفضة، فكان في

كل يوم ينزع من كل واحدة مئتي رطل ذهباً وفضة، وفرش المسجد بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة، وبألواح الفيروزج، فلم يكن يومئذ بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد، كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، وفرغ منه في السنة الحادية عشرة من ملكه، وكان ذلك بعد هبوط آدم بأربعة آلاف وأربع مئة وأربع عشرة سنة، وبين عمارة سليمان لمسجد بيت المقدس والهجرة الشريفة النبوية المحمدية ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ ألف وثماني مئة وقريب سنتين، وتقدم ذكر ذلك ملخصاً في سورة الإسراء.

ولما فرغ من بناء المسجد[1]، سأل الله ثلاثاً: سأله حكماً يوافق حكمه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وسأله ألاَّ يأتي هذا المسجدَ أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ سُليمانَ بنَ داود ـ عليهما السلام ـ سأل ربَّه ثلاثاً، فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن يكون قد أعطاه الثالثةَ: سأله حُكماً يصادف حُكمه فأعطاه، وسأله مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده فأعطاه، وسأله: أيُّما رجُلٍ يخرج من بيته لا يُريد إلا الصلاةَ في هذا المسجد، أن يخرج من خطيئته كيومَ ولدته أمُّه، فنحن نرجو أن يكون قد أعطاه إيَّاه»[2].

ولما رفع سليمان يده من البناء بعد الفراغ منه، جمع الناس وأخبرهم أنه

---

(١) في «ت»: «مسجد بيت المقدس».

(٢) رواه النسائي في «سننه» (٦٩٣)، كتاب: المساجد، باب: فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، وابن ماجه (١٤٠٨)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٧٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

مسجد لله تعالى، وهو أمره ببنائه، وأن كل شيء فيه لله تعالى، من انتقصه، أو شيئاً منه، فقد خان الله تعالى، وأن داود عهد إليه ببنائه، ثم اتخذ طعاماً، وجمع الناس جمعاً لم ير مثله، ولا طعام أكثر منه، وقرب القرابين لله تعالى، واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً[1].

واستمر بيت المقدس على ما بناه سليمان أربع مئة سنة وثلاثاً وخمسين سنة حتى غزاه بُخت نصَّر، فخرب المدينة، وهدمها، ونقض المسجد، وأخذ جميع ما كان فيه من الذهب والفضة والجواهر، فحمله إلى دار مملكته من أرض العراق، واستمر خراباً[2] بيت المقدس سبعين سنة كما تقدم ذكره في سورة البقرة [الآية: ٢٥٩] وسورة الإسراء [الآية: ٦][3].

وبنى الشياطين لسليمان باليمن حصوناً كثيرة عجيبة من الصخر ﴿وَجِفَانٍ﴾ قصاع كبار ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ جمع جابية، وهو الحوض الكبير.

قرأ أبو عمرو، وورش عن نافع: (كَالْجَوَابِي) بإثبات الياء وصلاً، وقرأ ابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[4] ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا يحركن عن أماكنهن؛ لعظمهن،

---

(١) رواه بنحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٤٧٧) من حديث رافع بن عمير. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٨): وفيه محمد بن أيوب بن سويد الرملي، وهو متهم بالوضع.

(٢) «خراباً» زيادة من «ت».

(٣) وسلف نحو هذا الخبر عند تفسير الآية (٩٧) و(١١٤) من سورة البقرة.

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٤٧ـ١٤٨).

وكان يُصعد عليها بالسلاليم، وكانت باليمن.

﴿ٱعۡمَلُوٓاْ﴾ أي: وقلنا: اعملوا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ نصبه على النداء؛ أي: اعملوا يا آل داود بطاعة الله ﴿شُكۡرٗاۚ﴾ له على نعمه.

﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ أي: العامل بطاعتي شكراً لنعمتي. قرأ حمزة: (عِبَادِي الشَّكُورُ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[1].

***

﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤﴾.

[١٤] روي أن سليمان ـ عليه السلام ـ كان يتحنث في بيت المقدس الشهر والشهرين، والسنة والسنتين، وأقل وأكثر، وينقطع عن الناس، ويدخل إليه طعامه وشرابه، وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء، ويعلمون ما في غد، فدخل بيت المقدس يوماً، وقال: اللهم عَمِّ موتي على الجن حتى تعلمَ الإنسُ أن الجنَّ لا تعلم الغيب، ثم قام يصلي متكئاً على عصاه، فمات قائماً، وكان لمحرابه كوى بين يديه وخلفه[2]، فكان الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياته، وينظرون إليه يحسبون أنه حي، ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس؛ لطول صلاته قبل ذلك، فمكثوا يدأبون له بعد موته حولاً

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٨).

(٢) «وخلفه» زيادة من «ت».

كاملاً[(١)] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: لما مات.

﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ هي الأرضة.

﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ عصاه؛ لأنها ينسأ بها؛ أي: يؤخر. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (مِنْسَاتَهُ) بألف ساكنة بعد السين من غير همز، وهذه الألف بدل من الهمزة لغة مسموعة صحيحة، قال أبو عمرو بن العلاء: هو لغة قريش، وأصلها الهمز؛ من نسأت الغنم: سقتها بها، **وقرأ** ابن ذكوان: بإسكان الهمزة، لغة غريبة صحيحة ورد بها القرآن، **وقرأ** الباقون: بفتح الهمزة على الأصل، وحمزة إذا وقف جعلها بين بين على أصله[(٢)].

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ سقط على وجهه ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ **قرأ** يعقوب (تُبُيِّنَتِ) بضم التاء والباء وكسر الياء؛ أي: أعلمت الإنس الجن، ذكر بلفظ ما لم يسم فاعله، **وقرأ** الباقون: بفتح التاء والباء والياء[(٣)]؛ أي: علمت الجن وأيقنت ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ أي: في التعب والشقاء المُذِلِّ مسخَّرين لسليمان وهو ميت يظنون حياته، أراد الله بذلك أن يعلم

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٨٢٢٢) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٠٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٩-١٥٠).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٠).

الجن أنهم لا يعلمون الغيب؛ لأنهم كانوا يظنون ذلك؛ لغلبة الجهل، وقيل: معنى تبينت الجن: أي: ظهرت وانكشفت للإنس، وتبين أمرهم أنهم لا يعلمون الغيب؛ لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنس ذلك، فلما خر ميتاً، وعلموا بموته، شكرت الجنُّ الأرضة، فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب.

وتوفي سليمان وله اثنتان وخمسون سنة، فكان مدة ملكه أربعين سنة، فتكون وفاته في أواخر سنة خمس وسبعين وخمس مئة لوفاة موسى ـ عليه السلام ـ، وذلك بعد فراغ بناء بيت المقدس بتسع وعشرين سنة، وبين وفاته والهجرة الشريفة النبوية المحمدية ألف وسبع مئة وثلاث وسبعون سنة، والله أعلم.

* * *

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] فلما فرغ التمثيل لمحمد ﷺ بسليمان ـ عليه السلام ـ، رجع التمثيل للكفار بسبأ، وما كان من إهلاكهم بالكفر والعتو، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ اسم أرض باليمن، أو رجل. قرأ أبو عمرو، والبزي: بفتح الهمزة من غير تنوين، وروى قنبل: بإسكان الهمزة، وقرأ الباقون: بالخفض والتنوين[١]، فمن قرأ منوناً مصروفاً، جعله اسم رجل، ومن قرأ غير مصروف، جعله اسم البلد ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ قرأ حمزة، وحفص:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٠ و٥٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٠ـ١٥١).

(مَسْكَنِهِمْ) بإسكان السين وفتح الكاف بغير ألف على التوحيد، وهو اسم جنس يراد به الجمع، والكسائي، وخلف: كذلك، غير أنهما يكسران الكاف؛ أي: في موضع سكناهم، والباقون: بفتح السين وألف بعدها وكسر الكاف على الجمع[1]؛ لأن كل واحد له مسكن، وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن.

﴿ءَايَةٌ﴾ اسم كان؛ أي: علامة دالة على قدرة الله تعالى ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل من آية؛ أي: بستانان ﴿عَن يَمِينٍ﴾ من بلدهم ﴿وَشِمَالٍ﴾ منه، والمراد: جماعتان من البساتين بها أشجار كثيرة، وثمار طيبة، فقيل لهم:

﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ الذي رزقكم ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما رزقكم من النعمة؛ أي: اعملوا بطاعته.

﴿بَلْدَةٌ﴾ استئناف للدلالة على موجب الشكر؛ أي: هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة ﴿طَيِّبَةٌ﴾ وطيبتها أنها لم يكن بها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وكان يمر بها الغريب فيموت قمله؛ لطيب الهواء.

﴿وَرَبٌّ﴾ أي: وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم ربٌّ ﴿غَفُورٌ﴾ للذنوب مع الإيمان به، وهذا من قول الأنبياء لهم. وقرأ رويس عن يعقوب: (بَلْدَةً طَيِّبَةً وَرَبّاً غَفُوراً) بالنصب في الكل على المدح[2].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥١-١٥٢).

(٢) انظر: «القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١٢١)، و«إملاء مامن به الرحمن» للعكبري (٢/ ١٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٢).

﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] وبعث إليهم ثلاثة عشر نبياً، فذكروهم نعم الله، وخوفوهم عقابه ﴿ فَأَعْرَضُواْ ﴾ وقالوا: ما نعرف لله علينا نعمة، فقولوا لربكم أن يحبس عنا هذه النعمة إن استطاع.

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على سدهم، وهو سد بنته بلقيس بين الجبلين، فحقنت به الشجر، وتركت فيه ثقباً على مقدار ما يحتاجون إليه من الماء ﴿ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾ وهو السيل الذي لا يُطاق، وأصله من العرامة، وهي الشدة والقوة، فخرب السد، وملأ ما بين الجبلين، وحمل الجنات وكثيراً من الناس ممن لم يمكنه الفرار، وأغرق أموالهم، فتفرقوا في البلاد، فصاروا مثلاً، وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام.

﴿ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ ﴾ المذكورتين ﴿ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ ﴾ ثمر ﴿ خَمْطٍ ﴾ وهو شجر الأراك وثمره، وقيل: هو كل شجر مر الثمر. قرأ يعقوب: (بِجَنَّتَيْهُمْ) بضم الهاء، وابن كثير وأبو جعفر: يضمان الميم ويصلانها بواو في اللفظ وصلاً، واختلف عن قالون، وقرأ أبو عمرو ويعقوب (أُكْلِ) بالإضافة من غير تنوين، وقرأ الباقون: بالتنوين، ومنهم نافع وابن كثير يسكنان الكاف، والباقون: يضمونها(١) ﴿ وَأَثْلٍ ﴾ هو الطرفاء، ولا ثمر له، أو شجر يشبه الطرفاء، عطف على (أُكُلٍ).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٢ـ١٥٣).

﴿وَ﴾ كذلك ﴿شَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ شجر معروف، وهو النبق، ووصف بالقلة؛ فإن جناه مما يطيب أكلُه، ولذلك يغرس في البساتين، وما بدلوا من السدر لم يكن من ذاك، بل كان سدراً برياً لا ينتفع به، فكان شجرهم من خير الشجر، فصيره الله من شر الشجر، وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم.

* * *

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ النعمة ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ﴾ يعاقَب؛ أي: وهل يجازى مثلَ هذا الجزاء ﴿إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ البليغ في الكفران.

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (نُجَازِي) بالنون مع كسر الزاي (الْكَفُورَ) بالنصب مفعولاً إخباراً منه تعالى عن نفسه؛ لقوله: (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ) والكسائي على أصله في إدغام اللام من (هل) في النون، وقرأ الباقون: (يُجَازِى) بضم الياء وفتح الزاي، ورفع (الْكَفُورُ)[١].

* * *

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ولما هلك مالهم[٢]، قالوا: نحن نتوب، ويرد علينا خيرنا،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٣-١٥٤).

(٢) «مالهم» زيادة من «ت».

فرد عليهم خير أكثر من ذلك ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر، وهي قرى الشام ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ متقاربة، تظهر الثانية من الأولى؛ لقربها منها، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام، فكانوا يبيتون بقرية، ويَقيلون بأخرى، وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ للمبيت والمقيل، فكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم، فإذا ساروا نصف يوم، وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار، وقلنا لهم: ﴿سِيرُوا فِيهَا﴾ لمصالحكم ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾ أي: ليلاً ونهاراً ﴿آمِنِينَ﴾ من العدو والجوع والعطش.

* * *

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩)﴾.

[١٩] فبطروا النعمة، وسئموا الراحة، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ فاجعل بيننا وبين الشام فلواتٍ ومفاوزَ؛ ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل، وتزود الأزواد، فعجل الله لهم الإجابة بتخريب القرى المتوسطة. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وهشام: (بَعِّدْ) بنصب الباء وكسر العين مشددة من غير ألف مع إسكان الدال، وقرأ الباقون سوى يعقوب كذلك، إلا أنهم بالألف بعد الباء وتخفيف العين[١]، وكلٌّ على وجه الدعاء

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٤_١٥٥).

والسؤال، **وقرأ يعقوب**: (رَبُّنا) برفع الباء (باعَدَ) بفتح العين والدال وألف قبل العين على الخبر[1]، كأنهم استبعدوا أسفارهم القريبة ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بعدم شكر مولاهم.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم يتحدثون بأخبارهم.

﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فرقناهم في البلاد كل التفريق.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ على الوحدانية والقدرة.

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لأنعمه.

* * *

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ **قرأ الكوفيون**: (صَدَّقَ) بتشديد الدال؛ أي: إبليسُ صدق ظنه الذي ظنَّ فيهم، وهو كفرُهم حيث قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، فصدق ظنه، وحققه بفعله ذلك بهم، واتباعهم إياه، **وقرأ الباقون**: بتخفيف الدال[2]؛ أي: صدق عليهم في ظنه بهم، واختلف القراء في إدغام الدال من (قَدْ) وإظهارها عند الصاد من (صَدَّقَ)، فأدغمها أبو عمرو، وحمزة،

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٧).

والكسائي، وخلف، وهشام، وأظهرها الباقون[1].

﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾ الكفار ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: إلا فريقاً هم المؤمنون لم يتبعوه.

* * *

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ (٢١)﴾.

[٢١] ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: ما كان تسليطنا إياه عليهم.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: ليظهر ﴿مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ فيتميز المؤمن من الكافر.

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب.

* * *

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢)﴾.

[٢٢] ﴿قُلِ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنهم آلهة ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، ويعقوب: (قُلِ ادْعُوا) بكسر اللام في الوصل، والباقون: بالضم[2]، وفي الآية حذف؛ أي: ادعوهم لينعموا

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٧/٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٨/٥).

عليكم بجلب نفع أو دفع ضر، لعلهم يستجيبون لكم إن صح دعواكم، ثم أجاب عنهم إشعاراً بتعيين الجواب فقال:

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ في خير أو شر.

﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ في أمر ما.

﴿وَمَا لَهُمْ﴾ لآلهتهم ﴿فِيهِمَا﴾ في السموات والأرض.

﴿مِن شِرْكٍ﴾ أي: شركة مع الله.

﴿وَمَا لَهُ﴾ تعالى ﴿مِنْهُم﴾ أي: الآلهة.

﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ معين، فهو تعالى غني عن خلقه، وآلهتهم عجزة عن كل شيء.

***

﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ﴾ تعالى ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ في الشفاعة لغيره. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (أُذِنَ) بضم الهمزة مجهولاً أقيم (لَهُ) مقام الفاعل، وقرأ الباقون: بفتحها معلوماً[(١)]، الفاعلُ اللهُ تعالى.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أزيل عنها الفزع. قرأ ابن عامر، ويعقوب:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٨).

(فَزَّعَ) بفتح الفاء والزاي، الفاعلُ الله تعالى؛ أي: حتى إذا كشف تعالى الفزعَ عن قلب الشافع والمشفوع له بالإذن في الشفاعة، وقرأ الباقون: بضم الفاء وكسر الزاي[1] مجهولاً[2]؛ كدُفِع إلى زيد: إذا علم المدفوع، المعنى: إذا أذن في الشفاعة، فرحوا، وسأل بعضهم بعضاً استبشاراً، ثم ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ في الشفاعة؟ ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ نصب مفعول؛ أي: قال القول الحق، وهو الإذن في الشفاعة.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ ذو العلو والكبرياء.

* * *

﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ فالرزق من السموات المطر، ومن الأرض النبات ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ يعني: إن لم يقولوا: رازقنا الله، فقل أنت: إن رازقكم الله.

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: ما نحن وأنتم على أمر واحد، بل أحد الفريقين مهتد، والآخر ضال، المعنى: إنا على الهداية يقيناً؛ لأنا موحدون، وأنتم على الضلالة يقيناً؛ لأنكم مشركون، ولم

---

(١) «وكسر الزاي» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٨-١٥٩).

يصرحوا بذلك تأدباً؛ لأنه أدعى إلى الإيمان، وهذا غاية الإنصاف، وقريباً من هذا قولهم: أخزى الله الكاذب.

***

﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ثم أوضح ذلك فقال: ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا ﴾ اكتسبنا من الذنب.

﴿ وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ بل كل مطالب بعمله.

***

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ يوم القيامة ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا ﴾ أي: يقضي.

﴿ بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ﴾ الحاكم في القضايا المنغلقة.

﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بما ينبغي أن يقضى به.

***

﴿ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ﴾ أي: أشركتموهم مع الله تعالى في العبادة، المراد بذلك: إظهار خطأ الكفار بعبادة العاجز، ثم ردهم عن اعتقادهم، فقال: ﴿ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ﴾ وحده ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب على أمره.

﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في تدبيره، فأنى يكون له شريك في ملكه؟!

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ .

[٢٨] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ ﴾ نصب على الحال ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ أي: عامة لهم ﴿ بَشِيرٗا ﴾ بالجنة ﴿ وَنَذِيرٗا ﴾ بالنار، حالان.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ فيحملهم الجهل على مخالفتك. قال ﷺ: «كان النبي يُبعث إلى قومه خاصةً، وبُعثت إلى الناس عامةً»(١)، وقيل: (كَافَّةً)؛ أي: لتكف الناس عن المعاصي، والهاء للمبالغة.

* * *

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٩ ﴾ .

[٢٩] ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي: الكافرون استهزاءً: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ ﴾ الذي تعدوننا به.

﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ يخاطبون به رسول الله ﷺ والمؤمنين.

* * *

﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٠ ﴾ .

[٣٠] ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ ﴾ هو يوم البعث.

﴿ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ إذا فاجأكم، وهو جواب تهديد.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٣٢٨)، كتاب: التيمم، ومسلم (٥٢١)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ ولا بما دل عليه من البعث وغيره ﴿ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ ﴾ من التوراة والإنجيل.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ يا محمد ﴿ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ ﴾ محبوسون.

﴿ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ ﴾ أي: يرد ﴿ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ ﴾ في الجدال.

﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ ﴾ استحقروا، وهم الأتباع.

﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ وهم القادة والأشراف:

﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ لأنكم منعتمونا عن الإيمان.

***

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ ﴾ إنكاراً عليهم.

﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ مشركين باختياركم.

***

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ إبطالاً لإضرابهم بإضرابهم عن مجادلتهم: ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: مكركم بنا دائماً ليلاً ونهاراً، فأجرى الظرف مجرى المفعول به، وأضيف المكر إليهما اتساعاً، تلخيصه: إنما أشركنا بسببكم.

﴿ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ﴾ والند: المثيل والشبيه.

﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ اعتقدوها في نفوسهم؛ أي: كل من المستكبرين والمستضعفين ﴿ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾ في النار من الأتباع والمتبوعين، وقيل استهزاءً بهم وإيجاباً لعذابهم:

﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي في الدنيا؟!

* * *

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ ﴾ أغنياؤها.

﴿ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ هذه الآية تسلية للنبي ﷺ؛ أي: يا محمد! هذه سيرة الأمم، فلا يهمك أمر قومك.

﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾.

[٣٥] ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: الكفار المترفون للفقراء المؤمنين؛ فخراً بزخارف الدنيا.

﴿نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ لأنه أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد، فلا يعذبنا.

* * *

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦﴾.

[٣٦] ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقۡدِرُ﴾ يضيق ابتلاء، وليس في شيء من ذلك دليل على رضا الله تعالى والقرب منه؛ لأنه قد يعطي ذلك(١) إملاء واستدراجاً.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك؛ كأنتم أيها الكفرة.

* * *

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾.

[٣٧] ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم﴾ أي: جماعة أموالكم وجماعة أولادكم ﴿بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ أي: تقريباً، نصب مصدر؛ كـ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧].

---

(١) «ذلك» زيادة من «ت».

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ استثناء منقطع.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ أن تضاعف حسناتهم الواحدة بعشر إلى سبع مئة ﴿بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (جَزَاءً) بالنصب على الحال مع التنوين وكسره وصلاً، ورفع (الضِّعْفُ) بالابتداء؛ كقولك: في الدار زيدٌ قائماً، تقديره: فأولئك لهم الضعف جزاءً، وقرأ الباقون: (جَزَاءُ) بالرفع من غير تنوين، وخفض (الضِّعْفِ) بالإضافة(١).

﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ المنازل الرفيعة ﴿ءَامِنُونَ﴾ من المكاره. قرأ حمزة: (فِي الْغُرْفَةِ) بإسكان الراء من غير ألف على التوحيد على اسم الجنس، والمراد به: الجمع، وقرأ الباقون: بضم الراء مع الألف على الجمع(٢)؛ لقوله: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت: ١٧].

***

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ تقدم تفسيره واختلاف القراء فيه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ من الإحضار.

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٤).

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ﴾ كرر القول بذلك تأكيداً وتبييناً، وقصد به هنا رزق المؤمنين، وليس عليه[١] سوقه على المعنى الأول الذي قيل للكافرين، بل هذا هاهنا على جهة الوعظ والتزهيد في الدنيا، والحض على النفقة في الطاعات، ثم وعد بالخلف في ذلك بقوله:

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ أي: فالله يعوضه هنا بالمال، أو بالقناعة التي هي كنز لا يفنى، وفي الآخرة بالثواب.

﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ خير مَنْ يعطي ويرزق، وقوله: ﴿ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ من حيث يقال في الإنسان إنه يرزق عياله، والأمير جنده، ولكن ذلك من مال يملك عليهم، والله تعالى من خزائن لا تفنى.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «قال الله لي: أَنفِق أُنْفِق عليك»[٢].

وفي «البخاري»: «إن الملك ينادي كل يوم: اللهمَّ أعطِ منفقاً[٣] خَلَفاً، ويقول مَلَكٌ آخَرُ: اللهم أعطِ ممسكاً تلَفاً»[٤].

---

(١) «عليه» ساقطة من: «ت».

(٢) رواه البخاري (٤٤٠٧) كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾، ومسلم (٩٩٣)، كتاب: الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف.

(٣) في «ت»: «كل منفق».

(٤) رواه البخاري (١٣٧٤)، كتاب: الزكاة، باب قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾، =

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: المستكبرين والمستضعفين.

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ إثباتاً للحجة على الكفار: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ في الدنيا؟ وهو استفهام تقرير؛ كقوله لعيسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]. قرأ يعقوب، وحفص عن عاصم: (يَحْشُرُهُمْ) (ثُمَّ يَقُولُ) بالياء فيهما، والباقون: بالنون(١)، واختلافهم في الهمزتين من (هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ) كاختلافهم فيهما من (الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

***

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] فتتبرأ منهم الملائكة ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ الذي نتولاه، ونلتجىء إليه من دونهم، لا موالاة بيننا وبينهم.

﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ يطيعون ﴿ٱلْجِنَّ﴾ أي: الشياطين؛ لأنهم زينوا لهم عبادة الملائكة، فكانوا يطيعونهم.

= ومسلم (١٠١٠)، كتاب الزكاة، باب: في المنفق والممسك، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٥).

﴿ أَكْثَرُهُم ﴾ أي: الكفار ﴿ بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ بالجن وبما يقولون من الكذب، والملائكة بنات الله.

* * *

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢) ﴾.

[٤٢] ثم يقول الله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا ﴾ بالشفاعة.

﴿ وَلَا ضَرًّا ﴾ بالعذاب؛ لأن الأمر كله لله.

﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ قال هنا: (الَّتِي) أراد: النار، وفي السجدة: (الَّذِي) أراد: العذاب.

* * *

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٤٣) ﴾.

[٤٣] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ ﴾ يعنون محمداً ﷺ.

﴿ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ فيستتبعكم بما يستبدعه.

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ ﴾ أي: القرآن ﴿ إِلَّآ إِفْكٌ ﴾ لعدم مطابقة ما فيه الواقع.

﴿ مُّفْتَرًى ﴾ بإضافته إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ والمراد: محمد، والقرآن:
﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر سحريته.

* * *

﴿ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم ﴾ يعني: العرب ﴿ مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ ﴾ يقرؤونها، فيعلمون ذلك.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا ﴾ إلى العرب الذين بعثت ﴿ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴾ وليس المراد: من تقدمه من العرب؛ لأن إسماعيل كان مبعوثاً قبله إلى العرب.

* * *

﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ من الأمم رسلَنا، وهم عاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وغيرهم.

﴿ وَمَا بَلَغُواْ ﴾ كفارُ مكة ﴿ مِعۡشَارَ ﴾ أي عشرَ؛ كالمرباع الربع.

﴿ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ ﴾ أي: الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر.

﴿ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ ﴾ عناداً.

﴿ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: إنكاري عليهم، يحذرهم عذاب من تقدم.

قرأ ورش عن نافع: (نَكِيرِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون بحذفها في الحالين[١].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٦).

﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾ أي: بخصلة واحدة، وهي:

﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ ﴾ أي: لأجله تعالى، وليس المراد: حقيقة القيام، بل الاهتمام بالمطلوب.

﴿ مَثْنَىٰ ﴾ اثنين اثنين ﴿ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ واحداً واحداً في تجريد العناية في البحث عن شأن محمد ﷺ حتى يظهر لكم شأنه.

﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ جميعاً في حاله، فتعلموا.

﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ أي: جنون. قرأ رويس عن يعقوب: (ثُمَّ تَفَكَّرُوا) بتاء واحدة مشددة حيث وصل، ومع الابتداء يظهر التاءين كبقية القراء[(١)].

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ قدامه[(٢)]؛ لأنه ﷺ جاء في الزمن من قبل العذاب الشديد الذي توعدوا به، وفائدة التقييد بالاثنين والفرادى: أن الاثنين إذا التجأا إلى الله تعالى، وبحثا طلباً للحق مع الإنصاف، هدوا إليه، وكذلك الواحد إذا فكر في نفسه مجرداً عن الهوى؛ لأن كثرة الجمع مما يقل فيه الإنصاف غالباً، ويكثر فيها الخلاف.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٧).

(٢) «قدامه» زيادة من «ت».

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ أي: جُعْلٍ على إنذاري وتبليغي الرسالة.

﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ لا أسألكم شيئاً، نحو: ما لي في هذا، فهو لك؛ أي: ليس لي فيه شيء.

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مُطَّلع. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم: (أَجْرِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها(١).

* * *

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يلقيه على الباطل، فيزهقه، والمراد: الوحي، وآيات القرآن، واستعار له القذف من حيث كان الكفار يرمون بآياته وحكمه ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ رفع بخبر (إنَّ)؛ أي: وهو علام الغيوب. قرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: (الْغِيُوبِ) بكسر الغين، والباقون: بضمها(٢).

* * *

---

(١) نظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٧).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٧).

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الإسلام وما فيه من الأحكام.

﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: ذهب فلم يبق منه بقية تُبدىء شيئاً أو تعيد.

* * *

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ولما قال كفار مكة له ﷺ: إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾(١) أي: إثم ضلالي على نفسي.

﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ من القرآن، وهدايتي بفضله، فلا منة عليَّ لغيره.

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ لا يفوته شيء. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(٢).

* * *

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٦١٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣١٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٨).

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ ﴾ حين البعث، وجواب (وَلَوْ) محذوف؛ أي: لرأيت أمراً عظيماً.

﴿ فَلَا فَوْتَ ﴾ لهم من العذاب ﴿ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ من الموقف إلى النار.

* * *

﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ وَقَالُوٓا۟ ﴾ عند معاينة العذاب: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ أي: بمحمد ﷺ.

﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ﴾ أي: ومن أين لهم ﴿ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (التَّنَاؤُشُ) بالمد والهمز، معناه: الطلب؛ أي: وأنى لهم[١] طلب مرادهم وقد بَعُد؟ وقرأ الباقون: بضم الواو دون همز[٢]، معناه: التناول؛ أي: كيف لهم تناول ما بَعُدَ عنهم، وهو الإيمان والتوبة؟

* * *

﴿ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ أي: بالقرآن، وبمحمد ﷺ ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ في الدنيا.

---

(١) «لهم» زيادة من: «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٩).

﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ يعني: وكانوا يتكلمون بالشيء الغائب، وهو قولهم في رسول الله ما ليس فيه ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ من حيث لا يعلمون أنهم غير محققين صدق ما يقولون.

* * *

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من نفع الإيمان حينئذ. قرأ ابن عامر، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (وَحِيلَ) بإشمام الحاء الضمَّ[1] ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ أي: بأشباههم ﴿مِن قَبْلُ﴾ من كَفَرة الأمم الماضية.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ مُوقعٍ لهم في الريبة والتهمة، وهو أقوى ما يكون من الشك، وأشد إطلاقاً، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٠).

سورة فاطر

وتسمى: سورة الملائكة، مكية، وآيها: خمس وأربعون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف ومئة وثلاثون حرفاً، وكلمها: سبع مئة وسبع وسبعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) ﴾.

[١] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ تقدم الكلام فيه أول سورة سبأ وقبلها ﴿ فَاطِرِ ﴾ أي: خالق ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ والمراد: الانفراد بالابتداء؛ لخلقها على غير مثال سبق.

﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ وسائطَ بينه وبين أنبيائه في تبليغ رسالاته بالوحي.

﴿ أُوْلِىٓ ﴾ أي: أصحاب ﴿ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ لبعضهم جناحان، ولبعضهم ثلاثة، ولبعضهم أربعة، وروي أن لجبريل عليه السلام ستَّ مئة جناح، منها اثنان تبلغ من المشرق إلى المغرب[١].

---

(١) روىٰ البخاري (٣٠٦٠)، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين =

﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ من الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَآءُ﴾ تقرير لما يقع في النفوس من التعجب والاستغراب عند الخبر بالملائكة أولي الأجنحة؛ أي: ليس هذا ببدع في قدرته؛ فإنه يزيد في خلقه ما يشاء، قال الجوهري: التواضع في الأشراف، والسخاء في الأغنياء، والتعفف في الفقراء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الزيادة والنقصان. واختلاف القراء في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّ) كاختلافهم فيهما من (نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) في سورة الحج [الآية: ٣٣].

* * *

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿مَّا يَفْتَحِ﴾ أي: ما يرسل ﴿ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ نعمة، ونُكِّرت؛ لتشيع في جميع النعم ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ لا يستطيع أحد حبسها، وأنث الضمير؛ رداً إلى لفظ الرحمة ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد إمساكه تعالى له، وذكر الضمير؛ رداً إلى معناها؛ لأن الرحمة بمعنى الخير ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فيما أمسك.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما أرسل.

* * *

= والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، ومسلم (١٧٤) كتاب: الإيمان، باب: في ذكر سدرة المنتهى، عن زر بن حُبيش قال: حدثنا عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ رأى جبريل له ست مئة جناح.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ ﴾ احفظوا ﴿ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ بشكرها، ولا تنسوها بكفرها، والخطاب لقريش، وهو متجه لكل كافر، ولا سيما لعبَّادِ غيرِ الله، و(نِعْمَت) رسمت بالتاء في أحد عشر موضعاً، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب.

﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ قرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (غَيْرِ اللهِ) بخفض الراء نعتاً لـ: (خَالِقٍ) على اللفظ، وخبرُ الابتداء: ﴿ يَرۡزُقُكُمۡ ﴾ وقرأ الباقون: برفعها نعتاً لـ(خَالِقٍ) محلاً[1]؛ لأن (خالق) مبتدأ محذوف الخبر، و(مِنْ) زائدة، تقديره: هل خالقٌ غيرُ الله يرزقكم﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ المطر ﴿ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ النبات والاستفهام على طريق التقرير؛ أي: لا خالقَ غيرُ الله يرزقكم.

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ فكيف تُصرفون عن الإيمان؟!

* * *

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ثم سلَّى نبيه ﷺ بما سلف من حال الرسل مع الأمم، فقال تعالى:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦١٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٤).

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فتأسَّ بهم في الصبر على تكذيبهم.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ وتنكير الرسل يؤذن بكثرة من كُذِّب منهم. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم(١).

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ﴾ لا خُلْفَ فيه.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان بتزيينه، وقوله: إن الله يغفر الذنوب جميعاً، اعملوا ما شئتم.

* * *

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ قديماً ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فاحذروه.

﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾ أتباعه ﴿لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يسوقهم إلى النار.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٥).

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ثم بين حال موافقته ومخالفته، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾.

***

ونزل في أبي جهل ومشركي مكة، وقيل: في أصحاب الأهواء والبدع:

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ ﴾(١) أي: لُبس عليه ومُوِّه ﴿ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ ﴾ جميلاً؛ بوسوسة الشيطان. واختلاف القراء في قوله: (فَرَآهُ) كاختلافهم في قوله: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ في سورة الأنبياء [الآية: ٣٦]، والاستحسان لغة: هو اعتقاد الشيء حسناً، وعرفاً: العدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل شرعي، وقال به الحنفية، والإمام أحمد في مواضع، وكتب أصحاب مالك مملوءة منه، ولم ينص عليه، وأنكره الشافعي.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ ﴾ تلخيصه: أفمن ضل، كمن هُدي؟!

﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ ﴾ والحسرة: شدة الحزن على ما فات من الأمر؛ أي: لا تغتمَّ بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا. قرأ أبو جعفر:

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦١٧)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ٣٢٥).

(تُذْهِبْ) بضم التاء وكسر الهاء (نَفْسَكَ) بنصب السين، وقرأ الباقون: بفتح التاء والهاء ورفع السين[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

***

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾.

[٩] ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: (الرِّيحَ) بغير ألف على الإفراد، والباقون: بألف على الجمع[2].

﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ هذه آية احتجاج على الكفرة في إنكارهم البعث من القبور، فدلهم تعالى على المثال الذي يعاينونه، وهذا سواء مع إحياء الموتى.

﴿فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ هو الذي لا نبت فيه قد اغبرَّ من القحط. قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مَيِّتٍ) بتشديد الياء، والباقون: بتخفيفها[3] ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ يبسها.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ أي: مثل إخراج النبات من الأرض تخرجون من القبور.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٦).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٧).

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ولما تعزز الكفار بأصنامهم، نزل قوله تعالى:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ المعنى: عزةُ الدارين مختصة بالله سبحانه وتعالى، فلا تُطلب إلا منه بتقواه، ومن أراد التعزز، فليتعزز بطاعته تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ هو: لا إله إلا الله، ونحوها.

﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ ﴾ اختلف في الضمير في (يَرْفَعُهُ) على من يعود؟ فقيل: يرجع إلى الكَلِم، فيكون المعنى: أن الكلم الطيب يرفع العمل الصالح؛ بأن يُتقبل منه بسببه؛ لأن الطاعة إنما تقبل مع التوحيد؛ لأن طاعة الكافر مردودة، وقيل: يرجع إلى (العمل)، فيكون المعنى: أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فكأن التوحيد إنما قُبل بسبب الطاعة؛ لأن التوحيد مع المعصية لا ينفع؛ لأنه يعاقب على المعصية، وقال بعضهم: الفعل مسند إلى الله تعالى؛ أي: والعمل الصالح يرفعه الله تعالى؛ بأن يتقبله، قال ابن عطية ـ رحمه الله ـ: وهذا أرجح الأقوال[١].

﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ﴾ أي: مكروا المكرات ﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ والمراد: مكر المشركين به ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة، وتقدم ذكر القصة في الأنفال، المعنى: المحتالون في هلاكك.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٣١).

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ بما يمكرون ﴿ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الكفار ﴿ هُوَ يَبُورُ ﴾ يكسد ويبطل.

***

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ يعني[١]: آدم ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعني: بالتناسل من مَنِيِّ[٢] الرجال ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ أنواعاً، وقيل: ذكراناً وإناثاً.

﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ إلا معلومة له.

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ ﴾ أي: ما يطول عمر ﴿ مِن مُّعَمَّرٍ ﴾ أي: طويل العمر، سمي بما يؤول إليه ﴿ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ ﴾ أي: من عمر معمر آخر. قرأ يعقوب: (يَنْقُصُ) بفتح الياء وضم القاف، والباقون: بضم الياء وفتح القاف[٣].

﴿ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ هو اللوح المحفوظ.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى تحصيل هذه الأعمار، وإحصاء دقائقها وساعاتها.

***

---

(١) «يعني» زيادة من «ت».

(٢) «مني» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٨).

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ثم ضرب مثلاً للمؤمن والكافر فقال: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ ﴾ يعني: العذب والمالح، ثم ذكرهما.

فقال: ﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ طيب يكسر العطش.

﴿ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ ﴾ لذيذ سلس الدخول في الحلق.

﴿ وَهَٰذَا ﴾ أحدُهما ﴿ مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ شديد الملوحة.

﴿ وَمِن كُلٍّ ﴾ منهما ﴿ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ هو السمك، وصف بالطراوة؛ لتسارع الفساد إليه، فيسارع إلى أكله طرياً.

﴿ وَتَسْتَخْرِجُونَ ﴾ من الملح خاصة.

﴿ حِلْيَةً ﴾ زينة ﴿ تَلْبَسُونَهَا ﴾ وهي اللؤلؤ والمرجان، فدل على أنهما من الحلي، ولم يقل هنا: منه؛ لأنه معلوم، وقد ذكر في سورة النحل.

﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾ تمخر الماء؛ أي: تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة.

﴿ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ تعالى بالتجارة، وكلِّ سفر له وجهٌ شرعي.

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ اللهَ على نعمه، استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم، والمعنى: كما أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث إنهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء، فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته، وكذلك لا يتساوى

المؤمن والكافر، وإن اتفق اشتراكهما في بعض الصفات؛ كالشجاعة والسخاوة؛ لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى، وبقاء أحدهما على الفطرة الأصلية، وهي التوحيد، دون الآخر.

* * *

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ معنى يولج: يُدْخِل، وهذه عبارة عن أن ما نقص من الليل زاد في النهار، فكأنه دخل فيه، وكذلك كل ما نقص من النهار يدخل في الليل.

﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ هي مدة دوره.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾ الإشارة إلى الفاعل لهذه الأشياء.

﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ تعالى من الأصنام.

﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ هي القشرة الرقيقة الملتفة على النواة، وتقدم تفسير الفتيل والنقير في سورة النساء [الآية: ٥٣ و٧١].

* * *

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ﴾ لأنهم جماد.

﴿وَلَوْ سَمِعُواْ﴾ على سبيل الفرض والتمثيل ﴿مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ لعجزهم.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: بإشراككم لهم، وعبادتكم إياهم، ويتبرؤون منكم.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ عالمٍ به، وهو الله تعالى.

* * *

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بكل حال.

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن جميع خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود على صنعه. واختلاف القراء في الهمزتين من (الْفُقَرَاءُ إِلَى) كاختلافهم فيهما من (نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) في سورة الحج [الآية: ٥].

* * *

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بإهلاككم

﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلكم.

* * *

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بمتعذر.

* * *

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي: لا يحمل أحد ذنب غيره، وأما قوله: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ١٣]، فالمراد: الضالون والمضلون، وإضلال تابعيهم من جملة ذنوبهم، فلذلك حملوه.

﴿ وَإِن تَدْعُ ﴾ نفس ﴿ مُثْقَلَةٌ ﴾ بالذنوب ﴿ إِلَىٰ حِمْلِهَا ﴾ الذي عليها من الذنوب.

﴿ لَا يُحْمَلْ مِنْهُ ﴾ من حملها ﴿ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ﴾ المدعو ﴿ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ ذا قرابة؛ كأم وأب وأخ.

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴾ إنما ينتفع بإنذارك ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ أي: يخافونه، ولم يروهُ، وخص الخاشون بالإنذار؛ لأنهم هم المنتفعون به ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ خص من الأعمال إقامة الصلاة؛ تنبيهاً عليها، وتشريفاً لها، ثم أومأ تعالى إلى غناه عن خلقه بقوله:

﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ ﴾ تطهَّر عن دنس المعاصي، وأصلح العمل.

﴿ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ﴾ فصلاحُه مختصٌّ به.

﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ فيجازيهم على تزكيتهم.

***

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ المؤمن والكافر، وقيل: الجاهل والعالم.

﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾ أي: الشرك والإيمان؛ أي: لا تساوي بينهما، وقوله: (وَلاَ النُّورُ) دخول (لاَ) فيها وفيما بعدها إنما هو على نية التكرار؛ كأنه قال: ولا الظلمات والنور، ولا النور والظلمات، فاستغنى بذكر الأوائل عن الثواني، ودل مذكور الكلام على متروكه.

* * *

﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ ﴾ الجنة.

﴿ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ النار، وقال ابن عباس: الحرور: الريح الحارة ليلاً، والسموم نهاراً[١].

* * *

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ ﴾ المؤمنون ﴿ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾ الكفار، وقيل: العلماء والجهال، كلها أمثال ضُربت للمؤمن والكافر.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ ﴾ الإنذارَ سماعَ هداية[٢] ﴿ مَن يَشَآءُ ﴾ إيمانه.

﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ يعني: الكفار، شبههم في عدم الانتفاع بالمقبور.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٢١).

(٢) «الإنذار سماع هداية» زيادة من «ت».

﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ ما أنت إلا منذر تخوفهم بالنار، ونُسخ معناها بآية السيف.

* * *

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ محققين[1] ﴿ بَشِيرًا ﴾ بالوعد ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ بالوعيد.

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ ﴾ من الأمم الماضية ﴿ إِلَّا خَلَا ﴾ مضى ﴿ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ نبي يُنذر من عذاب الله، واكتفى بنذير هنا عن ذكر بشير؛ لدلالته عليه؛ لأن النذارة قرينة البشارة، وهما مذكوران قبل، وأما فترة عيسى، فلم يزل فيها من هو على دينه، وداعٍ إلى الإيمان.

* * *

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ وقد.

﴿ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالمعجزات.

﴿ وَبِٱلزُّبُرِ ﴾ كصحف إبراهيم ﴿ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ الواضح، وهو التوراة والإنجيل، والبينات والزبر والكتاب المنير شيء واحد، لكنه أكد

(١) في «ت»: «محقين».

أوصافه بعضها ببعض، وذكره بجهاته، والزبور من زبرت الكتاب: إذا كتبته.

* * *

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ثم توعد قريشاً بذكر الأمم الكافرة فقال: ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: إنكاري بالعقوبة، وتقدم اختلاف القراء في (نَكِيرِ) في آخر سبأ [الآية: ٤٥].

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ المراد: رؤية القلب ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ورجع من خطاب بذكر الغائب إلى المتكلم بنون العظمة؛ لأنه أهيبُ في العبارة.

فقال: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾ بالماء ﴿ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ ﴾ كالخضرة والصفرة والحمرة والبياض والسواد، وغير ذلك، وقيل: المراد: أجناسها وأصنافها، قدم النعت على الاسم، فلذلك نصب.

﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ ﴾؛ أي: طرق تكون في الجبال ﴿ بِيضٌ وَحُمْرٌ ﴾ واحدتها جُدَّة.

﴿ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ ﴾ بالشدة والضعف.

﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ أي: وطرق سود كالغرابيب؛ تشبيهاً بالغراب، يقال: أسود غِرْبيب؛ أي: شديد السواد.

* * *

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ﴾ أي: كاختلاف الثمرات والجبال، وتم الكلام هاهنا، ثم ابتدأ.

فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ قال ابن عباس: «يريد: إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني(١)»، وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن بأنه لا يخشى اللهَ تعالى إلا العلماءُ، ولو عكس، لكان المعنى: أن العلماءَ لا يخشون الله(٢) نحو ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده. واختلاف القراء في الهمزتين من (العُلَمَاءُ إِنَّ) كاختلافهم فيهما من ﴿ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾(٣) [فاطر: ١٥].

* * *

(١) «وسلطاني» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «لا يخشون أحداً إلا الله».

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٦٢٢).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ ﴾.

[٢٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ يداومون على قراءة القرآن، ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ بجميع شروطها.

﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ في الصدقات ووجوه البر، فالسر من ذلك هو التطوع، والعلانية هو المفروض، وخبر (إِنَّ): ﴿ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴾ أي: تكسد ويتعذر ربحها.

* * *

﴿ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠ ﴾.

[٣٠] ﴿ لِيُوَفِّيَهُمۡ ﴾ بالإنفاق ﴿ أُجُورَهُمۡ ﴾ أي: ثواب التلاوة وإقامة الصلاة وإنفاقهم.

﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾ سوى الثواب ما لم تر عين، ولم تسمع أذن.

﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٞ ﴾ لهم ذنوبهم ﴿ شَكُورٞ ﴾ مثيب لأعمالهم.

* * *

﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ﴾.

[٣١] ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ يعني: القرآن، و(مِن) للتبيين.

﴿ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا ﴾ حال مؤكدة.

﴿ لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ ﴾ لما تقدمه من الكتب المنزلة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٌ ﴾ عالم بالبواطن والظواهر.

***

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ﴾ أي: أعطينا ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن، و(ثُمَّ) للترتيب، تقديره: والذي أوحينا إليك، ثم أورثناه ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ هم أمتك يا محمد، ثم قسمهم.

فقال: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ هو الذي رجحت سيئاته ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ هو الذي ساوت حسناته سيئاته ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ ﴾ إلى الجنة ﴿ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ بالأعمال الصالحة، وهو الذي رجحت حسناته ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ بتوفيقه، والأصناف الثلاثة في الجنة، قال ﷺ: «سابقُنا سابق، ومقتصدُنا ناجٍ، وظالمنا مغفورٌ له»[(١)].

---

(١) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١١١)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٦٢٤)، من طريق الفضل بن عميرة، عن ميمون بن سياه الكردي، عن أبي عثمان النهدي، عن عمر، به. قال العقيلي: الفضل بن عميرة لا يتابع على حديثه، ويروى من غير هذا الوجه بإسناد أصلح من هذا.
قلت: وهو ما رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢/ ١٥١ـ ١٥٢) من طريق فرج ابن فضالة، عن الأزهر بن عبد الله الحرازي، عن عمر، به. وبإسناده ليس بالقوي، كما ذكر البيهقي في «البعث والنشور». وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ١٥٢ـ ١٥٣). قال الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٦٢٢)=

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إيراثهم الجنة ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

***

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ومما يدل على دخولهم جميعهم الجنة قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ مبتدأ، خبره ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ قرأ أبو عمرو: بضم الياء وفتح الخاء مجهولاً، فالواو قام مقام الفاعل، والباقون: بنصب الياء وضم الخاء معلوماً[١]، فالواو الفاعل.

﴿يُحَلَّوْنَ﴾ نساءً ورجالاً ﴿فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة، و(مِنْ) تبعيض ﴿مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ روي أن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ[٢]، هذه حليتهم.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وأبو جعفر: (وَلُؤْلُؤاً) بالنصب على معنى: ويحلَّون لؤلؤاً، فأبو جعفر يترك الهمزتين، فيسكن الواو الأولى، وينصب الثانية، وأبو بكر عن عاصم يترك الأولى فقط، وقرأ

= عند إيراده لهذا الحديث: فليحذر المقتصد، وليملك الظالم لنفسه حذراً، وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله، ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه، فإن شرط ذلك صحة التوبة.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٨٥).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣/ ٦٢٣).

الباقون: بالخفض عطفاً على (أَسَاوِرَ)، وأبو عمرو يترك الهمزة الأولى[1]، وتقدم في سورة الحج اختلاف الأئمة في حكم الحرير والجلوس عليه عند تفسير نظير هذه الآية.

* * *

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: ويقولون إذا دخلوا الجنة:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ أي: أزال عنا كل شيء يوجب الحزن.

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿شَكُورٌ﴾ مثيب للمطيعين.

* * *

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ بمعنى: الإقامة.

﴿مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب.

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ إعياء ومشقة، فاللغوب: نصب وزيادة؛ لأنه نتيجة النصب.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٤ـ٥٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٨٥ـ١٨٦).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ ﴾ لا يحكم ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ بالموت.

﴿ فَيَمُوتُواْ ﴾ نصب جواب النفي.

﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ﴾ مثلَ ذلك الجزاء.

﴿ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ مبالغ في الكفر والكفران. قرأ أبو عمرو: (يُجْزَى) بالياء وضمها وفتح الزاي مجهولاً، ورفع (كُلُّ) مفعول المجهول، وقرأ الباقون: بالنون وفتحها وكسر الزاي، ونصب (كُلَّ) مفعولاً صريحاً[١]، المعنى: الكفار معذبون أبداً.

* * *

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ أي: يستغيثون في جهنم بشدة وعويل، يقولون:

﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا ﴾ منها ﴿ نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ ﴾ لأنهم كانوا يعتقدون صلاح عملهم في الدنيا، فأجيبوا توبيخاً:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٨٧).

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ المعنى: ألم نطل أعماركم وقتاً يتذكر فيه التوبة من تذكر، وتعطف على معنى[1] ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ ما بعد؛ لأن لفظه استخبار، ومعناه إخبار، تقديره: عمرناكم.

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ محمد ﷺ، وقيل: القرآن، وقيل: الشيب، ويجوز أن يراد: كُلُّ ما يؤذن بالانتقال.

﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب.

***

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٣٨)﴾.

[٣٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والغيب: ما غاب عن البشر؛ أي: لا يخفى عليه خافية.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: ما فيها من المعتقدات، تعليل لهم؛ لأنه إذا علم مضمرات الصدور، وهي أخفى ما يكون، علم كل غيب، و(ذَاتُ) تأنيث (ذو).

***

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩)﴾.

[٣٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جمع خليف؛ أي: يخلف بعضكم بعضاً.

---

(١) «معنى» ساقطة من «ت».

﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: وبالُ كفره.

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ بغضاً[1] واحتقاراً.

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: خسروا آخرتهم ومعادهم.

* * *

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا﴾ أيَّ شيء.

﴿خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي: شركة مع الله تعالى.

﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: في خلقها، المعنى: أخبروني عن هؤلاء الشركاء بزعمكم، أَستبدوا بخلق شيء، أم شاركوه تعالى في شيء من خلقه.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ هل أعطينا كفار مكة أو الأصنام.

﴿كِتَٰبًا﴾ ينطق بأنهم شركاؤه.

﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ أي: على حجة وبرهان من ذلك الكتاب. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وخلف، وحفص عن عاصم: (بَيِّنَةٍ) بغير ألف على التوحيد إرادة الجنس، وقرأ الباقون: (بَيِّنَاتٍ) بالألف على الجمع[2]؛

---

(١) «بغضاً» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٨٨).

لكثرة ما جاء به ﷺ، ورسمها بالتاء، تلخيصه: هل لمعبوديكم ما يستحقون أن يعبدوا بسببه؟

﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم﴾ الرؤساء ﴿بَعْضًا﴾ الأتباع.

﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً، وهو ما يغر الإنسان.

***

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ﴾ يضبط ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن﴾ أي: كي لا ﴿تَزُولَا﴾ رُوي أنه لما قالت النصارى: المسيح ابن الله، واليهود: عزير ابن الله، كادت السموات والأرض أن تزولا وتعدما، فأمسكهما الله تعالى[١].

﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ﴾ أي: ما ﴿أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ من بعد إمساكه.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حيث أمسكهما عن الزوال بحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة.

***

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ولما بلغ قريشاً أن أهل الكتاب كذبوا رسلَهم، حلفوا إن جاءهم

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٧) عن الكلبي، وقال: وهو كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: ٨٩ـ٩٠].

رسول، اتبعوه، فنزل: ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كفار مكة.

﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ منصوب على المصدر؛ أي: بغاية اجتهادهم.

﴿لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يعني: من اليهود والنصارى؛ لأن كل واحدة منهما أمم، وليس المراد: إحدى الأمتين دون الأخرى، بل هما جميعاً؛ لأن (إحدى) شائعة فيهما تصلح لكل واحدة منهما، ولم يقل: الأمتين، [ولا الأمم بلا إحدى؛ ليعم جميع أفراد الأمتين](١)؛ لأن (إحدى) تأنيث (أحد)؛ كأنه قال: ليكونن أهدى من كل واحدة من الأمم، ولو حذف إحدى، لجاز أن يراد: بعض الأمم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ هو محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيء النذير من الإيمان.

﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: تباعداً عن الهدى.

* * *

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣)﴾.

[٤٣] ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ بدل من (نُفُوراً)، ثم تعطف على (نُفُوراً)، أو (استكباراً) ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ العمل القبيح، وأضيف المكر إلى السيىء وهو صفته كما قيل: دار الآخرة، ومسجد الجامع، وجانب الغربي. قرأ حمزة: (السَّيِّءْ) بإسكان الهمزة في الوصل؛ لتوالي الحركات تخفيفاً، كما

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

أسكنها أبو عمرو في (بَارِئْكُمْ) لذلك، قال الكواشي: وزعم بعضهم لجهله بكلام العرب أنه لحن، وهو اللاحن، ونصر العلامة ابن الجزري في «النشر» صحتها، وقرأ الباقون: بكسرها، وإذا وقف حمزة، أبدلها ياء خالصة، وكذلك هشام إذا خفف من طريق الحلواني، إلا أنه يزيد على حمزة بالروم بين بين[1].

﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط[2] ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ أي: وَبالُ الشرك مختص بمن أشرك. واختلاف القراء في الهمزتين من (السَّيِّءُ إِلاَّ) كاختلافهم فيهما من (نَشَاءُ إِلَى) في سورة الحج.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: هل ينتظرون هؤلاء إلا نزول العقاب بهم كما نزل بمن تقدمهم.

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ﴾ في نزول العذاب بالكفار.

﴿تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ للعذاب إلى غير مستحقه، ورسمت (لِسُنَّتِ) في الموضعين بالتاء، ووقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب[3].

***

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٢ـ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٨٩ـ١٩٠).

(٢) «يحيط» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩١).

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ ﴾ أي: المشركون

﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى متاجرهم.

﴿ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ ﴾ هلكوا.

﴿ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ لما كذبوا الرسل.

﴿ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ فأُهلكوا مع ذلك.

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بالأشياء كلها ﴿ قَدِيرًا ﴾ عليها.

***

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ ﴾ أي: لو جازى على الذنوب في الدنيا ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾ أي: على ظهر الأرض ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ يعني: لأهلك الجميع، وقوله: ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ مبالغة، والمراد: بنو آدم؛ لأنهم المجازون.

﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وقتٍ معلوم، وهو القيامة.

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴾ توعد، وفيه للمتقين وعد. واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَجَلُهُمْ) كاختلافهم فيهما من (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تقَعَ) في سورة الحج [الآية: ٦٥]، والله أعلم.

* * *

سورة يس

عليه السلام

مكية، وآيها: ثلاث وثمانون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وعشرون حرفاً، وكلمها: سبع مئة وسبع وعشرون كلمة.

روى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل شيء قلباً، وإن قلبَ القرآن يّس»(١)، وروي: «من قرأ يّس، كتب الله له بقراءتها قراءةَ القرآن عشرَ مرات»(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يسٓ ۝١﴾.

[١] ﴿يسٓ﴾ أمال الياء: حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وروح عن يعقوب، وفتحها الباقون، وأبو جعفر يقطع الحروف

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٨٧)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل يس، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفيه هارون أبو محمد شيخ مجهول، وفي الباب عن أبي بكر الصديق، ولا يصح من قِبل إسناده وإسناده ضعيف، وفي الباب عن أبي هريرة.

(٢) هو قطعة من حديث أنس السابق.

على أصله، وأدغم نون السين في الواو بغنة: الكسائي، ويعقوب، وخلف، وهشام راوي ابن عامر، واختلف عن نافع، وعاصم، والبزي راوي ابن كثير[1] وابن ذكوان راوي ابن عامر، وقرأ الباقون: بالإظهار وجهاً واحداً، وهم أبو عمرو، وحمزة، وأبو جعفر، وقنبل راوي ابن كثير، والخلاف في معنى (يس) كما تقدم في الحروف المقطعة في أوائل السور، وتختص هذه بأقوال، منها: أن سعيد بن جبير قال: «إنه من أسماء محمد ﷺ»[2] دليله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وعن ابن عباس: «معناه: يا إنسان! بلغة طيء»، وقال أبو بكر الوراق: معناه: يا سيد البشر.

* * *

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أي: المحكم. قرأ ابن كثير: (وَالْقُرَانِ) بالنقل، والباقون: بالهمز[3].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٧ـ١٨ و٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩٥ـ١٩٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٣١)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٤).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩٦).

﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ المعنى: أنه تعالى أقسم بالقرآن أن محمداً من المرسلين، وهو رد على الكفار حيث قالوا: ﴿ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ [الرعد: ٤٣].

***

﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: طريق هدى، ومهيع: رشاد لا اعوجاج فيه، ولا عدول عن الحق، ولم يقسم الله ـ تبارك وتعالى ـ لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له ﷺ، وهو خبر بعد خبر إنه من المرسلين، وإنه على صراط مستقيم. قرأ قنبل عن ابن كثير، ورويس عن يعقوب: (السِّرَاط) بالسين، وأشم الصاد الزاي: حمزة، والباقون: بالصاد[١]، وكلها لغات صحيحة.

***

﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَنْزِيلَ) بنصب اللام بإضمار أعني، أو فعله؛ أي: نزله تنزيلَ، وقرأ الباقون: بالرفع[٢]؛ أي: هو تنزيلُ.

***

(١) سلف عند تفسير الآية (٥) من سورة الفاتحة.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩٧).

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ﴾ نفي؛ أي: لم تنذرْ ﴿ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ لأن قريشاً لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ ﴿ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ عن الإيمان والرشد.

* * *

﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ ﴾ وجب العذاب ﴿ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ ﴾ أي: أهل مكة بالكفر.

﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لما سبق في علمه تعالى من عدم إيمانهم.

* * *

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ولما حلف أبو جهل أن يرضخ رأس النبي ﷺ بحجر إن رآه يصلي، فرآه ساجداً، فأراد أن يلقي عليه حجراً، فلزق في يده، وتشبثت يده في عنقه، نزل قوله تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا ﴾(١) أراد: في أعناقهم وأيديهم؛ لأن الغُلَّ لا يكون في العنق دون اليد.

﴿ فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ ﴾ جمع ذقن، وهو مجتمع اللحيين؛ أي: فأيديهم مجموعة إلى أذقانهم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٩٥) عن عكرمة. وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٢).

﴿ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾ رافعو رؤوسهم مع غض الأبصار لا يستطيعون الإطراق؛ لأن من غُلَّت يده إلى ذقنه، ارتفع رأسه.

***

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] فلما عاد أبو جهل إلى أصحابه، وأخبرهم بما رأى، وسقط الحجر من يده بعد أن فكوه عنها بجهد، قال رجل من بني مخزوم: أنا أقتله بهذا الحجر، فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر، فأعمى الله بصره، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه، وأخبرهم بالحال فنزل: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (سَدّاً) بفتح السين فيهما، وقرأ الباقون: بالضم[1]، وهما لغتان، والسدُّ: ما سدَّ وحال.

﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ ﴾ أعميناهم؛ من التغشية.

﴿ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ طريقَ الهدى، أو محمداً ﷺ حيث أرادوه بالسوء.

***

﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: مستوٍ عندهم.

﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ أعلمتهم محذِّراً.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩٨).

﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه مخاطبة لمحمد ﷺ، وضمنها تسلية له عنهم؛ أي: إنهم قد ختم عليهم بالكفر، فسواء إنذارك وتركه، والألف في قوله: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) ألفُ التسوية؛ لأنها ليست كالاستفهام، بل المستفهم والمستفهم مستويان في علم ذلك. قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وأبو جعفر، وقالون عن نافع، ورويس عن يعقوب: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية بين الهمزة والألف، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون: يفصلون بين الهمزتين بألف، وورش: يبدلها ألفاً خالصة، وروي عنه التسهيل بين بين، وقرأ الباقون، وهم الكوفيون، وابن ذكوان راوي ابن عامر، وروح راوي يعقوب: بتحقيق الهمزتين من غير فصل بينهما، واختلف عن هشام راوي ابن عامر في الفصل بألف مع تحقيق الهمزتين، واختلف عنه أيضاً في تسهيل الثانية بين بين وتحقيقها.

* * *

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (11)﴾.

[11] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ أي: إنما ينفع إنذارك ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ القرآنَ، وعمل به ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: بالخلوات عند[1] مغيب الإنسان من عيون البشر.

﴿فَبَشِّرْهُ﴾ وحد الضمير مراعاة للفظ.

﴿بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة.

---

(1) في «ت»: «عن».

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ عند البعث ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ ﴾ أسلفوا من الأعمال من خير وشر؛ ليجازوا عليه ﴿ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾ ما سَنُّوا من حسنة وسيئة.

﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ ﴾ حفظناه وبيناه.

﴿ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ هو اللوح المحفوظ.

قال ﷺ: «مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنةً حسنةً يُعمل بها من بعده، كان له أجرُها ومثلُ أجر من عمل بها من غير أن ينقصَ من أجورهم شيئاً، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّةً سَيِّئة يُعمل بها مِنْ بعده، كان عليه وِزْرُها ووزرُ من عمل بها مِن غير أن يَنْقُصَ من أوزارهم شيئاً»(١).

***

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ أي: مَثِّل للمشركين مثلاً من قصة أصحاب القرية، وهي أنطاكية.

﴿ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ رسلُ عيسى عليه السلام.

***

(١) رواه مسلم (١٠١٧) كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (١٦/ ٢٢٧): وسواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه، أم كان مسبوقاً إليه.

﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا ﴾ أي: أَرسل عيسى بأمرنا ﴿ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ ﴾ هما يوحنا ويونس؛ ليدعواهم إلى الإسلام، فقربا منها، فرأيا شيخاً، وهو حبيب النجار، فأخبراه خبرهما، فقال: هل من آية؟ قالا: نبرىء الأكمه والأبرص والمريض، فأبرأا خلقاً كثيراً، فدعاهما الملك، واسمه أنطيخس، وكان من ملوك الروم يعبد الأصنام، فقال: لم جئتما؟ قالا: ندعوك إلى عبادة الرحمن، فقال: أَلَنا رَبٌّ سوى آلهتنا؟ قالا: نعم، من أوجدك وآلهتك، فقال: قُوما حتى أنظر في أمركما، فذهبا عنه.

﴿ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ وضربوهما وحبسوهما.

﴿ فَعَزَّزْنَا ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: بتخفيف الزاي؛ من عزه: غلبه، فالمفعول محذوف؛ أي: غلبنا أهل المدينة ﴿ بِثَالِثٍ ﴾ وقرأ الباقون: بتشديدها[1]؛ من القوة، والمفعول محذوف أيضاً؛ أي: قوينا المرسلين برسول ثالث، وهو شمعون الصفا رأس الحواريين؛ لأن عيسى بعثه بعد الرسولين تقويةً لهما، فتوصل إلى أن أَنِسَ به الملك، فقال له يوماً: سمعتُ إنك حبست رجلين، فهل سمعت ما يقولان؟ قال: لا، فأحضرهما، فقال لهما شمعون: من أرسلكما؟ قالا: الله، قال: صِفاه وأوجزا، قالا: يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فدعا بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة، فدعوا الله، فانشق له بصره، فقال شمعون للملك: ادع إلهك

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩٩).

حتى يصنع كذلك، فيكون لك وله الشرف، فقال له: ليس لي دونك سر، إن إلهي لا يسمع ولا يبصر، ولا ينفع ولا يضر، ثم قال لهما شمعون: إن قدر إلهكما على إحياء ميت، آمنا به، فجيء بميت من سبعة أيام، فدعوا علانية، وشمعون سراً، فحيي الغلام فقال: دخلت في سبعة أودية من نار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه، فآمنوا، وقال: فتحت أبواب السماء، فرأيت شاباً يشفع لهؤلاء الثلاثة، قال الملك: ومن هم؟ قال: شمعون، وهذان، فآمن الملكُ وبعض أصحابه بعد أن أخبره شمعون بالحال، وكفر آخرون.

﴿فَقَالُوٓاْ﴾ أي: رسل عيسى.

﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم﴾ أي: أهل أنطاكية ﴿مُّرۡسَلُونَ﴾[1].

***

﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥﴾.

[١٥] ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ لا مزيةَ لكم علينا.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ وحي ورسالة.

﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ في دعواكم.

***

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾.

[١٦] ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ وقوله: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾ جرى مجرى القسم في التوكيد، وكذلك: شهد الله، وعلم الله، ولم يأت باللام

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٤)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ١٤).

في (مرسلين) الأول، وأتى بها في الثاني؛ لأن الأول ابتداء إخبار، والثاني جواب إنكار.

* * *

﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٧﴾.

[١٧] ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ التبليغ الظاهر الأدلة الواضحة؛ لأنه لو ادعى إنسان شيئاً، وقال: والله إني لصادق بلا بينة، استُقبح ذلك، ولم يُسمع قولُه.

* * *

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨﴾.

[١٨] فثم ﴿قَالُوٓا۟﴾ للرسل: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾ تشاءمنا ﴿بِكُمْ﴾ وذلك أن المطر حُبس عنهم، ثم قالوا للرسل:

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟﴾ عن مقالتكم ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ لنقتلنكم بالحجارة.

﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* * *

﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝١٩﴾.

[١٩] ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم﴾ شؤمكم ﴿مَّعَكُمْ﴾ بكفركم، ثم أدخل همزة الاستفهام على الشرط توبيخاً لهم، فقال:

﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ وُعظتم، وجواب الشرط محذوف؛ أي: أئن ذُكِّرتم تطيرتم بنا وكفرتم؟! قرأ أبو جعفر: (أَأَنْ) بفتح الهمزة الثانية وتسهيلها بين

بين، ويفصل بين الهمزتين بألف، وقرأ (ذُكِرْتُمْ) بتخفيف الكاف، وقرأ الباقون: بكسرها، وهم في التسهيل والتحقيق والفصل وعدمه على أصولهم كما تقدم في (أئِنَّ لَنَا لأَجْراً) في سورة الشعراء [الآية: ٤١]، وقرؤوا (ذُكِّرْتُمْ): بتشديد الكاف[1].

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ مشركون مجاوزون الحدَّ.

* * *

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ وهو حبيب النجار، وكان قد آمن بالرسل، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة.

﴿يَسْعَىٰ﴾ يشتد عَدْواً؛ ليعلِمَ الرسلَ بذلك.

ثم ﴿قَالَ﴾ لقومه: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

* * *

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ على تبليغ الرسالة.

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ إلى خير الدارين.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٩ـ٣٧٠ و٢/ ٣٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٠ـ٢٠٢).

﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] فقالوا: أنت على دينهم، وكان يكتم إيمانه، فقال عاتباً على نفسه؛ تنبيهاً لهم، وإثباتاً للحجة عليهم: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ بعد الموت فيجازيكم. قرأ حمزة، ويعقوب، وخلف: (وَمَا لِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[1]، أضاف الفطرة إلى نفسه، والرجوع إليهم؛ لأن الفطرة أثر النعمة، وكان عليه أظهر، وفي الرجوع معنى الزجر، وكان بهم أليق. وقرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم.

***

﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: لا أتخذ من دونه آلهة. واختلاف القراء في الهمزتين من (أَأَتَّخِذُ) كاختلافهم فيهما من (أَأَنْذَرْتَهُمْ).

﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ ﴾ بسوء ﴿ لَّا تُغْنِ ﴾ لا تدفع ﴿ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ ﴾ أي: شفاعة الأصنام ﴿ شَيْـًٔا ﴾ أي: لا شفاعة لها فتغني ﴿ وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ من مكروه ما. قرأ أبو جعفر: (يُرِدْنِي) بإثبات الياء ساكنة وقفاً، مفتوحة

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٢).

وصلاً، وافقه يعقوب وقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[1]، **وقرأ** ورش: (يُنْقِذُونِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[2].

* * *

﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤﴾.

[٢٤] ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ إن عبدت غيره.

* * *

﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾.

[٢٥] ثم أظهر إيمانه بقوله: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ أي: أطيعون. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنِّي إِذاً) (إِنِّي آمَنْتُ) بإسكان الياء فيهما، وافقهما ابن كثير في الأول، **وقرأ** يعقوب: (فَاسْمَعُونِي) بإثبات الياء[3].

* * *

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾.

[٢٦] فلما قال ذلك، وثب إليه القوم وثبة رجل واحد، فقتلوه، فمات

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٦-٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٣).

(٣) المصادر السابقة.

وهو يقول[1]: اللَّهُمَّ اهدِ قومي، وقبره بأنطاكية، فلما قتله قومه ﴿قِيلَ﴾ له: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ فلما أفضى إلى الجنة ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

***

﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)﴾.

[٢٧] ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ أي: بالذي غفر لي من الذنوب.

﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ ليؤمنوا، أراد بذلك الإشفاق والنصح لهم؛ أي: لو علموا ذلك، لآمنوا بالله تعالى، وفي ذلك قال النبي ﷺ: «نصحَ قومَه حياً وميتاً»[2]، وقال قتادة: نفعهم على حالة الغضب والرضا، وكذلك المؤمن لا يكون إلا ناصحاً للناس.

***

﴿۞ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨)﴾.

[٢٨] فلما قُتل حبيب، غضب الله له، وعجل لهم النقمة، فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة، فهلكوا عن آخرهم، فذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ أي: قوم حبيب ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد إهلاكهم ﴿مِن

---

(١) «يقول» ساقطة من «ت».

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٠) عن ابن عباس، ورواه ابن مردويه كما قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» من حديث المغيرة بن شعبة، في قصة عروة بن مسعود.

﴿جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [أي: إن الله كفى أمرهم بصيحة ملك، ولم ينزل لإهلاكهم جند من السماء][1].

﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ ملائكةً بعد إهلاك هؤلاء لتعذيب أحد، و(ما) في هذين الحرفين نافية.

* * *

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ثم بين عقوبتهم فقال: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ رُوي أن جبريل أخذ بعضادتي باب المدينة، ثم صاح بهم صيحة واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ ميتون، شبهوا بالرماد الذي خمدت ناره وطفئت. قرأ أبو جعفر: (صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ) بالرفع فيهما على أن (كان) تامة، و(صيحةٌ) فاعل؛ أي: ما وقعت إلا صيحة واحدة، وقرأ الباقون: بالنصب على أن (كان) ناقصة[2]؛ أي: ما كانت هي؛ أي: الأخذة، إلا صيحةً واحدة.

* * *

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ والحسرة: أن يلحق الإنسان من الندم ما يصير به حسيراً، ونصب (حَسْرَةً) منادى، ومعنى النداء: احضري، فهذا

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٤).

موضع حضورك، المعنى: يا حسرة من العباد على أنفسهم، وتندماً وتلهفاً في استهزائهم برسل الله، وعدم إيمانهم بهم، ثم بين سبب الحسرة والندامة.

فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ تمثيل لفعل قريش.

* * *

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أهل مكة رؤيةَ البصر ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ وهم أهل كل عصر، سُموا بذلك؛ لاقترانهم بالوجود، و(كَمْ) هنا خبرية ﴿أَنَّهُمْ﴾ أي: الماضين ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إلى المكيين ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: من مات لا يعود إلى الدنيا، أفلا يعتبرون؟!

* * *

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾. قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر بخلاف عنه: (لَمَّا) بالتشديد، جعلوا (إنْ) بمعنى الجحد، و(لَمَّا) بمعنى إلاَّ، تقديره: وما كلٌّ إلاَّ جميع، وقرأ الباقون: بالتخفيف[1]، جعلوا (إنْ) للتحقيق، و(ما) صلة، مجازه: وكلٌّ لَجميع لدينا، المعنى: كل الخلائق يجتمعون لدينا في الموقف للحساب.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٦).

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ اليابسة. قرأ نافع، وأبو جعفر: (الْمَيِّتَةُ) بتشديد الياء، والباقون: بتخفيفها ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ بالماء.

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ جنسَ الحب؛ كالحنطة والشعير وما أشبههما.

﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ وخص الحب بالذكر؛ لأنه أكثر المطلوب.

* * *

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ أي: في الأرض ﴿مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر: (الْعِيُونِ) بكسر العين، والباقون: بضمها[١].

* * *

﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ثم علل تفجير العيون فقال: ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ثُمُرِهِ) بضم الثاء والميم؛ أي: الأموال الكثيرة

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٤-٣٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٠٦).

المثمرة من كل صنف، جمع ثمار، وقرأ الباقون: بفتحها[1]؛ أي: ليأكلوا من الثمر الحاصل بالماء مما يخرجه الشجر[2].

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (عَمِلَتْ) بغير هاء ضمير، حذفت من صلة الاسم، وهي مرادة، وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك، وقرأ الباقون: بالهاء، ووصلها ابن كثير على أصله، وهي في مصاحفهم كذلك[3]؛ أي: يأكلون من الذي عملته أيديهم من الزرع والغرس، والهاء عائدة إلى (ما) التي هي بمعنى الذي.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَ الله عليهم؟

* * *

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)﴾.

[٣٦] ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ من الحبوب والثمار ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ من دوابِّ البر البحر.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٤٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٧).

(٢) في «ت»: «الثمر».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٧).

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ﴾ تدلُّ على قدرتنا ﴿ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ ﴾ نُزيل ضوءه، ونخرج ﴿ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ فنجيء بالظلمة؛ لأن الأصل هي الظلمة، والنهار داخل عليها، فإذا غربت الشمس، سلخ النهار من الليل.

﴿ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ داخلون في الظلام.

* * *

﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ أي: موضع تستقر فيه، وهو مغربها لا تجاوزه، ومستقرها تحت العرش، ورد به الحديث عن النبي ﷺ[١]. قرأ أبو جعفر بخلاف عنه: (لِمُسْتَقِرٍّ) بكسر القاف، وقرأ الجمهور: بالفتح[٢].

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ السيرُ ﴿ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ المحيطِ علمُه بكل معلوم.

* * *

﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَٱلۡقَمَرَ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وروح عن

---

(١) رواه البخاري (٤٥٢٥) كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾، ومسلم (١٥٩)، كتاب: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾؟ قال: «مستقرها تحت العرش».

(٢) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٢١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٨).

يعقوب: برفع الراء على الابتداء، والباقون: بنصبها[1] بفعل يفسره ﴿قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ حال؛ أي: قدرنا القمر ذا منازل، وهي ثمانية وعشرون منزلاً، وهي السرطان إلى الرشاء، وهو بطن الحوت، وهي مقسومة على اثني عشر برجاً، وهي الحمل إلى الحوت، فينزل القمر كل ليلة منزلاً من منازله، ويسير سيراً غير متفاوت، ويستسر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين، وليلة إن كان تسعاً وعشرين، فإذا قطع منازله، دَقَّ في رأي العين وتقوس ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ﴾ كعذق النخلة ﴿ٱلْقَدِيمِ﴾ لأن العذق إذا عتق، دَقَّ وتقوَّسَ واصفرَّ، فشبه القمر به، وتقدم في سورة يونس ذكرُ منازل القمر، والكلام عليه بأتمَّ من هذا.

***

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ﴾ أي: لا يصح لها ولا يستقيم.

﴿أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ أن تجتمع معه فتطمسَ نوره؛ لأن فلكها غيرُ فلكه، ولأنها تقطع فلكها كل سنة مرة، والقمر كل شهر مرة.

﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ وإن كان سير القمر أسرعَ من سيرها، فهما يتعاقبان بحساب معلوم، لا يجيء أحدهما قبل وقته، ولا يجتمعان حتى يبطل الله سبحانه هذا التأليف، ويطلع الشمس من مغربها، ويجمع بين

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٨).

الشمس والقمر، وهو من أشراط الساعة.

﴿وَكُلٌّ﴾ تنوين عوض من المضاف إليه؛ أي: كل واحد من النيرين والنجوم.

﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ لأن كل واحد يجري في فلكه.

* * *

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (٤١)﴾.

[٤١] ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: ذرية قوم نوح، والمراد بالذرية: الآباء والأجداد، واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (ذُرِّيَّاتِهِمْ) بالألف على الجمع مع كسر التاء؛ لكثرة من حمل معه في السفينة، وقرأ الباقون: (ذُرِّيَّتَهُمْ) بغير ألف على التوحيد مع فتح التاء إرادة الجنس[1].

﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ المملوء، والمراد: سفينة نوح عليه السلام، وهؤلاء من نسل من حُمل معه، وكانوا في أصلابهم.

* * *

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢)﴾.

[٤٢] ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم﴾ للذرية ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: في الفلك ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ من الإبل، وهي سفن البر.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٩).

﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ مع إيجاد السفن .

﴿ فَلَا صَرِيخَ ﴾ لا مُغيثَ ﴿ لَهُمْ ﴾ إذا وقعوا في الغرق .

﴿ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴾ يخلصون من الغرق .

* * *

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ نصب على الاستثناء ؛ كأنه قال : إلا أن نرحمهم ، وقيل : نصب على المفعول من أجله ؛ كأنه قال : إلا لأجل رحمتنا إياهم .

﴿ وَمَتَاعًا ﴾ عطف على (رحمةً) وقوله : ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ يريد : إلى آجالهم المضروبة لهم .

* * *

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ﴾ من أمر الآخرة ، فاعملوا لها .

﴿ وَمَا خَلْفَكُمْ ﴾ من الدنيا ، فلا تغتروا بها ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ لتكونوا راجين رحمة الله ، وجواب (إذا) محذوف ، تقديره : إذا قيل لهم ، أعرضوا ، يدل عليه (مُعْرِضِينَ) بعدُ .

* * *

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ والآيات : العلامات والدلائل .

﴿ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لأنهم اعتادوا الإعراض، وتمرنوا عليه.

* * *

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٤٧)﴾.

[٤٧] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لكفار مكة:

﴿ أَنفِقُواْ﴾ على المساكين.

﴿ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الأموال.

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ﴾ أنرزق ﴿ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ ثم لم يرزقه مع قدرته عليه، فنحن نوافق مشيئة الله، فلا نطعم من لم يطعمه الله، وهذا مما يتمسك به البخلاء، ويقولون: لا نعطي من حرمه الله، وذلك أنهم كانوا يسمعون المؤمنين يعلقون الأشياء بمشيئة الله، فأخرجوا هذا الجواب مخرجَ الاستهزاء بالمؤمنين، لا اعتقاداً، يوضح ذلك قولهم للمؤمنين: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ لقولكم لنا: أنفقوا من مالكم.

* * *

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٨)﴾.

[٤٨] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يوم البعث ﴿ إِن كُنتُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ وأصحابه ﴿ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تقولون.

* * *

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] قال الله تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ ﴾ ما ينتظرون.

﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ يعني: النفخة الأولى. اتفق القراء على نصب (صَيْحَةً وَاحِدَةً)؛ إذ هو مفعول (يَنْظُرُونَ).

﴿ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ قرأ حمزة: (يَخْصِمُونَ) بإسكان الخاء وتخفيف الصاد، كيضربون؛ أي: يخصم بعضُهم بعضاً، **وقرأ** حفص عن عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وابن ذكوان عن ابن عامر: بكسر الخاء وتشديد الصاد[1]، أصله يختصمون، أدغمت التاء في الصاد، فاجتمع ساكنان، فكسرت الخاء لهما، **وقرأ** أبو بكر عن عاصم بخلاف عنه: بكسر الياء إتباعاً للخاء، **وقرأ** أبو جعفر: بسكون الخاء وتشديد الصاد، فيجمع بين ساكنين، **وقرأ** ابن كثير، وورش عن نافع، وهشام عن ابن عامر بخلاف عنه: بفتح الخاء وكسر الصاد مشددة، أصله: يختصمون أيضاً، نقلت حركة التاء إلى الخاء، ثم أدغمت التاء في الصاد؛ لقربها منه، **وقرأ** أبو عمرو، وقالون عن نافع: باختلاس فتحة الخاء وتشديد الصاد، أصله: يختصمون، حذفت فتحة التاء، فاجتمع ساكنان، فحركت الخاء حركة مختلسة؛ لتدل على أن أصل الخاء السكون، ثم أدغمت التاء في الصاد، المعنى: يُصاح بهم في النفخة الأولى وهم مشغولون يتبايعون ويتجادلون، فتأخذهم الصيحة وهم غادون.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٠ـ٢١١).

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ وصية ﴿ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ينقلبون؛ أي: عجلوا عن الوصية وعن الرجوع إلى أهليهم[١].

* * *

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ هو قرن، وهي النفخة الأخيرة، وبينهما أربعون سنة، وتقدم ذكر النفخات الثلاث في سورة النمل.

﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ القبور ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ يسرعون، وبين النفختين لا يعذبون.

* * *

﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] فإذا رأوا ما ثم ﴿ قَالُوا۟ ﴾ تحسراً على رقدتهم[٢] بين الرقدتين:

﴿ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا ﴾ أيقظنا[٣] ﴿ مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ منامنا الذي كنا فيه؟ حفص عن عاصم: يسكت يسيراً على (مَرْقَدِنَا)[٤].

---

(١) في «ت»: «إليهم».

(٢) في «ت»: «قدرتهم».

(٣) «أيقظنا» زيادة من «ت».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٣).

ثم يقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي: الذي وعده، وهو من كلام الكفار.

﴿وَصَدَقَ﴾ أي: والذي صدق فيه.

﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ وهو الإنذار، أقروا حين لا ينفع الإقرار.

* * *

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿إِن كَانَتْ﴾ النفخةُ الأخيرة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ قرأ أبو جعفر: (صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ) بالرفع فيهما، والباقون: بالنصب، وتقدم توجيه القراءات في الحرف المتقدم، وهو ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾.

﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ للحساب.

* * *

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حكاية لما يقال لهم حينئذ.

* * *

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ عن النار وأهلها. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: بإسكان الغين، والباقون: بضمها[١]، وهما لغتان، مثل: السُّحْت، والسُّحُت.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، =

﴿ فَـٰكِهُونَ ﴾ منعَّمون. قرأ أبو جعفر: (فَكِهُونَ) بغير ألف بعد الفاء، والباقون: بالألف[1]، وهما لغتان؛ مثل: الحاذر، والحذر.

* * *

﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ظُلَلٍ) بضم الظاء من غير ألف، جمع ظلة، وقرأ الباقون: بكسر الظاء وألف، جمع ظِلّ[2].

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة، وهي ستر كالبيت، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا، المعنى: لا تصيبهم الشمس، وهم في الجنة على السرر المرخاة عليها الستور.

﴿ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ قرأ أبو جعفر: (مُتَّكُونَ) بضم الكاف وسكون الواو بغير همز، والباقون: بكسر الكاف والهمز[3].

* * *

= و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٣).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٤ـ٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٥).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٥).

﴿ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ يشتهون.

* * *

﴿ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿سَلَـٰمٌ﴾ أي: ولهم سلام ﴿ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ أي: يقوله الله قولاً، وهو مبالغة في تعظيمهم أن السلام وقع منه بغير واسطة.

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «بَيْنَا أهلُ الجنَّة في نعيمهم، إذ سَطَع لهم نورٌ، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربُّ ـ عز وجل ـ قد أَشْرَف عليهم من فوقهم، فقال: السَّلامُ عليكم يا أهلَ الجنة، فذلك قوله: ﴿ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ فينظر إليهم، وينظرون إليه، فلا ينقلبون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجبَ عنهم، فيبقى نورُه وبركتُه عليهم في ديارهم»[١].

* * *

﴿ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ﴾ فيه حذف، تقديره: ونقول للكفرة: امتازوا؛ أي: اعتزلوا من أهل الجنة ﴿ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ لأن العالم في الموقف مختلطون، وهذه معادلة لقوله لأصحاب الجنة: ﴿ سَلَـٰمٌ ﴾.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٨٤) باب: فيما أنكرت الجهمية. وإسناده ضعيف، انظر: «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (٦/ ١٣).

﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ أي: ألم أُوصِكم على لسان رسلي.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ ﴾ إبليس؛ أي: لا تطيعوه في معصية الله.

﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ظاهرُ العداوة.

* * *

﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ ﴾ وحِّدوني ﴿ هَٰذَاۖ ﴾ أي: العهد المعهود إليكم.

﴿ صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ طريق بليغ في الاستقامة.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا ﴾ خَلْقاً ﴿ كَثِيرًا ﴾: قرأ أبو عمرو، وابن عامر: (جُبْلاً) بضم الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام، جمع جبيل، وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، ورويس عن يعقوب: بضم الجيم والباء جميعاً، وتخفيف اللام، وروى روح عن يعقوب كذلك، إلا أنه بتشديد اللام، وقرأ الباقون، وهم نافع، وأبو جعفر، وعاصم: بكسر الجيم والباء وتشديد اللام[1]، جمع جبلة، وكلها لغات معناها واحد.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، =

﴿ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴾ ما حل بهم فتؤمنون.

* * *

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] فثمَّ يقال لهم: ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ بها.

* * *

﴿ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ ﴾ ذوقوا حرها ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ نُخرسهم ﴿ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ ﴾ بعملها.

﴿ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ بما صدر منهم، والمراد: جميع الجوارح؛ لأن كل عضو يعترف بما صدر منه، وفائدة نطق الأعضاء؛ ليعلم أن ما كان عوناً على المعاصي صار شاهداً، فلا ينبغي لأحد أن يصحب أحداً إلا الله تعالى؛ لئلا يُفتضح ثَمَّ بسبب صحبته.

* * *

= و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٧).

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ محونا آثار عيونهم؛ يعني: قريشاً.

﴿ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ فتبادروا إلى الطريق ﴿ فَأَنَّىٰ ﴾ أي: فكيف ﴿ يُبْصِرُونَ ﴾ الطريق إلى مقاصدهم؟ أي: لا يبصرون، وكيف إنكار هنا، فيفيد النفي، المعنى: لو شئنا، لختمنا عليهم بالكفر، فلم يهتد منهم أحد أبداً.

* * *

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ ﴾ قردة وخنازير.

﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ أي: مسخاً يثبتهم على مكانهم بحيث يجمدون فيه. قرأ أبو بكر عن عاصم: (مَكَانَاتِهِمْ) بألف بعد النون على الجمع، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد(١).

﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا ﴾ إلى الدنيا ﴿ وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ إليها.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٩).

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

[٦٨] ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ ﴾ نطيل عمره ﴿ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِۖ ﴾ قرأ عاصم، وحمزة: (نُنَكِّسْهُ) بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشدداً، وقرأ الباقون: بفتح النون الأولى وإسكان الثانية، وضم الكاف مخففاً[(١)]، لغتان بمعنى: جعل أعلى الشيء أسفله، المعنى: من يُطل عمره، يرده بعد كمال خلقه وخلقه وعلمه إلى مثل حال صغره.

﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أن القادر على ذلك قادرٌ على البعث، فيؤمنون؟! قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر: (تَعْقِلُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[(٢)].

***

﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

[٦٩] ولما قال كفار مكة: إن محمداً شاعر، وما يقوله شعر، أنزل الله تكذيباً لهم: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ ﴾ أي: ما يتسهل له عمله، ولا إنشاده موزوناً؛ لنفي الطعن فيه، فأما نحو: «أنا النبيُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبدِ المطَّلِبْ»[(٣)]، فليس بشعر عند أرباب هذا الشأن، ثم بين الذي علَّمه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢١).

(٣) رواه البخاري (٢٧٠٩)، كتاب: الجهاد والسير، باب: من قاد دابة غيره في الحرب، ومسلم (١٧٧٦)، كتاب: الجهاد والسير، باب: في غزوة حنين ، =

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: المعلَّم، وهو الموحى إليه ﷺ.

﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ الأحكام، المعنى: إنما منعناه من عمل الشعر وتعليمه؛ لئلا يتهم.

***

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

[٧٠] ﴿لِّيُنذِرَ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (لِتُنْذِرَ) بالخطاب للنبي ﷺ، **وقرأ** الباقون: بالغيب إخباراً عن القرآن(١) ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ عاقلاً.

= من حديث البراء بن عازب. قال ابن حجر رحمه الله ـ: قال ابن التين: كان بعض أهل العلم يقوله بفتح الباء من قوله: «لا كَذِبَ» ليخرجه عن الوزن. وقد أجيب عن مقالته صلى الله عليه وسلم هذا الرجزَ بأجوبة أحدها: أنه نظم غيره، وأنه كان فيه: أنت النبي لا كذب.. أنت ابن عبد المطلب، فذكره بلفظ «أنا»... وذكر رحمه الله أجوبة أقربها للصواب والله أعلم: أنه دلَّ على جواز وقوع الكلام منه صلى الله عليه وسلم منظوماً من غير قصدٍ إلى ذلك، ولا يسمى ذلك شعراً، وكان قد وقع الكثير من ذلك في القرآن العظيم، منها: ﴿ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾... ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم﴾ ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾... إلخ ما ذكر رحمه الله. انظر «الفتح» (٨/ ٣١) و(١٠/ ٥٤٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢١).

﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ ويجب العذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ المصرِّين على الكفر.

* * *

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾.

[٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ تولَّينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد ﴿أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ متصرفون، لم تُخلق وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها.

* * *

﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا﴾ سخرناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ أي: ما يركبون.

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ اللحم والوَدَك.

* * *

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها.

﴿وَمَشَارِبُ﴾ من اللبن، جمع مَشْرَب، وهو الشرب. قرأ هشام، وابن ذكوان بخلاف عنهما: (وَمَشَارِبُ) بإمالة فتحة الشين[١].

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ المنعمَ عليهم؟!

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٢).

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً ﴾ يعبدونها.

﴿ لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أي: لعلهم يمنعون من العذاب بشفاعة آلهتهم.

* * *

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ الآلهةُ ﴿ نَصْرَهُمْ ﴾ أي: نصر عابديهم.

﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ أي: الكفارُ جندٌ للأصنام، يحضرونها في الدنيا، ويغضبون لها، وهي لا تنفعهم.

* * *

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ يعني: كفار مكة في تكذيبك. قرأ نافع: (يُحْزِنْكَ) بضم الياء وكسر الزاي، والباقون: بفتح الياء وضم الزاي(١).

﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ من الكفر وتكذيبك، فنجازيهم عليه.

* * *

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ونزل في أُبي بن خلف لما أنكر البعث، وأتى النبيَّ ﷺ بعظم

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٢).

رميم، ففتَّه وقال: يا محمد! أترى يحيي اللهُ هذا بعدما بَلِيَ ورَمَّ؟ فقال النبي ﷺ: «نعم، ويدخلك النار».

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: منيٍّ.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة ﴿مُّبِينٌ﴾ بيِّنُها بعدما كان ماء مهيناً، المعنى: ألم يستدل بخلقه على إمكان البعث؟!

***

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨)﴾.

[٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ بفتِّه العظام.

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ من المني، فهو أغرب من إحياء العظم.

﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ بالية، ولم يؤنث (رَمِيم)؛ لأنه معدول من فاعله، وكل ما كان معدولاً عن وجهه ووزنه، كان مصروفاً عن إعرابه؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨] أسقط الهاء لأنها مصروفة عن باغية.

وفي الآية حجة في إثبات الحياة في العظم، ونجاسته بالموت، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا تحل الحياة بالعظم، فلا ينجس بالموت، له أن المعنى أنها ترد كما كانت رطبة في بدن حساس.

واختلفوا في الآدمي هل ينجس بالموت؟ فقال أبو حنيفة: ينجس، إلا أن المسلم يطهر بالغسل، وتكره الصلاة عليه في المسجد، وعن مالك خلاف، والذي اختاره ابن رشد: الطهارة، وهو الأظهر عند صاحب «المختصر»(١)، وأما الصلاة في المسجد، فالمشهور من مذهبه كراهتها

---

(١) انظر: «مختصر خليل» (ص: ١٠) قال: والنجس ما استثني ما ذكر=

كقول أبي حنيفة، وعند الشافعي وأحمد: لا ينجس بالموت، ولا تكره الصلاة عليه في المسجد.

***

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم تفاصيل المخلوقات قبل خلقها وبعده.

***

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ هما شجرتان يقال لإحداهما: المرخ، وللأخرى: العفار، يقطع منهما قضيبان وهما خضراوان، فيسحق المرخ وهو ذكر، على العفار وهو أنثى، فتنقدح النار بإذن الله تعالى.

﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ تقدحون، وهذا دليل على القدرة على البعث؛ لأنه تعالى جمع بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفىء النار، ولا النار تحرق الخشب.

***

= ولو قملة أو آدمياً، والأظهر طهارته.

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال:

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ مع عظمها على غير مثال سابق ﴿ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ ﴾ أي: مثل الأناسي في الصغر؛ أي: لا يعجزه شيء. قرأ رويس عن يعقوب: (يَقْدِرُ) بياء مفتوحة وإسكان القاف من غير ألف، وضم الراء على أنه فعل مستقبل مثل يَضْرِف، وقرأ الباقون: بالباء وفتح القاف وألف بعدها وخفض الراء منونة على وزن فاعل[1].

﴿ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ﴾ الكثير الخلق ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بجميع ما خلق.

* * *

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ قرأ ابن عامر، والكسائي: (فَيَكُونَ) بالنصب عطفاً على (يَقُولَ)، وقرأ الباقون: بالرفع[2]؛ أي: فهو يكونُ، وهذا إشارة إلى سرعة تكوُّن الشيء، وأنه تعالى لا يلحقه نَصَب في إيجاد المعدوم وإعدام الموجود.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٣).

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾.

[٨٣] ثم نزه تعالى نفسه تنزيهاً عاماً مطلقاً فقال: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (بِيَدِهِ) باختلاس كسرة الهاء، والباقون: بإشباعها[1] ﴿مَلَكُوتُ﴾ أي: مُلْكُ ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾ وزيدت الواو والتاء للمبالغة، ومعناه: ضبطُ كل شيء، والقدرةُ عليه.

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ قرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم[2]، وهو وعد ووعيد للمقرين والمنكرين.

قال ﷺ: «اقرؤوا على موتاكم يَس»[3]، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٣).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٤).

(٣) رواه أبو داود (٣١٢١)، كتاب: الجنائز، باب: القراءة عند الميت، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩١٣)، وابن ماجه (١٤٨٨)، باب: ما جاء فيما يقال عند المريض إذا، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٠٢). من حديث معقل بن يسار. قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ١٠٤): أعلَّه ابن القطان بالاضطراب وبالوقف، وبجهالة حال أبي عثمان وأبيه، ونقل أبو بكر بن العربي عن الدارقطني أنه قال: هذا حديث ضعيف الإسناد، مجهول المتن، ولا يصح في الباب حديث. وقال أحمد في «مسنده»: كانت المشيخة يقولون: «إذا قُرئت» يعني «يس» عند الميت خُفِّف عنه بها. اهـ.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مكية، وآيها: مئة وثمانون وآيتان، وحروفها: ثلاثة آلاف وثماني مئة وستة وعشرون حرفاً، وكلمها ثماني مئة وستون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١)﴾.

[١] ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ جمع صافَّة ﴿صَفًّا﴾ مصدر، وكذلك (زَجْراً) و(ذِكْراً) بعد؛ يعني: الملائكة صفوفاً في السماء كصفوف الصلاة.

***

﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢)﴾.

[٢] ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ الملائكة تزجر السحاب وتسوقه.

***

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣)﴾.

[٣] ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ هم الملائكة يتلون ذكر الله، وهذا كله قسم، أقسم الله بها، وليس لغيره ذلك.

***

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾﴾ .

[٤] وجواب القسم : ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ في معناه وذاته وصفاته، وجيء بالفاء لتدل أن القسم مجموع المذكورات، والواو لا تفيده. قرأ أبو عمرو، وحمزة: (وَالصَّافَّات صَّفاً. فَالزَّاجِرَات زَّجْراً. فَالتَّالِيَات ذِّكْراً) بإدغام التاء فيما بعدها من غير إشارة، والباقون: بكسر التاء من غير إدغام[١].

* * *

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾ .

[٥] ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ مشارق الشمس ومغاربها، وحذفها لدلالة (مشارق) عليها، وقد قال في سورة المزمل: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الآية: ٩] أراد به: الجهة، فالمشرق جهة، والمغرب جهة، وقال في سورة الرحمن: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الآية: ١٧] يعني: مشرقي الصيف والشتاء، ومغربيهما، وقال في سورة المعارج: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [الآية: ٤٠] مشرق كل يوم من السنة، ومغربه.

روي أن الله تعالى خلق للشمس ثلاث مئة وستين كوة في المشرق، ومثلها في المغرب، على عدد أيام السنة، تطلع الشمس كل يوم من كوة منها، وتغرب في كوة منها، لا ترجع إلى الكوة التي تطلع منها إلى ذلك اليوم من العام المقبل، فهي المشارق والمغارب[٢]، المعنى: هو ربُّ جميع الموجودات.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٥٤)، وذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٦٣)، =

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴾ **قرأ** أبو بكر عن عاصم: (بِزِينَةٍ) منونة (الْكَوَاكِبَ) نصب؛ أي: بتزييننا الكواكبَ، **وقرأ** حمزة، وخلف[1]، وحفص عن عاصم: (بِزِينَةٍ) منونة (الْكَوَاكِبِ) خفضاً بدلاً من (زينةٍ)، **وقرأ** الباقون: (بِزِينَةِ) بغير تنوين، وجرّ (الْكَوَاكِبِ) إضافة، المعنى: زينا السماء القريبة إليكم بالكواكب.

* * *

﴿ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ وَحِفۡظٗا ﴾ نصب بمحذوف؛ أي: وحفظناها حفظاً بالشهب.

﴿ مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴾ متمرد يُرمون بها.

* * *

﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (يَسَّمَّعُونَ) بتشديد السين والميم؛ أي: لا يستمعون، فأدغمت التاء في السين، **وقرأ** الباقون: بتخفيفها[2]؛ أي: لا يستطيعون الاستماع.

﴿ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ الملائكة؛ لأنهم في السماء.

= ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١١٦٣)، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(١) «وخلف» ساقطة من «ت».

(٢) المصادر السابقة.

﴿وَيُقۡذَفُونَ﴾ يُرمون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٖ﴾ بالشهب.

* * *

﴿دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩﴾.

[٩] ﴿دُحُورٗاۖ﴾ إبعاداً، وأصل الدحر: الطرد.

﴿وَلَهُمۡ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٞ وَاصِبٌ﴾ دائم لا ينقطع.

* * *

﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠﴾.

[١٠] ﴿إِلَّا﴾ استثناء من الجنس، وتقدم حكم الاستثناء من غير الجنس، واستثناء الكل، وغير ذلك من أحكام الاستثناء في سورة الكهف.

﴿مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ﴾ اختلس الكلمة من كلام الملائكة مُسارقةً.

﴿فَأَتۡبَعَهُۥ﴾ لحقه ﴿شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾ كوكب مضيء لا يخطئه، يثقب الجني فيقتله أو يحرقه أو يخبله، وإنما يعودون لاستراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه؛ طمعاً في السلامة ونيل المراد؛ كراكب البحر.

* * *

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ١١﴾.

[١١] ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ فاستخبرْ كفار مكة توبيخاً، وسلهم سؤال مُحاجَّة. قرأ رويس عن يعقوب: بضم الهاء، والباقون: بكسرها[١].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٧٢)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٠).

﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما، وجيء (بمن) تغليباً للعقلاء، وقيل: أم من خلقنا من الأمم قبلهم، ثم أومأ إلى ضعفهم؛ لأن من خُلق من ضعف فهو ضعيف.

فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ لاصق يعلق باليد.

***

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢)﴾.

[١٢] ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بضم التاء خبراً عن النبي ﷺ؛ أي: قل يا محمد: بل عجبتُ، وقيل: هو خبر عن الله تعالى، والتعجب من الله ليس كالتعجب من الآدميين؛ لأنه من الناس إنكار وتعظيم، ومن الله قد يكون بمعنى الإنكار والذم، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء في الحديث: «عجبَ ربُّكم من شابٍّ ليست له صَبْوةٌ»(١)، وهي عبارة عما يظهره الله تعالى في جانب المتعجَّب منه من التعظيم أو التحقير، حتى يصير الناس متعجبين منه، وقرأ الباقون: بالفتح خطاباً للنبي ﷺ(٢)، المعنى: تعجبت يا محمد من تركهم الإيمان بعد قيام البرهان.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٥١) وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٤٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٠٩) من حديث عقبة بن عامر، وفيه ابن لهيعة. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٠): وإسناده حسن.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣١).

﴿وَيَسۡخَرُونَ﴾ أي: وهم يسخرون منك ومن تعجبك.

* * *

﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ١٣﴾.

[١٣] ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وُعظوا بالقرآن ﴿لَا يَذۡكُرُونَ﴾ لا يتعظون.

* * *

﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ١٤﴾.

[١٤] ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ﴾ تدل على صدقك.

﴿يَسۡتَسۡخِرُونَ﴾ يبالغون في السخرية والاستهزاء بك.

* * *

﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ١٥﴾.

[١٥] ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ﴾ بيِّن.

* * *

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦﴾.

[١٦] ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ أي: أنبعث إذا متنا؟ واختلاف القراء في الهمزتين من (أَئِذَا) (أَئِنَّا)، وفي ضم الميم وكسرها من (مِتْنَا) كاختلافهم في ذلك في سورة (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ).

* * *

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧﴾.

[١٧] ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ الأقدمون. قرأ أبو جعفر، وابن عامر،

وقالون: بإسكان الواو، وهي (أو) التي هي للقسمة والتخيير، وقرأ الباقون: بفتح الواو، وهي واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام، واختلف عن ورش، فروي عنه كالأول، إلا أنه ينقل حركة الهمزة بعدها إليها كسائر السواكن، وروي عنه الفتح كالجمهور[1]، تلخيصه: ويقولون: أنبعث نحن ويُبعث آباؤنا أيضاً؟! استبعاداً لذلك؛ لأن آباءهم أقدم، فبعثُهم أغرب.

* * *

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿نَعَمْ﴾ تُبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون.
قرأ الكسائي: (نَعِمْ) بكسر العين، والباقون: بفتحها[2].

* * *

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] وجواب الشرط المقدر ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ أي: إذا وجد ذلك، فما نفخة البعث إلا ﴿زَجْرَةٌ﴾ صيحة ﴿وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: الخلائق أحياء.

﴿يَنظُرُونَ﴾ ما يُفعل بهم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٤٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٢).

﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ يعني : الكافرين ثمَّ :

﴿ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ أي : الحساب والجزاء .

***

﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ثم تقول الملائكة : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴾ القضاء بين الخلائق .

﴿ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ .

***

﴿ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ثم يقال للملائكة : ﴿ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ هم المشركون .

﴿ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ أي : أشباههم ، فيحشر صاحب الربا والزنا والخمر وغيرهم ، كلٌّ مع صاحبه .

﴿ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴾ .

***

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وهم الأوثان ﴿ فَٱهْدُوهُمْ ﴾ دلوهم وسوقوهم .

﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ طريق النار .

***

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَقِفُوهُمْ ﴾ احبسوهم ﴿ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

قال ﷺ: «لا تزولُ قدمُ ابنِ آدمَ يومَ القيامة حتى يُسأل عن أربعة: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»(١).

* * *

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] فثَمَّ يقال لهم توبيخاً: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً كحالكم في الدنيا. قرأ أبو جعفر، والبزي: (لاَ تَّنَاصَرُونَ) بتشديد التاء(٢).

* * *

﴿ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ منقادون أذلاء لا حيلة لهم.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٧)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص، وقال: حسن صحيح، من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٣ـ٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٣).

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي : الأتباع على الرؤساء .

﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ يتخاصمون .

* * *

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ أي : الأتباع للرؤساء .

﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾ عن الجهة التي كنا نأمنكم منها ؛ لحلفكم إنكم على الحق ، فصدقناكم ، فأنتم أضللتمونا .

* * *

﴿ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ قَالُواْ ﴾ أي : الرؤساء للأتباع : ﴿ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ بل لم تكونوا على الحق فنضلكم عنه ، إنما الكفر من قِبَلِكم .

* * *

﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ﴾ من قوة فنقهركم على الكفر .

﴿ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴾ ضالين .

* * *

﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ فَحَقَّ ﴾ وجب ﴿ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ﴾ بالعذاب ، وهو : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ

﴿جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ جميعاً العذاب.

* * *

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ أضللناكم عن الهدى ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ ضالين.

* * *

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي: التابعون والمتبوعون.

﴿يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ لاشتراكهم في الغواية.

* * *

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الذين جعلوا لله شركاء.

* * *

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون عن كلمة التوحيد.

* * *

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ واختلاف القراء في الهمزتين من (أَئِنَّا) كاختلافهم فيهما من (أَئِنَّ لَنَا لأَجْراً) في سورة

الشعراء [الآية: ٤١]، وكذلك (أَئِنَّكَ) (أَئِفْكاً)، المعنى: أنترك عبادة الأصنام لقول محمد؛ لأنهم وصفوه بالشعر والجنون.

* * *

﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أي: أتى بما أتى به المرسلون قبله.

* * *

﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴾ الوجيع بإشراككم.

* * *

﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من الشرك.

* * *

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ﴾ أي: لكن عباد الله ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ على الاستثناء المنقطع. قرأ الكوفيون، ونافع، وأبو جعفر: (الْمُخْلَصِينَ) حيث وقع بفتح اللام؛ أي: المختارين، وقرأ الباقون: بكسرها[1]؛ أي: المخلِصين لله الطاعة.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٤).

﴿ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ هو طعامهم في الجنة بكرة وعشياً.

* * *

﴿ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ فَوَاكِهُ ﴾ جمع فاكهة، وهي ما يؤكل تلذذاً، لا للقوت؛ لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظ الصحة بالغذاء؛ لأن أجسامهم محكمة مخلوقة للأبد، وكانت أرزاقهم فواكه خالصة ﴿ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴾ بثواب الله.

* * *

﴿ فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أي: في جنات ليس فيها إلا النعيم.

* * *

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض؛ لدوران الأسِرَّة بهم.

* * *

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ ﴾ هو الإناء بشرابه، فإن لم يكن فيه شراب، فهو إناء.

﴿ مِّن مَّعِينٍ ﴾ أي: من خمر يجري كالماء.

* * *

﴿ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ بَيْضَآءَ ﴾ أي: اللون ﴿ لَذَّةٍ ﴾ عذبة طيبة ﴿ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (لِلشَّارِبِينَ) بالإمالة[١].

* * *

﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ أي: لا تُذهب عقولهم ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بكسر الزاي؛ أي: لا تفنى خمورهم، وقرأ الباقون: بالفتح[٢]؛ أي: لا تزال عقولهم.

* * *

﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ لا ينظرن إلى غير أزواجهن؛ لحسنهم عندهن ﴿ عِينٌ ﴾ حِسان الأعين.

* * *

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ كَأَنَّهُنَّ ﴾ أي: القاصرات ﴿ بَيْضٌ ﴾ للنعام.

﴿ مَّكْنُونٌ ﴾ مصون يستره النعام بريشه، فلا يصل إليه غبار.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٥).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

[٥٠] ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ يعني: أهل الجنة فيها عما كانوا عليه، وما وصلوا إليه.

* * *

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ .

[٥١] ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴾ صاحب في الدنيا ينكر البعث.

* * *

﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[٥٢] ﴿ يَقُولُ ﴾ أي: في الدنيا هزؤاً: ﴿ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴾ بالبعث؟ وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في الهمزتين من (أَئِنَّكَ).

* * *

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

[٥٣] ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ محاسَبون مجزيون، وتقدم التنبيه أيضاً على اختلاف القراء في (أَئِذَا مِتْنَا أَئِنَّا) في الآية السابقة، وهذا استفهام إنكار.

* * *

﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] ﴿ قَالَ ﴾ الله ـ عز وجل ـ لأهل الجنة: ﴿ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾ إلى النار؟ فإن في الجنة كوًى تنظر إلى النار، المعنى: أتحبون الاطلاع في النار، فتنظروا أهلكم ومنازلكم فيها لو لم تؤمنوا؟

﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٥ ﴾.

[٥٥] ﴿ فَٱطَّلَعَ ﴾ فنظر هذا المؤمن ﴿ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ أي: رأى قرينه في وسط النار، وسُمي وسطُ الشيء سواء؛ لاستواء الجوانب منه. وتقدم اختلاف القراء في الفتح والإمالة من (رَآهُ) في سورة الأنبياء عند تفسير قوله: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ [الآية: ٣٦].

* * *

﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ۝٥٦ ﴾.

[٥٦] فلما رأى قرينه فيها ﴿ قَالَ ﴾ متشمتاً به: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴾ أي: والله لقد قاربت أن تهلكني. قرأ ورش عن نافع: (لَتُرْدِينِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين(١).

* * *

﴿ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ۝٥٧ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي ﴾ علي بالإيمان.

﴿ لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴾ معك في النار.

* * *

﴿ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ ﴾.

[٥٨] وعند ذبح الموت استفهمَ أهل الجنة استفهام تحدث بنعم الله

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٧ـ٢٣٨).

تعالى وتلذذ، لا استفهام شك، فقالوا: ﴿أَفَمَا﴾ الفاء عاطفة على محذوف تقديره: أنحن منعمون مخلدون، فما ﴿نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾.

* * *

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ في الدنيا، نصب استثناء منقطع.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ كالكفار.

* * *

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وهذا من كلامهم على جهة الحديث بنعمة الله عليهم أنهم لا يموتون ولا يعذبون.

* * *

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] فثم يقول الله تعالى لأهل الجنة تطييباً لقلوبهم: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ الخلود والتنعيم ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ أي: لمثلِ[1] هذا يجب أن يعمل العاملون، لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام.

* * *

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿أَذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر لأهل الجنة ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ نصب تمييز،

---

(١) في «ت»: «لنيل مثل».

والنزل: ما يعد للنازل كضيف وغيره، ومنه أنزال الأجناد لأرزاقهم.

﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ المعدة لأهل النار، والألف من قوله: (أَذَلِكَ) للتقرير، والمراد: تقرير قريش والكفار، وجاء بلفظ التفضيل بين شيئين؛ لاشتراك بينهما من حيث كان الكلام تقريراً، والاحتجاج يقتضي أن يوقف المتكلم خصمه على قسمين، أحدهما فاسد، ويحمله بالتقرير على اختيار أحدهما، ولو كان الكلام خبراً، لم يجز، ولا أفاد أن يقال: الجنة خير من شجرة الزقوم، والزقوم ثمرةُ شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يُكره أهلُ النار على تناوله، فهم يتزقمونه على أشد كراهية، ومنه قولهم: تزقَّمَ الطعامَ: إذا تناوله على كره ومشقة.

قال ابن عطية: وفي بعض البلاد الجدبة المجاورة للصحارى شجرة مرة مسمومة لها لبن إن مس جسم أحد، تورم ومات منه في أغلب الأمر، تسمى: شجرة الزقوم(١).

* * *

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً﴾ محنة.

﴿لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ لأن الكفار لما ذكر أن الزقوم ينبت في النار، افتتنوا وكذبوا، وقالوا: النار تحرق الشجر، فكيف تنبته؟!

* * *

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٧٥).

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

[٦٤] وروي أن ابنَ الزِّبَعرى قال: إن محمداً يخوفكم الزقوم، وهو بلغة بربر: الزُّبْد والتمر، فأطعمهم ذلك أبو جهل، وقال: هذا ما يتوعدكم به محمد(١)، فقال تعالى:

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ نابتة، فأصلها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها، من النار خلقت، وبها عذبت.

* * *

﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

[٦٥] ﴿ طَلْعُهَا ﴾ ثمرها ﴿ كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ الحيات.

* * *

﴿ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

[٦٦] ﴿ فَإِنَّهُمْ ﴾ أي: الكفار ﴿ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا ﴾ مع قبحها؛ لشدة جوعهم. ﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾ بحيث لا يحتمل الزيادة عليه.

* * *

﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

[٦٧] ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا ﴾ لخلطاً.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٧٢٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه، وانظر «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٩٦).

﴿مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ من ماء حار، قد بلغ نهاية الحر، المعنى: أنهم يشربون الماء الحار على الزقوم مختلطاً في أجوافهم، فيصير شوباً لهم.

* * *

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ٦٨﴾.

[٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ﴾ فالحميم خارج الجحيم، فإذا أكلوا الزقوم، سيقوا إلى الحميم فشربوه مع نكارته، ثم يردون إلى الجحيم.

* * *

﴿إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ٦٩﴾.

[٦٩] ﴿إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ﴾ وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ﴾.

* * *

﴿فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ٧٠﴾.

[٧٠] ﴿فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ متبعين بسنتهم ﴿يُهۡرَعُونَ﴾ يسرعون.

* * *

﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٧١﴾.

[٧١] ﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الخالية.

* * *

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ٧٢﴾.

[٧٢] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ أنبياء أنذروهم.

* * *

﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾ من الشدة والفظاعة.

***

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ الموحدين نجوا من العذاب. وتقدم اختلاف القراء في (الْمُخْلَصِينَ) [الآية: ٤٠]، وتوجيه قراءاتهم في الحرف السابق، والخطاب مع النبي ﷺ، والمقصود: خطاب قومه؛ فإنهم أيضاً سمعوا أخبارهم، ورأوا آثارهم.

***

﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ ﴾ دعانا مستنصِراً على قومه، واللام بعد جواب قسم محذوف، والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره: والله لقد نادانا نوح.

﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ أي: فأجبناه أحسن الإجابة، فو اللهِ نعم المجيبون نحن، أهلكنا قومه.

***

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ الذي لحق قومه، وهو الغرق.

***

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ مدة الدنيا؛ لأن الناس كلهم من نسله، وكان له ثلاثة أولاد: حام وسام ويافث، فسام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج.

* * *

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ أي: أبقينا عليه ثناءً حسناً فيمن بعده من الأنبياء.

* * *

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ ﴾ أي: جعلنا هذا اللفظ يقال بعده.

﴿ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إلى يوم القيامة من الأنبياء[1]؛ لكرامته علينا.

* * *

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ ﴾ أي: جزاءً كفعلنا بنوح.

﴿ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ على إحسانهم.

* * *

---

(١) «من الأنبياء» ساقطة من «ت».

﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ تعليل لإحسانه بالإيمان.

* * *

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ من الكافرين.

* * *

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ أهل سنته وأتباعه على أصل الدين، وإن اختلفت الشرائع ﴿ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ وإن طال الزمان بينهما، وروي أن بينهما ألفين وست مئة وأربعين سنة(١)، وقيل غير ذلك، بما في شيعته من معنى المشايعة.

* * *

﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ من الشرك، والمجيء هنا بمعنى: الإخلاص والإقبال على الطاعة.

* * *

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ ﴾ موبخاً ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾؟!

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٥٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٩١).

﴿ أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

[٨٦] ﴿ أَئِفۡكًا ﴾ استفهام بمعنى التقرير، وتبدل منه .

﴿ ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ أي: أتأفكون إفكاً وهو أسوأ الكذب، وتعبدون آلهة سوى الله؟! وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (أَئِفْكاً) .

* * *

﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

[٨٧] ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ إذا لقيتموه أن يصنع بكم؟

* * *

﴿ فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

[٨٨] وكان قومه نجَّامين، فخرجوا إلى عيدٍ لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه، فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا له: اخرج معنا .

﴿ فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴾ في ذاتها، أراهم بأنه استدل بها على أنه مشارف للسقم؛ لئلا يخرجوه معهم .

* * *

﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

[٨٩] ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴾ أي: مطعون، وكانوا يفرون من الطاعون .

* * *

﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ إلى عيدهم.

***

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] ﴿ فَرَاغَ ﴾ أي: مال في خفاء ﴿ إِلَىٰ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ بزعمهم، وهي الأصنام، وبين أيديهم الطعام ﴿ فَقَالَ ﴾ استهزاءً بهم: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ فلم ينطقوا.

***

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

[٩٢] فقال: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾ فلم تجب.

***

﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ﴿ فَرَاغَ ﴾ مال ﴿ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ أي: كان يضربهم بيده اليمنى؛ لأنها أقوى على العمل من الشمال، فتسمعوا ذلك.

***

﴿ فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

[٩٤] ﴿ فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ يسرعون في المشي مع تقارب الخطا. قرأ حمزة: (يُزِفُّونَ) بضم الياء؛ أي: يحملون غيرهم على الإسراع، وقرأ

الباقون: بنصب الياء[1]؛ أي: يسرعون هم.

❋ ❋ ❋

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

[٩٥] وكان بعض قد رآه يكسرها، وبعض لم يره، فأقبل من رآه مسرعاً نحوه، ثم جاء من لم يره يكسرها[2]، فقال لمن رآه: من فعل هذا بآلهتنا؟ ثم قالوا له أجمعون: نحن نعبدها، وأنت تكسرها؟! فثم ﴿ قَالَ ﴾ موبخاً على وجه الحِجاج:

﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ من الحجارة وغيرها أصناماً؟

❋ ❋ ❋

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ من نحتكم ومنحوتكم، فاعبدوه وحده، وفيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى.

❋ ❋ ❋

﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] فثم ﴿ قَالُوا ﴾ بينهم: ﴿ ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا ﴾ فاملؤوه حطباً، وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿ فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ النار الشديدة.

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٠ـ٢٤١).

(٢) «يكسرها» زيادة من «ت».

﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

[٩٨] ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ شراً؛ بإلقائه[١] في النار.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ المقهورين، وتقدم ذكر القصة في سورة الأنبياء.

* * *

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾.

[٩٩] ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ [أي: حيث أمرني، فهاجر إلى الشام][٢] ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى ما فيه صلاح ديني. قرأ يعقوب: (سَيَهْدِينِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[٣].

* * *

﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾.

[١٠٠] فلما قدم الأرض المقدسة، سأل ربه الولد، فقال:

﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بعض الصالحين يُعينني على الدعوة والطاعة، ويؤنسني في الغربة.

* * *

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

[١٠١] ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ في كبره، عليم في صغره، ففيه بشارة

---

(١) في «ت»: «في إلقائه».

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٤١).

أنه ابن، وأنه يعيش وينتهي في السن حتى يوصف بالحلم.

* * *

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

[١٠٢] ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ يعني: المشي معه في الجبل، وكان له ثلاث عشرة سنة، أو سبع ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ﴾ **قرأ** حفص عن عاصم: (يَا بُنَيَّ) بفتح الياء، والباقون: بكسرها[١].

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ أي: رأيت ﴿فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ من الرأي. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ أَرَى) (أَنِّيَ أَذْبَحُكَ) بنصب الياء فيهما، والباقون: بإسكانها[٢]، **وقرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: (مَاذَا تُرِي) بضم التاء وكسر الراء كسرة خالصة بعدها ياء؛ أي: ماذا تُرِيناه من رأيك، أتجزع أم تصبر؟ **وقرأ** الباقون: بفتح التاء والراء، وأبو عمرو: يميل فتحة الراء، وورش: بين بين على أصلهما، والباقون: بإخلاص فتحها[٣]، وليس كرأي العين على القراءتين، وإنما

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٥٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٦-١٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٩-٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٢).

شاور ولده؛ ليعلم صبره، لا ليصبره، وشاوره ليأنس بالذبح؛ فإن صدور العظيم بغتة عظيم، وليحصل له الأجر بانقياده لطاعة الله وطاعة والده.

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على ذلك، ومن أسند المشيئة إلى الله تعالى، والتجأ إليه، لم يعطب. قرأ أبو جعفر، وابن عامر: (يَا أَبَتَ) بفتح التاء، ووقفا: (يَا أَبَهْ) بالهاء، وافقهما في الوقف ابن كثير، ويعقوب[(١)]، وقرأ نافع، وأبو جعفر: (سَتَجِدُنِيَ) بفتح الياء: والباقون: بإسكانه[(٢)].

والذبيح[(٣)] هو إسماعيل ـ عليه السلام ـ على قول الجمهور، وهو الراجح؛ بدليل أن ذكر البشارة بإسحاق ـ عليه السلام ـ بعد الفراغ من قصة المذبوح، فقال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فدل على أن المذبوح غيره، وأيضاً فإن الله تعالى قال في سورة هود: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [الآية: ٧١] فلما بشره بإسحاق، بشره بابنه يعقوب، فكيف يأمره بذبح إسحاق، وقد وعد له بنافلة منه، وهو قول العباس بن

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٣).

(٣) جاء على هامش «ت»: «والقصة بحذافيرها تذكر في أكثر التفاسير والسير والقصص والتواريخ وشبهها، مع ما فيه من الكلام، وقد ذكرنا بعضها بتوفيق العزيز العلام».

عبد المطلب، وابنه، وعبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيب، والشعبي، والحسن البصري، ومجاهد، وغيرهم[1].

وروي عن معاوية أنه ذكر عنده: هل الذبيح إسماعيل أو إسحاق؟ قال: على الخبير سقطتم، كنت عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل فقال له: يا ابن الذبيحين! فضحك رسول الله ﷺ، فقيل لمعاوية: يا أمير المؤمنين! وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما حفر زمزم، نذر لئن سهل الله له أمرها، ليذبحن أحد أولاده، قال: فخرج السهم على عبد الله، فمنعه أخواله، فقالوا له: افد ابنك بمئة من الإبل، ففداه، والثاني إسماعيل عليه السلام[2].

وعن بعض علماء اليهود ممن أسلم وحسن إسلامه: أن علماء اليهود يعلمون أنه إسماعيل، ولكنهم يحسدون العرب أن يكون أباً لهم[3].

وعند أهل الكتابين[4] أن الذبيح إسحاق، وهو قول عمر، وعلي،

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ١٠٨) وما بعد.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٣٦). قال الذهبي في «مختصره»: وإسناده واه. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي» (٣/ ١٧٨).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٦٦٦)، والزمخشري في الكشاف (٥/ ٤٨٠)، ورواه ابن إسحاق وابن جرير عن محمد بن كعب، كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٤٤).

(٤) جاء على هامش «ت»: «حكاه القرطبي وغيره عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله».

وابن مسعود، وكعب، ومقاتل، وقتادة، وعكرمة، والسدي، وغيرهم، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا﴾ أمر بذبح مَنْ بُشر به، وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحق، وهو قوله تعالى في سورة هود: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [الآية: ٧١]، وكلا القولين يروى عن رسول الله ﷺ.

وروي أنه لما بُشر بالولد، قال: هو بإذن الله ذبيح. ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ قيل له: أوف بنذرك، فقال لولده: انطلق نقربْ قرباناً لله ـ عز وجل ـ، وأخذ سكيناً وحبلاً، فانطلق معه حتى ذهب بين الجبال، فقال: يا أبت! أين قربانك؟ ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾، فمن قال: إن الذبيح إسماعيل، فيقول: إن الذبح كان بمكة، ومن الدليل عليه أن قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج.

قال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحق كان أو إسماعيل؟ فقال: يا أصيمع! أين ذهب عقلك؟ متى كان إسحق بمكة؟ إنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه[1].

وعن ابن عباس قال: «الذبيح إنه إسماعيل، وتزعم اليهود أنه إسحق، وكذبت اليهود»[2].

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٦٦٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسير» (٢١/ ٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٣٧).

ومن زعم أن إسحق هو الذبيح، فيقول: كان موضع الذبح بالشام على ميلين من إيلياء، وهي بيت المقدس، وزعمت اليهود أنه كان على صخرة بيت المقدس، فأراد الشيطان فتنتهم، فجاء أم الغلام على صورة رجل، فقال: تدرين أين ذهب بابنك؟ قالت: ذهب به يحتطب، قال: لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه، قالت: كلا، هو أرحم به، وأشد حباً له من ذلك، قال: زعم أن الله أمره بذلك، قالت: فإن أمره بذلك، فقد أحسن أن يطيع ربه، فأتى الابنَ فقال: تدري أين يذهب بك أبوك؟ قال: يحتطب، قال: لا والله ما يريد إلا ذبحك، قال: ولم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قال: فليفعل ما أمره به، فسمعاً وطاعة، ثم جاء الأبَ فقال: أين تريد؟ فقال: هذا الشعب لحاجة، قال: أرى الشيطان قد جاءك مناماً، فأمرك بذبح ابنك هذا، فعرفه، فقال: إليك عني يا عدو الله، فوالله لأمضين لأمر ربي، فرجع إبليس بغيظه، لم يصب من إبراهيم وأهله شيئاً مما أراد.

وروي أن إبليس عرض لإبراهيم بهذا المشعر، فسابقه فسبقه إبراهيم، ثم ذهب إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الكبرى، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم مضى إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأمر الله تعالى، ومنه شُرع رمي الجمار في الحج، وهو من واجبات الحج، يجب بتركه الفدية باتفاق الأئمة. ولما عزما على الذبح، قال: يا أبتاه! اشدد وثاقي لئلا أضطرب، واجمع عليك ثيابك لئلا يصيبها دمي، واستحد شفرتك، وأسرع مَرَّها على حلقي، فهو أهون علي، وسلم على أمي، واردد عليها قميصي؛ فهو أسلى لها، فقال:

نعم العون أنت يا بني على أمر الله تعالى، ففعل ما أمر به ابنه، وقبله بين عينيه وقد ربطه وهو يبكي.

* * *

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾.

[١٠٣] ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ استسلما وانقادا لأمر الله ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ صرعه على جانب الجبهة، وكان ذلك بمنى عند الصخرة، ثم أوثقه، ووضع السكين على حلقه، فانقلبت السكين مراراً، ولم تعمل شيئاً بقدرة الله سبحانه، فقال: أكبني لوجهي لئلا ترحمني إذا نظرته، ولئلا أجزع من الشفرة، ففعل ووضع الشفرة على قفاه، فانقلبت، فقال: اطعن بها طعناً، فطعنه فانثنت[١]، وجواب (فلما) محذوف؛ أي: فلما أسلما وتله.

* * *

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤﴾.

[١٠٤] ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾.

* * *

﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾.

[١٠٥] ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ أي: عملت بما أُمرت أجزل أجرهما،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٦٧-٦٦٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٧٨) عن ابن عباس.

ونحو هـذا مما يقتضيه المعنى. قـرأ الكسـائي، وخلـف: (الـرُّؤْيـا) بالإمالة[1].

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ تعليـل لإفـراج تلـك الشـدة عنهمـا بإحسانهما.

***

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] ﴿ إِنَّ هَٰذَآ ﴾ الذبح ﴿ لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾ الاختبار الظاهر.

***

﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

[١٠٧] ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ هو كبش رعى في الجنة أربعين خريفاً[2]، روي أنه الذي قربه قابيل ابن آدم، فنظر إبراهيم، فإذا هو بجبريل ـ عليه السلام ـ معه كبش أملح أقرن، فقال: هذا فداء ابنك فاذبحه دونه، فكبر جبريل ـ عليه السلام ـ، وكبر الكبش، وكبر إبراهيم، وكبر ابنه ـ عليهما السلام ـ[3]، فأخذ إبراهيم الكبش، وأتى به المنحر من منى، فلما ذبحه، قال جبريل: الله أكبر الله أكبر، فقال الذبيح: لا إله إلا الله والله أكبر، فقال

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٤).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٦٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٨٨) عن سعيد بن جبير. وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ١١٣).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٦٩).

إبراهيم: الله أكبر ولله الحمد، فبقي سنة، وتقدم في سورة البقرة [الآية: ١٨٥] وقت التكبير للعيدين، واختلاف الأئمة في صفته.

* * *

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

[١٠٨] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسناً.

* * *

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾.

[١٠٩] ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.

* * *

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

[١١٠] ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾.

[١١١] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ تقدم تفسيره في قصة نوح.

قال البيضاوي: لعله طرح عنه (إنا) اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة(١).

* * *

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

[١١٢] ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾ حال مقدرة من إسحاق؛ أي: يوجد نبياً.

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٣).

﴿مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ فمن جعل الذبيح إسماعيل، قال: بشر بعد هذه القصة بإسحاق نبياً جزاء الطاعة، ومن جعل الذبيح إسحاق، قال: بشر بنبوة إسحاق، رواه عكرمة عن ابن عباس قال: «بشر به مرتين: حين ولد، وحين نبئ»(١).

* * *

﴿وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾.

[١١٣] ﴿وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ يعني: إبراهيم في أولاده ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ﴾ بكون أكثر الأنبياء من نسله.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ كافر ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر.

* * *

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

[١١٤] ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ أنعمنا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ بالنبوة.

* * *

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾.

[١١٥] ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٤٤). وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٧٠).

﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ﴾ أي: من الغم ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ وهو استرقاق فرعون.

* * *

﴿وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٦﴾.

[١١٦] ﴿وَنَصَرۡنَٰهُمۡ﴾ يعني: موسى وهارون وقومهما.

﴿فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ على القبط.

* * *

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ١١٧﴾.

[١١٧] ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ﴾ البليغ في بيان الحدود والأحكام، وهو التوراة.

* * *

﴿وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١١٨﴾.

[١١٨] ﴿وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ الطريق الموصل إلى الحق.

* * *

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١١٩﴾.

[١١٩] ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

* * *

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠﴾.

[١٢٠] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

* * *

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾.

[١٢١] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

* * *

﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

[١٢٢] ﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ تقدم تفسير نظيره.

* * *

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

[١٢٣] ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

* * *

﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾.

[١٢٤] ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (وَإِنَّ الْيَاسَ) بوصل همزة (الْيَاسَ)، وقرأ الباقون: بقطع الهمزة مكسورة[١].

وإلياس من أنبياء بني إسرائيل، قال ابن عباس: «هو ابن عم اليسع»، وقال محمد بن إسحاق: هو ابن بشير بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٩-٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٥).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ١٥٨).

روي أن سبطاً من أسباط بني إسرائيل كانوا ببعلبك ونواحيها، وعليهم ملك اسمه آجب قد أضل قومه، وأجبرهم على عبادة الأصنام، وكان يعبد هو وقومه صنماً من ذهب يقال له: بعل، طوله عشرون ذراعاً، فبعث الله إليهم إلياس نبياً، فدعاهم إلى الله ـ عز وجل ـ، فلم يسمعوا منه شيئاً، إلا الملك؛ فإنه آمن، وبعلبك مدينة معروفة بالشام، وكان اسمها بك، وبعل هو اسم الصنم، وهو بلغة اليمن الرب، فنسبت المدينة إليه، وسميت بعلبك، وكانت امرأة الملك غير محصنة، قتالة للأنبياء والصالحين، واسمها أزبيل، فقتلت جارها، وكان رجلاً صالحاً اسمه مزدكي، وأخذت بستانه، فغضب الله تعالى له، فبعث إليه إلياس، وقال: قل له لتردن بستانه على ورثته، وإلا لتهلكن، فقال إلياس لقومه: ألا تتقون الله، وتردون البستان، وتذرون عبادة الأوثان!

***

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥)﴾.

[١٢٥] ثم وبخهم على ذلك فقال: ﴿أَتَدْعُونَ﴾ تعبدون.

﴿بَعْلًا﴾ اسم الصنم ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ وتتركون عبادته.

***

﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦)﴾.

[١٢٦] ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ قرأ يعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمْ) بنصب الأسماء الثلاثة، فنصب اسم (الله) بدل من (أَحْسَنَ) (رَبَّكُمْ) نعته، وتعطف

عليه (وَرَبَّ آبَائِكُم)، وقرأ الباقون: برفع الأسماء الثلاثة (اللَّهُ) مبتدأ، (ربُّكُمْ) خبره، (وَرَبُّ آبَائِكُمْ) عطف عليه(١).

* * *

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

[١٢٧] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ مجموعون للعذاب.

* * *

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

[١٢٨] ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ فإنهم نجوا من العذاب، وتقدم اختلاف القراء في (الْمُخْلَصِين) [الآية: ٤٠]، فلما سمع الملك كلامه، غضب غضباً شديداً، وعاد إلى الكفر وعبادة بعل، وهمَّ بقتل إلياس، فلحق بالجبال متعبداً، ثم دعا الله تعالى أن يريحه منهم، فأهلك الله الملك وقومه وزوجته، ورفع الله إلياسَ إلى السماء، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وكساه الريش، فكان إنسياً ملكياً، أرضياً سماوياً.

وروي أن إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس، ويوافيان الموسم كل عام.

وروي أن إلياس موكل بالفيافي، والخضر موكل بالبحار، والله أعلم(٢).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٦).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ٢١٠) عن الحسن. وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٧٦). وهذا الخبر هو من أخبار بني إسرائيل، ومرجعه إلى =

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾.

[١٢٩] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾.

* * *

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾.

[١٣٠] ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب: (آلِ يَاسِينَ) بفتح الهمزة والمد، وقطع اللام من الياء وحدها مع كسرها؛ مثل: (آلِ يَعْقُوبَ)، وكذا رسمت في جميع[١] المصاحف، المعنى: أنه سلم على آل هذا النبي، فتكون على هذه القراءة كلمتين، فيجوز قطعها وقفاً، وقيل: المراد: آل محمد ﷺ، قال البغوي[٢]: وهذا القول بعيد؛ لأنه لم يُسْبَق له ذكر، قال البيضاوي: لا يناسب نظم سائر القصص[٣]؛ فإن المذكور في سائر القصص هو السلام على الأنبياء؛ نحو: سلام على موسى وهارون، وسلام على نوح، فأضيف الآل إليه، وقرأ الباقون: بكسر الهمزة وقصرها، وإسكان اللام بعدها، ووصلها بالياء كلمة واحدة في

= مسلمة أهل الكتاب، ومن تتبع الروايات التي تذكر الخضر وإلياس، يجد اضطراباً شديداً وتضارباً وتناقضاً عجيباً، فمثلاً يرى رواية تقول: «إن الله أوحى إلى إلياس: إني قد جعلت أرزاقهم بيدك» وفي هذه الرواية «موكل بالبحار»!!؛ وهكذا الباطل يكون مضطرباً لجلجاً، وأما الحق فهو ثابت أبلج. انظر: «الإسرائيليات» للشيخ أبي شهبة (ص: ٢٦١ـ٢٦٤).

(١) في «ت»: «بعض».

(٢) في «تفسيره» (٣/ ٦٧٧).

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٦).

الحالين[1]، وإن انفصلت رسماً، فعلى قراءة هؤلاء [لا يجوز قطعها والوقف على اللام؛ لكونها من نفس الكلمة اتفاقاً، وتكون هذه الكلمة على قراءة هؤلاء][2] قطعت رسماً، واتصلت لفظاً، ولا يجوز اتباع الرسم فيها وقفاً إجماعاً، ولم يقع لهذه الكلمة نظير في القراءة، [والمعنى على هذه القراءة: السلام على هذا النبي، وعلى من وسم باسمه، أو عليه وعلى][3] أهل دينه، وجمعوا معه؛ كقولهم للمهلب وقومه: المهلبون، وكان إلياس قبل زكريا عليه السلام.

***

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣١﴾.

[١٣١] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

***

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٣٢﴾.

[١٣٢] ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تقدم تفسيره.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٦ـ٢٤٧).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾.

[١٣٣] ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ هو لوط ابن أخي إبراهيم عليهما السلام.

* * *

﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

[١٣٤] ﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾.

* * *

﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

[١٣٥] ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ الباقين في العذاب، وهي امرأته، وكانت كافرة، وكان نكاح الوثنيات والإقامة عليهن جائزاً، والغابرون: الباقون، ومعناه هنا: بقيت في الهلاك.

* * *

﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾.

[١٣٦] ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ والتدمير: الإهلاك، وتقدم ذكر قصته في هود، والحجر.

* * *

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾.

[١٣٧] ثم خاطب تعالى قريشاً، وهو على معنى: قل لهم يا محمد: ﴿ وَإِنَّكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم ﴾ أي: آثار قوم لوط إذا سافرتم ﴿ مُّصْبِحِينَ ﴾ وقت الصباح.

﴿ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾.

[١٣٨] ﴿ وَبِٱلَّيۡلِۚ ﴾ أي: وبالنهار.

﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ بما حل بمن تقدمكم، فتعتبرون بهم؟!

* * *

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾.

[١٣٩] ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ من جملة من أرسله الله عز وجل.

* * *

﴿ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ ﴾.

[١٤٠] ﴿ إِذۡ أَبَقَ ﴾ هرب، وعبر عن هروبه بالإباق؛ من حيث هو عبد الله فَرَّ عن غير إذن من مولاه، فهذا حقيقة الإباق، روي أنه كان في سيرتهم أن يقتلوا الكذاب إذا لم تقم له بينة، فخاف يونس، وغضب مع ذلك، فأبق ﴿ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾ السفينة المملوءة؛ لأن يونس لما لم ينزل العذاب بقومه، خرج كالمتسور منهم، فجاء إلى البحر ومعه امرأته وابنان له، فأركب امرأته في مركب، فحال بينهما الموج، جاءت موجة فأخذت أحد ابنيه، وأخذ الذئب الآخر، فبقي وحيداً، فركب سفينة، فلما لججوا في البحر، وقفت، فقال الملاحون: هنا عبد آبق[١].

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٧٨).

﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾.

[١٤١] ﴿فَسَاهَمَ﴾ قارعَ أهل السفينة من الآبق.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ المقروعين المغلوبين.

* * *

﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾.

[١٤٢] فألقوه في البحر ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ داخل في الملامة.

* * *

﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾.

[١٤٣] ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ الذاكرين الله قبل ذلك، وكان كثير الذكر.

* * *

﴿ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾.

[١٤٤] ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ لصار بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة.

روي أنه أُوحي إلى الحوت: إنا جعلنا بطنك له سجناً، ولم نجعله لك طعاماً[١].

* * *

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٤٨٦).

﴿ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ .

[١٤٥] ﴿ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ ﴾ طرحناه ﴿ بِٱلْعَرَآءِ ﴾ وجه الأرض ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ عليل كالفرخ الممعط، قد بلي لحمه، ودق عظمه، ولم يبق له قوة(١).

* * *

﴿ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ ﴾ .

[١٤٦] ﴿ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ هي القرع؛ ليستظل بظلها، ولئلا يقربه ذباب، وجاءته وعلة يشرب لبنها صباحاً ومساء، فاشتد لحمه، ونبت شعره.

* * *

﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ .

[١٤٧] ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ ﴾ هو ما سبق من إرساله، وقيل: إرسال ثان.

﴿ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ وهم أهل نينوى بأرض الموصل، أُرسل إليهم قبل الحوت، وأرسل إلى غيرهم بعد الحوت، وكانت الزيادة عشرين، وقيل: ثلاثين، وقيل: سبعين ألفاً.

* * *

﴿ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ .

[١٤٨] ﴿ فَـَٔامَنُوا۟ ﴾ عند نزول العذاب بهم ﴿ فَمَتَّعْنَٰهُمْ ﴾ أبقيناهم ممتعين.

﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ تنقضي آجالهم فيه، وتقدم ذكر قصته في سورة يونس(٢).

---

(١) تقدم ذكره.

(٢) في «ت»: «الأنبياء».

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ .

[١٤٩] ولما زعم جهينة وبنو سلمة بن عبد الدار أن الملائكة بنات الله، نزل رداً عليهم: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ ﴾ فسل يا محمد أهل مكة سؤالَ توبيخ.

﴿ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ المعنى: كيف يخصكم بالأسنى، ويختص بالأردأ، مع قدرته؟ هذا لا يقبله عقل.

* * *

﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ .

[١٥٠] ثم زادهم توبيخاً فقال: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴾ حاضرون ذلك، فيقدمون على ما يقولون.

* * *

﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ .

[١٥١] ثم صرح بتكذيبهم فقال: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ ﴾ من كذبهم ﴿ لَيَقُولُونَ ﴾ .

* * *

﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ .

[١٥٢] ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله، والولد يعم الذكر والأنثى، والقليل والكثير، تلخيصه: قالوا: لله ولد ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في قولهم.

* * *

﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾.

[١٥٣] ﴿ أَصْطَفَى ﴾ المعنى: أختارَ تعالى ﴿ ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾.

***

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾.

[١٥٤] ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ هذا الحكم الفاسد. قرأ أبو جعفر: (لَكَاذِبُونَ اصْطَفَى) بوصل الهمزة على لفظ الخبر، فيبتدىء بهمزة مكسورة حذف حرف الاستفهام، وهو مراد، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة وقطعها مما قبلها وصلاً[١]؛ لأنها همزة استفهام دخلت على همزة الوصل، فحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام، وبقيت همزة الاستفهام مفتوحة.

***

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾.

[١٥٥] ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ تتعظون. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَذْكُرُونَ) بتخفيف الذال، والباقون: بتشديدها[٢].

﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾.

[١٥٦] ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴾ حجة واضحة أن لله ولداً.

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٨).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧١)، و«معجم القراءات االقرآنية» (٥/ ٢٤٩).

﴿ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

[١٥٧] ﴿ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ ﴾ الذي لكم فيه حجة.

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في قولكم.

* * *

﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾.

[١٥٨] ﴿ وَجَعَلُوا۟ ﴾ أي: المشركون ﴿ بَيْنَهُۥ ﴾ تعالى.

﴿ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ ﴾ أي: الملائكة ﴿ نَسَبًا ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ ﴾ يعني: قائلي هذه المقالة.

﴿ لَمُحْضَرُونَ ﴾ في النار، والملائكة سميت بذلك؛ لأنها مستجنة؛ أي: مستترة من الأبصار.

* * *

﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

[١٥٩] ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه الناس ولا يليق به، فقال:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ بأن له ولداً.

* * *

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾.

[١٦٠] ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ استثناء من (يَصِفُونَ)؛ لأن المخلصين يصفونه بصفاته العلا.

* * *

﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ .

[١٦١] ﴿ فَإِنَّكُمْ ﴾ يعني : المشركين ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ من الأصنام .

* * *

﴿ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ .

[١٦٢] ﴿ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ الضمير في (عليه) لله سبحانه .

﴿ بِفَاتِنِينَ ﴾ مضلين على الله بالإغواء .

* * *

﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ .

[١٦٣] ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾ إلا الذين سبق في علمه تعالى أنهم يصلونها . وقف يعقوب (صالي) بإثبات الياء[١] .

* * *

﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ .

[١٦٤] ثم أخبر جبريل ـ عليه السلام ـ أن لكل واحد منهم مقاماً مختصاً به ، وأنهم عبيد مربوبون مسبحون ، فقال : ﴿ وَمَا مِنَّا ﴾ أحد .

﴿ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ في السموات يَعبد فيه ، ولا يتجاوزه إلا بإذن .

* * *

---

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٩).

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ .

[١٦٥] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ أقدامنا للصلاة .

* * *

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ .

[١٦٦] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ المنزهون الله تعالى عما لا يليق به .

* * *

﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ .

[١٦٧] ولما قال الكفار: لو كان لنا كتاب كالتوراة والإنجيل، لآمنا وخضعنا، فلما جاءهم ـ عليه السلام ـ بالقرآن، كفروا به، نزل: ﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴾(١) .

* * *

﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ .

[١٦٨] ﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا ﴾ كتاباً ﴿ مِّنَ ﴾ كتب ﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ التي نزلت عليهم .

* * *

﴿ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ .

[١٦٩] ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ له، ولم نخالف مثلَهم .

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٦٩).

﴿ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ .

[١٧٠] ﴿ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ أي : فلما أتاهم ذلك الكتاب ، وهو القرآن ، كفروا به .

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة كفرهم .

* * *

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ .

[١٧١] ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ﴾ عِدَتُنا بالنصر ﴿ لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ وهي : ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ [المجادلة: ٢١]، وسميت جماعة الحروف كلمة؛ لأنها في معنى واحد .

* * *

﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ .

[١٧٢] ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ أي : الرسل ﴿ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾ على من ناوأهم .

* * *

﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ .

[١٧٣] ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا ﴾ المؤمنين ﴿ لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ المظفرون بإرادتهم، المستوجبون الفلاحَ في الدارين .

* * *

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ .

[١٧٤] ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أعرضْ عن كفار مكة وعن أذاهم .

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: حين نأمرك بقتالهم، فالآية محكمة.

* * *

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾.

[١٧٥] ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ما ينكرون.

* * *

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

[١٧٦] فثَمَّ قالوا استهزاء واستعجالاً: متى نزول العذاب؟ فنزل: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾[1]؟

* * *

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾.

[١٧٧] ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ هي الرحبة التي يديرون أخبيتهم حولها ﴿فَسَآءَ﴾ فبئس ﴿صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ الذين أنذروا فلم يؤمنوا، والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب. ولما كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح، سموا الغارة: صباحاً، وإن وقعت في وقت آخر.

* * *

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾﴾.

[١٧٨] وكرر: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

* * *

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ١٨١).

﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾.

[١٧٩] ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ ما يُفعل بهم؛ تهديداً لهم، وتسلية له ﷺ.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾.

[١٨٠] ثم نزه نفسه تعالى فقال: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ﴾ الغلبةِ والقدرةِ؛ أي: مالكها ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ من اتخاذ الأزواج والأولاد.

* * *

﴿ وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾.

[١٨١] ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الذين بلَّغوا عن الله الشرائع والتوحيد، تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم.

* * *

﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

[١٨٢] ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ على نصر أنبيائه، وإهلاك أعدائه، وعلى كل حال.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سَلَّمتم عليَّ، فسلموا على المرسلين؛ فإنما أنا أحدُهم»(١)، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٤) عن قتادة مرسلاً، ورواه ابن أبي حاتم أيضاً في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٤) عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن أبي طلحة مرفوعاً. وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٤٩٠)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٦).

مُحتوى المجلّد الخامس

* * *